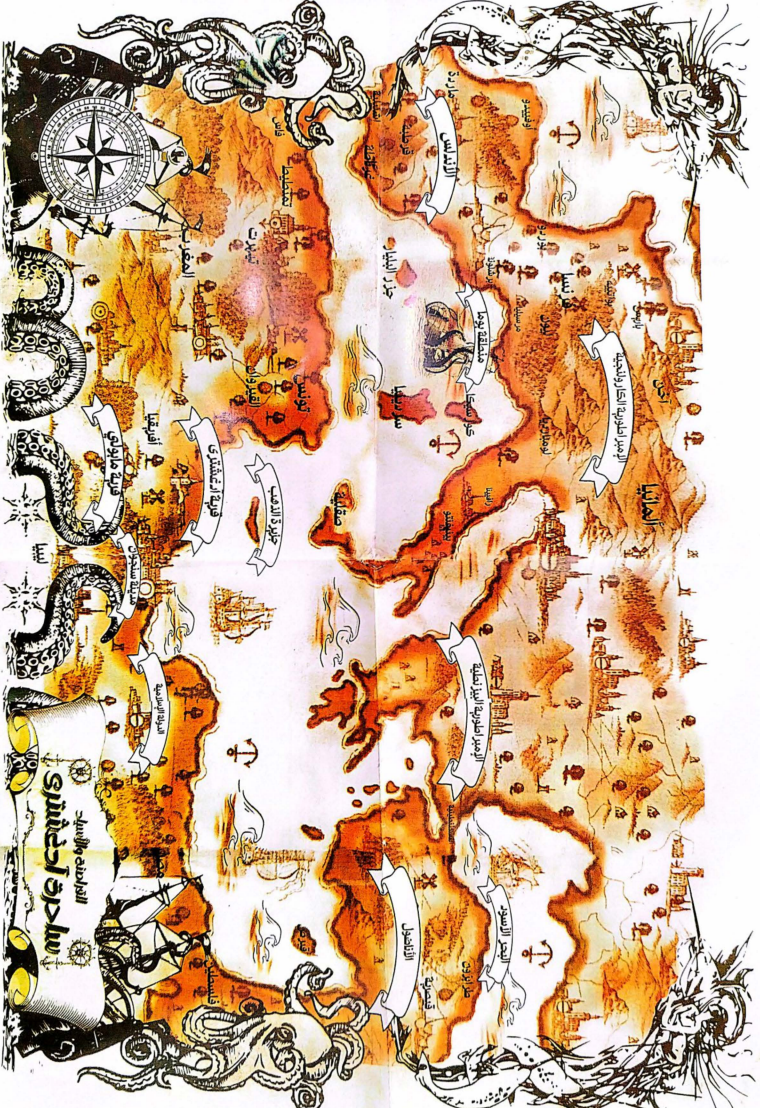




الأسياد والقراصنة
ساحرة آدغشتري

دعاء الجدعاني





الاندلس

البحر المتوسط

البحر الهندي

البحر الأطلنطي

قارة آسيا

قارة أوروبا

قارة أفريقيا

ساحرة الجغرافيا



جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.



ساحرة آدغشتری

سلسلة الأسیاد والقراصنة

دعاء عبد الرحمن الجدعاني



Doaaaljedanii

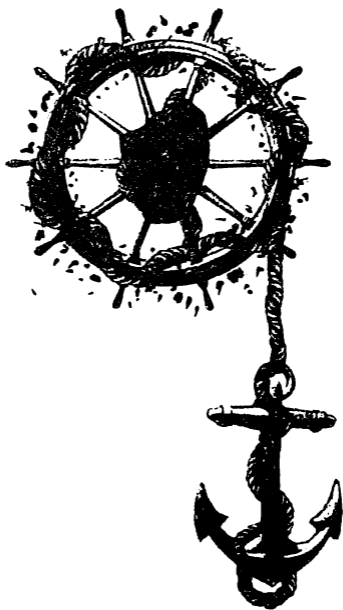
ظلال

2024م - 1446هـ

أحراز بلا أجنحة كطيور وقعَ عليها الموت



ظلال







(1)



في خمسينيات القرن السابع عشر، كانت تلك الفترة تمثل العصر الذهبي للقراصنة الذين جابوا المحيطات بحثًا عن الغنائم والثروات. في تلك الحقبة، كان البحر يعجّ بالسفن الشراعية المحملة بالبضائع الثمينة، وكان التجار يعيشون في خوفٍ دائمٍ من الهجمات المفاجئة التي قد تشنّها قوافل القراصنة. لم

يكن أمامهم سوى خيارين: إما المخاطرة بفقدان كل ما يمتلكونه أو دفع أموال طائلة للقراصنة أنفسهم لحمايتهم من قرصنة آخرين. يالها من مفارقة ساخرة أن يضطر التجار للاتفاق مع أعدائهم الطبيعيين لضمان سلامة تجارتهم.

ورغم أن الحكومات في ذلك الوقت كانت تُحرّم هذه الممارسات بشدة وتوعدّ بمكافآت ضخمة لمن يُدلي بمعلومات عن مواقع القراصنة، إلا أن هذه التهديدات لم تكن فعّالة. فالقراصنة كانوا أسياد البحار، يمتلكون سفنًا سريعة وأطقمًا مدربة على القتال، ويعرفون أسرار المياه العميقة والممرات المخفية التي كانت بعيدة عن متناول السلطات.

كانت المكافآت التي تُعلن عنها الحكومات تزداد بزيادة خطر القرصان وشهرته في المنطقة، لكن ذلك لم يمنع القراصنة من مواصلة مغامراتهم.

ومع مرور السنين، لم تراجع هذه الظاهرة، بل على العكس، ازدادت قوة وانتشارًا. فقد تحولت القرصنة إلى نوع من الحياة المنظّمة حيث كان لكل طاقم قواعده الخاصة وشفراته السرية. وكان زعماء القراصنة يُعدّون أساطير حيّة، يهابهم الجميع، ويُروى عنهم في الخانات والأسواق قصصٌ تعجّ بالشجاعة والمكائد والمغامرات. وكأنها كان البحر كله تحت سيطرتهم، يتحدون به القوى العالمية ويحولون المحيطات إلى مسرح لأحلامهم الفوضوية.

في أعماق المحيط الأطلسي، على مقربة من سواحل السنغال، كانت سفينة القراصنة العملاقة تمخر المياه الداكنة، كأنها شبح يعبر محيطًا لا يعرف الرحمة. أشرعتها السوداء الممزقة تتمايل بتحدّ في الرياح المعبأة بثلوح البحر، بينما الشراع الرئيسي يحمل بفخر الرمز المهيب: الجُمجُمَة والعظام المتقاطعة. ذلك الشعار الذي يجمّد الدم في عروق كل من يلمّحه من بعيد، ليس مجرد علامة على الخطر، بل هو إعلان عن سيادة هؤلاء القراصنة، الملتخبين بدماء معارك لا تُعد ولا تُحصى، على هذا الامتداد اللامتناهي من المحيط.

السفينة كانت تتسلل عبر تمرّ ضيق، وسط ضباب كثيف يلفّ كل شيء من حولها، كأنه حجاب يخفي المجهول. الطريق أمامهم بدا وكأنه يتلاشى في الضباب، يتلعمهم في عالم لا تشرق فيه شمس ولا يظهر فيه قمر. كان خشب السفينة يحمل آثار المعركة الأخيرة بوضوح، حيث الصوّاري المحطّمة والمدافع المتفجرة تروي قصة قتال شرّس خاضوه للتوّ. هذه الجروح العميقة على هيكلها لم تكن سوى شهادة على شراسة القتال الذي مروا به، وكأنها ندوب حيّة تنبض بالألم.

الرياح العاتية تعصف بما تبقى من أشرعة السفينة، في حين كانت أصوات الصّيرير المزعج تصدر عن الأخشاب المتآكلة تحت أقدام القراصنة المرهقين. هؤلاء الرجال، الذين كانوا ينظرون حولهم بحذر، يعرفون جيدًا أنهم نجوا من معركة كادت أن تُودي بحياتهم. لقد كانوا خارجين للتوّ من مواجهة طاحنة، مع أسطول حكومي مكّون من ثلاثين سفينة، أرسل لاقتلاعهم من جذورهم. كانت المعركة مروّعة؛ انفجرت المدافع، وتطايرت الشظايا، وامتأل البحر بدماء المئات ممن واجهوهم. لكنهم، بأساليبهم المخادعة وبراعة تكتيكاتهم، تمكنوا من الإفلات من براثن الموت، بعدما زرعوا الرعب في قلوب أعدائهم وتركوا وراءهم دمارًا لا يمكن وصفه.

هؤلاء القراصنة، الذين عرفوا بأسطورتهم في أعالي البحار، لم يكونوا مجرد لصوص يبحثون عن غنائم؛ بل كانوا محاربين بلا قيود، أسياّدًا في

فنون القتال البحرية. كانوا يفهمون أسرار البحر ويعرفون كيف يستخدمون الضباب كستار يخفي تحركاتهم، وكانت هذه المعرفة أحد أسرار بقائهم على قيد الحياة، رغم الجهود الحثيثة للقوى العظمى للقضاء عليهم.

عبر ذلك المضيق الطويل والمكتسح بالضباب، كانت هناك عين حادة ترأب السفينة التي تجتاز المياه المظلمة. كان أحد القراصنة، باستخدام منظر خشبي قديم مزخرف بزخارف بحرية، يتفحص كل حركة على سطح السفينة المعتادية.

أبعد القرصان المنظار عن عينيه، ليظهر على عرش السفينة رجل وسيم يرتدي زي قراصنة مُمزق ومُهلهل، يحمل آثار الأيام الطويلة في البحر. وقف على أعلى جزء من السفينة، مرتدياً قبعة قراصنة ذات حواف متهاكّة، تتطاير شريطة من شعره الأسود في الرياح القوية. بصوته الجهوري، الذي يقطع صمت الضباب، صرخ بقوة:

- إنها فرصة ذهبية قد جاءت إلينا، استعدوا للقتال!

كانت كلماته ملتفة بالحماس كقذيفة مدفع، أثارَت الحمّسات والإثارة بين أفراد الطاقم المُشتتين. وقد انتبهوا جميعاً لمصدر الصوت، وبدأت نظرات الحماسة تتبادل بين الوجوه الشاحبة.

تألقت عيناه في ظَفَرٍ وهو يقول:

- أخيراً وقعت في يدي يا أدولف.

أسرع أفراد الطاقم إلى تأدية مهامهم بكفاءة، حيث شَحَذُوا أسلحتهم وألقوا النظرات الأخيرة على مدافعهم التي تنتظر دورها في المعركة. كانت المدافع الثقيلة مُجهز ببراميل البارود، بينما صرخ القراصنة بأوامر لتنظيم الحركة على سطح السفينة، استعداداً للهجوم.

في تلك اللحظة، ظهرت أمام أعين القراصنة السفينة الضخمة التي كانت تَمُخَّرُ ببطء عبر الممر الضيق. كانت أشرعتها مُمزَّقة، وصواريخها محطمة، ومدافعها مدمرة بفعل المعركة الشرسة التي خاضتها.

بدا أن الرياح تجري في صالحهم، حيث أصبحت السفينة المتهالكة لقمةً سائغة، وهو ما جعل أعين القراصنة تتلألأ بحماس، كان التوقيت مثاليًا للهجوم، وقد غمرتهم مشاعر اللهفة، وكأنهم يقفون وجهاً لوجه مع أحلامهم.

قاطع الصمت المهيب صوت قائدهم الجمهوري، الذي وقف شامخاً على أعلى جزء من السفينة "عش الغراب"، يتأمل السفينة المُعادية بروية حادة وشرسة وقد صرخ بأعلى صوته:

- اهْجُمُوا!

بدأت السفينة المعادية، التي تئنّ تحت وطأة الهجوم تُحاول جاهدة تغيير مسارها. على الرغم من الجهود الحثيثة، كان طاقمها مُشغلا بكل ما لديهم من قوة في محاولة لتوجيهها بعيدًا عن مصيرها المحتوم.

لكن المحاولات باءت بالفشل، فالمضيق الضيق بين الجبلين كان أشبه بالقضبان التي تقيّد السفينة في مكانها، مُحبطة كل محاولة للهرب.

بدأت البنادق تُوجه صوب السفينة المعادية التي كانت تتهاوى تحت قصف المدافع. مع كل طلقة، كانت القطع الخشبية المتبقية تتحطم بشدة، مما أرسل شظاياها إلى كل زاوية من السفينة المتهالكة. كانت أصوات البارود تتردد في الهواء كأنها تعزف سيمفونية من الدمار، في حين أن اهتزازات السفينة المتزايدة جعلت الأجواء أكثر درامية.

بدا للقراصنة المهاجمين، أنه لم يكن هناك داعٍ لمزيد من الهجوم على السفينة المعادية، التي كانت قد فقدت مُعظم هيبتها، كانت على وشك السقوط. لم يعد هناك شيء يمكن إنقاذه من السفينة التي كانت تئنّ تحت وطأة الضغوط والأضرار. وسط الفوضى، كان قائد السفينة يُراقب الوضع بابتسامة ظافرة، وهو يرى أن المعركة قد حُسمت له ولرجالها دون جهدٍ يذكر.

أبصر النصر وهو يتأمل ضعف الحركة فوق سطح السفينة المتهالكة، فهمّ بخبرته أن المعركة القصيرة انتهت فهدّرَ صوته بقوة:

- أوقفوا المدافع.

ثم، أخرج سيفه من غمده بثقة، مُشيرًا إلى أن اللحظة قد حانت للانتقال إلى المرحلة النهائية من الهجوم مُواصلًا:

- اسحبوا السفينة بالحبال.

بدأ ثلاثة من أفراد الطاقم بإخراج الحبال والخطافات، ليقوموا بقذفها ناحية السفينة المعادية بمهارة لدرجة أن الخطافات ارتطمت بأجزاء السفينة المعادية بثبات.

عندما توثقت الحبال بين السفينتين، بدأت عملية السحب بجهد مُنسق، وعند الرِّحام السفينتين، ارتطمت السفينة المعادية بشدة بجانب السفينة المهاجمة، مما أطلق صرخات قوية من الصدم. كان الصوت العنيف كالرعد، متسببًا في اهتزاز السفينتين بوحشية، في تلك اللحظة الحاسمة، كان قائد السفينة المدافعة يقف بثبات وشموخ، يُواجه قَدْرَه بشجاعة إلى جوار طاقمه بابتسامة واثقة. كان يرتدي زي القراصنة، وعلى وجهه تتجلى ملامح الحزم والصلابة.

رفع صوته عاليًا فوق صخب المعركة، مُتحديًا قائد السفينة المهاجمة، الذي كان يقف مع طاقمه في واجهة الهجوم، مبتسمًا ببرود لا يخلو من خُبثٍ تمزج بالدهاء:

- سأقتلع رأسك أيها الجبان، صائد الفرص!

لم يكن لدى الآخر سوى جملة واحدة يقولها بتلك اللحظة:

- أدولف ليوندار، أخيراً وجدتك!

مع تلك الكلمات، رفع سيفه عاليًا صارخًا ليعلن بداية المعركة. في تلك اللحظة، صرخ طاقمه خلفه، وهم يرفعون أسلحتهم ويهتفون.

ثم، كالموج العاتي، قفزوا نحو سفينة أعدائهم. ارتفع دخان البنادق، وتمازجت الصرخات وصليل السيوف، في مشهد درامي.

كان ليوندار يناور خصمه ويتفادى ضرباته كما يليق بأسطورة البحار السبعة، إلا أن خصمه كان عازمًا على الفتك به، في تجسيد للغضب بدا انعكاسها على المياه كسبحين أسطوريين في خرافة قديمة.

القائد الأول "أدولف"، الذي كان يملك سيفًا عربيًا، كان يهز سيفه بقوة، ويظهر على وجهه التعبير الثابت لمقاتل مُحْتَك. حركاته كانت مليئة بالعزم، وكل ضربة كانت مُصمّمة لاختراق دفاع خصمه، معبرة عن سنوات من الخبرة والقتال.

أما القائد الثاني، فكان يتلاعب بسيف نحيف وسريع، كأنه يرقص في مواجهة خصمه. كان يتحرك برشاقة لافتة، يلتف ويتجنب الضربات بشغف ودقة، كأن كل حركة محسوبة بدقة متناهية.

ومع كل تبادل للضربات، كان يبدو وكأن النصر يتأرجح بينهما.

في خضمّ المعركة العنيفة، كان هناك قرد صغير يرتدي زي القراصنة، يراقب المشهد بفضول. بحركاته السريعة، كان يتلقت يميناً ويساراً بين القائدين المتصارعين، كأنه يتابع مسرحية دموية بعينين يقظتين.

لكن اللحظة الحاسمة جاءت عندما سقط أدولف، على سطح السفينة بفعل حركة مفاجئة من خصمه. كانت الأرض تتأرجح تحت وقع أقدام القراصنة المتنافسين، والحطام المبعثر يتناثر حولهم، بينما لم يجد أدولف سوى وقت قليل قبل أن يشعر بتصل سيف خصمه يُلامس رقبتَه.

ابتسامة خبيثة التمعت على وجهه. ويلهجة مُفعمة بالازدراء، قال:

- انتهى مجدك يا أدولف، والآن أعطني ما جئت لأجله.

توجهت عيون أدولف في محاولة يائسة للعثور على سيفه الساقط بجانبه. ولكن قبل أن يتمكن من الوصول إليه، قام القائد الآخر بدفع السيف بعيداً بقدمه، ثم أضاف بنفاد صبر، وهو يضغط على رأس سيفه برفق لكن بقوة محسوسة على رقبة أدولف:

- لا أحب تكرار طلباتي، انظر حولك لترى أنه ما من سبيل للنجاة.

رفع أدولف نظره ببطء، ليتفحص كامل السفينة المدمرة. مشهدٌ مأساويّ ظهر أمامه؛ أفراد طاقمه جميعهم سقطوا في ساحة المعركة، كل واحد منهم غارق في جراحه وخصومهم يتصدّرون أمام جُثثهم.

بدا أن كل شيء قد انتهى، وصوت القائد الآخر، الذي يُجسّد نصره
وافتحاره، كان يملأ أذن أدولف.

هنا وفي حدث بسيط لكنه غير مجرى الأحداث، قاذف القرد يقطع
التضاح المتراكمة فوق علب خشبية على الطاقم، مما دفعهم جميعا بمن فيهم
القائد للانتباه إليه، وتشتيت أنظارهم لوهلة عن أدولف.

استغل أدولف الأمر، وحرك قدميه باتجاه جسد خصمه ليملكه بكل
قوة فيسقطه أرضا، ثم نهض وركض نحو قمرته وأقفلها خلفه.

صرخ القائد على أفراد طاقمه بعد نهوضه، بغضب:

- حطّموا البوّابة الآن.

بدأ أفراد الطاقم بضرب البوّابة بكل قوة مرة تلو أخرى. بتلك الأثناء
وداخل قُمرة القبطان أخرج أدولف، علبة حمراء صغيرة الحجم، فتحها
لينظر نحو الخاتم الأسود ذي الأفاعي المنقوشة قبل أن يخرجها من علته
ويضعه داخل قارورة زجاجية أفرغها من النبيذ، وكتب على ورقة صغيرة
(لقد ماكنتني!) ليضعها أيضا بجانب الخاتم في ذات القارورة.

وقبل أن يحطّم القراصنة البوّابة، ويدخلون عليه، فتح نافذة صغيرة
جدا مُطلّة على البحر، بتلك اللحظة. كُسر الباب، ونظر القائد وطاقمه
لأدولف، الذي يحمل تلك الزجاجية وينظر إليهم بابتسامة مليئة
بالتشفي.

ما إن استوعبَ القائد الآخر ما يحدث وعيناه تنظران لذلك الخاتم
الموجود داخل الزجاجاة حتى صرخ بكل قوة:

- إيتاك أن تفعل!

لكن بتلك اللحظة قذف أدولف بتلك الزجاجاة نحو البحر الهائج،
حيث حملتها الأمواج بعيدًا، حتى تلاشت تمامًا.

رأى القائد الآخر هذا المشهد، فركض نحو أدولف، وجسده يرتجف
من الغضب واليأس، وهو يردد بصوت مُرتجف:

- كلا، كلا، كلا!!!!!!

أمسك أدولف من تلايبه وأزاحه بعيدا لينظر نحو النافذة بعينين
مُلتاعتين.

ابتسم أدولف ابتسامة واسعة أظهرت أسنانه الذهبية، وقال بسخرية
جعلت القائد يلتفت إليه بنظرة غضب متّقدة:

- ما جئت لأجله، قد رحل بعيدًا، بعيدًا جدًا أيها الأحمق.

تسببت سُخريته في اندلاع غضب القائد، فلكمه بقوة، مما أسقط
بعض أسنانه الذهبية وأفقده وعيه.

فتح أدولف عينيه مع شهقة فزع بسبب المياه الباردة التي سُكبت على وجهه، كما لو كان قد استفاقَ من كابوس مُرعب. لكن عندها التقت عيناه بعين القائد بومبا دراقن، الذي كان واقفاً فوقه مُمسكا بِقِرده الوفيّ من ذيله كما لو كان جُرْدًا قذرًا، أدرك أن كابوسه أصبح حقيقة مؤلمة، وهو الآن يقف على حافة النهاية.

جلس بومبا أمام أدولف، وحوله طاقمه الذين تجسّد الشرّ على وجوههم. وبصوته الجمهوري خاطبه قائلاً:

- كيف تجرؤ على قذف ما سَعَيْتُ لأجله أنا وطاقمي لسنوات طويلة؟

صوت القرد الذي كان يُكافح للهرب من قبضة بومبا أزعج الحاضرين، فنظر إليه للحظات، ثم عاد بنظره إلى أدولف، وأضاف:

- قرد وفيّ، لكن خطأه الوحيد أنه وقف ضديّ أنا، بومبا دراقن. ومن يقف ضديّ يكون مصيره الموت، حتى وإن كان... مجرد قرد.

قبل أن يتمكّن أدولف من النطق بكلمة واحدة، قذف بومبا القرد نحو البحر الهائج، عاد الهدوء القاتل للمكان، عدا همسات الطاقم الغاضبة.

رغم الغضب العارم في قلب أدولف لخسارته حيوانه الأليف، قال
بذات الابتسامة التي يضعها بومبا على وجهه:

- لن تستطيع الحصول على ذلك الخاتم ما حييت، فالخاتم يتحرك
بنفسه نحو من يُريد، لقد...

لكن بومبا لم يكن في حالة تسمح له بتحمّل أدولف الذي كان يواصل
الثرثرة، رفع بومبا سيفه وقطع رأسه بلمح البصر. تطاير الرأس واصطدم
بقدم أحد أفراد الطاقم، الذي كان داكن البشرة وضخم البنية. استبدّ به
الغضب، فسحقَ الرأس تحت قدمه بوحشية، حتى تحطّم تمامًا.



(2)

في بلدة نائية تقع غرب إفريقيا تُدعى "آدغشتری"، عاش السكان فيها بسعادة وبساطة رغم الفقر والجهل اللذان يُجَيِّبان على البلدة، إلا أن سكانها كانوا مرتبطين بأرضهم، مُتَحَابِّين فيما بينهم باستثناء قلة قليلة كانت ترى في المستعمرين البيض أنهم المُخَلَّصون للأفارقة من الجهل والخرافات التي ارتبطت بأرضهم، تلك الفئة التي استفادت من هيمنة

المستعمرين الإنجليز والإسبان والبرتغاليين في تكوين ثروات وإقطاعات خاصة بهم على حساب بني جلدتهم.

في منتصف 1686 عند بدايات حملات التبشير الأولى كان للأفارقة أن يختاروا المصير بين العبودية عند المستعمرين أو الأعمال الشاقة لحسابهم في مزارعهم، فئة قليلة اختارت الحرية والتعليم وتغيير مستقبلهم...

كانت الأشجار تغمُر البلدة بأكملها، وبين أغصانها ارتفعت بيوت خشبية وكانت جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة، مما حوّل المكان إلى تحفة فنية من قلب الطبيعة.

قذفت كرة نحو مجموعة من الأطفال، وقال من قذفها بغضب:

- أيها الأطفال! متى ستكفون عن مثل هذه الأفعال؟ ألم تكفيكم هذه الأرض الواسعة حتى تلعبوا أمام منزلي وفي أثناء قيلولتي!

أجاب أكبرهم سنّاً في ابتسامة مرحة:

- عمي الحكيم ناراوا، أنت تعلم أن منزلك يشعرنا بالراحة والطمأنينة، لذلك نفضّل اللعب أمامه.

تموّلت ملامح الرجل للحظات إلى السعادة، وكأنه لم يغضب يوماً، ثم قال بغرور:

- صحيح، صحيح. فأنا كما تعلمون، حكيم هذه القرية. والحكيم الحقيقيون وليس المزيفين، يبعثون السعادة في أي مكان يحضرون فيه.

فجأة، ظهر رجل عجوز آخر من العدم يبدو الغضب على نُحيّاه ليقول بصوت جاف:

- أنت أيها المُخادع! من تقصد بالمزيف؟ أخبرني الآن حالا

استدارَ نارواوا ببطء، مواجهًا الرجل العجوز، ثم ردّ عليه بثقة ونبرة هادئة:

- أنت تعلم جيدًا يا مومو من هو المزيف والدّخيل على الحكمة.

ارتفعت عينا نارواوا لتلتقي بعيني مومو، وبدت في عينيه نظرة تحيد، بينما كانت الرياح تهب بهدوء، ترفع من حولهم أوراق الشجر المتساقطة، وكان الطبيعة نفسها تشهد على هذا اللقاء. كان المكان يغرق في صمتٍ ثقيل، بينما تُراقب الأشجار بصمت، هذا التّحدي بين الرجلين.

ثم بعدها، بدأ العجوزان في الشجار، مما دفع الأطفال للركض مُبتعدين عنهما، يتضحكون بسعادة بسبب تلك المشاجرة الغريبة بين اثنين من الشيوخ العاجزين عن حمل أنفسهم. وبينما كانوا يتعدون، توقفت ضحكاتهم فجأة عندما وقفت أمامهم امرأة ذات بشرة سمراء، ترتدي ثوبًا فضفاضًا مزينًا باللوان الطقس وعمامة بيضاء على رأسها.

كانت سمراء فاتنة، تحمل في عينيها الخضراوين الداكنتين بريقاً يُشبه لون
حشائش الأرض في موسم الأمطار.

نظرت إليهم بغضب، وقالت بصوت قوي:

- أخبروني الآن، ما الذي فعلتموه هذه المرة؟ من هو الضحية
الجديدة من سكان هذه القرية التي جعلتكم سُعداء بهذا الوجه؟

حاول باراد، الطفل الأكبر بينهم، أن يقدم تبريراً، لكن المرأة قاطعته
بصرامة:

- اصمت أنت يا بارادا فأنا أعلم جيداً أنك مُتمرس في الكذب.

ثم رفعت رأسها نحو السماء، وكأنها تُوجه حديثها إلى الخالق، وقالت
بغضب تمزج بالاستسلام:

- لماذا يا إلهي، هؤلاء هم أطفالي؟

جوناء، وقد أنقلها الحزن، همست لنفسها بمرارة وهي تنظر إلى
أطفالها:

- لو أنهم فقط أقل شغَباً وأكثر صدقاً، لكان الأمر جميلاً حقاً.

بينما كانت غارقة في أفكارها، قاطعها باراد بلهجة مليئة بالملل:

- هل انتهيت من موعظتك الدائمة يا جوناء؟

صُدمت جونا من جُرأة ابنيها، فردت عليه بغضبٍ مُفاجئ:

- ماذا تعني بجونا أيها الأحمق؟ أنا والدتك!

لكن باراد، غير مُكترث بغضبها، رد ببرود:

- لكن في نهاية الأمر، اسمك جونا، وهذا هو المُهم.

أطلقت جونا زفيرًا طويلًا، كمن أعلن استسلامه أمام عناد أطفالها. وبينما كانت تُحاول كبح مشاعرها المتضاربة، لاحت لها فكرة عندما وقعت عينها على طفلتها الصغيرة ذات الأربعة أعوام، جونايشن، التي كانت تُراقب الموقف بسذاجة وبراءة. اقترت منها جونا بخطوات هادئة، وابتسمت لها بلُطف، فما كان من جونايشن إلا أن بادلتها الالتيامة.

بنبرة مملوءة بالحنان، قالت جونا:

- عزيزي جونايشن، فتاتي المدللة، هل يمكنك أن تُخبريني بما حدث؟

ارتبكت جونايشن للحظة، ونظرت إلى باراد الذي كان يُحاول بجهد الإيحاء لها بعدم التحدث. لكن براءة الطفولة كانت أقوى، فقالت بصِدق:

- ذهبنا للعب أمام النهر، ولكن باراد قال لنا لنذهب جميعًا إلى منزل

الحكيم ناراوا ونصنع مشكلة بينه وبين الحكيم مومو.

توقفت جونا للحظة، ثم وجّهت نظرها نحو مارو، الطفل الآخر في المجموعة، وسألته بحزم:

- هل هذا صحيح؟

شعر مارو بالتوتر، وبدأ يتجنب النظر إليها، محاولاً إخفاء قلبه. لكن جونا، بابتسامة لطيفة، قالت بصوت مُشجع:

- من يقول لي الحقيقة، سأصنع له اليوم طبقاً من الكعك.

لم يستطع مارو مقاومة العرض، فابتسم وأشار بحماسة إلى باراد، قائلاً:

- نعم، إنه باراد! باراد هو من قال لنا، باراد هو السبب!

نظرت جونا بغضب إلى باراد، الذي أدرك أنه في مأزق، فركض بعيداً وهو يصرخ:

- جونا أصبحت وحشاً، يا إلهي!

لكن جونا لم تتركه يهرب دون رد، فصرخت بنفس القوة:

- لست جونا أيها الغبي، أنا والدتك!

بينما كانت الأمور تزداد توتراً، اقترب منهم رجلٌ طويل القامة ووسيم، واحتضن جونا برفق، قائلاً بصوت هادئ:

- دعك مما تحاولين فعله بالأطفال، جونا.

تنهّدت جونا بحُزن، وقالت وهي تَسْتِنِدُ على صدره:

- ولكن يا كاساندر، أطفالنا غير مُحترمين أبدًا. كيف سنرسلهم غدًا
للتعليم وهم بهذا السلوك؟

ابتسمَ كاساندر بحنان، وأخرج من جيبه كتابًا ليضعه بين يديها،
وعليه عنوان: (كيف تربي أطفالك تربيةً صحيحة).

قَفَزَت جونا من السعادة، وقالت وهي تنظر إليه بفرح:

- عزيزي، كم أنا سعيدة لأنك أحضرتَ هذا الكتاب!

لكن سُرعان ما صممت، وتأمّلت حجم الكتاب الذي بدا لها ثقيلًا،
ثم قالت بعد تفكير:

- ولكن يبدو باهظًا، أليس كذلك؟

ضحك كاساندر وقال بابتسامة مطمئنة:

- لا عليك، لم أليس أموال تعليم أبنائنا، بل عملت عشرين ساعة
بجمع حطب رئيس القرية بهتان لأجل شرائه.

نظرت إليه جونا بعينين دامعتين وقالت بحُزن:

- تلك الليلة التي اختفيتُ فيها، كنت تعمل لأجل هذا الكتاب؟

هزّ كاساندر رأسه وقال بقَعْرٍ:

- بل لأجل أبنائنا. فهذا الكتاب مفيد لهم، وأي شيء مفيد لهم سأعمل لأجله سنوات إن تطلب الأمر.

شعرت جونا بالفخر الشديد، ورفعت رأسها لتُقبّل كاساندر على خدّه، ليحتضنها بدّوره ويحملها ويدور بها بسعادة غامرة. لكن تلك اللحظة الرومانسية لم تدم طويلا، إذ صرخت جوناين بغضب وهي تدور حولهم:

- أنا أيضًا! أريد مثلها! احملني، أبي! أريد أن تحمّلني!

لم يستطع كاساندر إلا أن يضحك، لكنه قبل أن يتمكن من الاستجابة، اندفع مارو، الطفل الآخر، محاولا حمل جوناين والدوران بها. لكنه سرعان ما سقط على الأرض وهي معه، فاستقامت جوناين بغضب وقالت:

- يا لك من ضعيف، يا مارو! لن تكون مثل أبي.

ضحكت جونا بصوت عالٍ، وشاركها كاساندر، قبل أن يرفع ابنته جوناين عاليا ويبدأ بالدوران بها في الهواء. صرخت جوناين بسعادة غامرة:

- أنا أطيرو! أطيرو!



(3)



موسم حصاد القمح
يقترِب، تَسْتَعِدُّ جميع
العائلات لجمع محاصيلهم
وتكديسها تحضيرا لفصل
الشتاء. لكن عائلة كاساندر
كانت الاستثناء الوحيد.

كانوا يقفون في مزرعتهم الصغيرة،
ينظرون بقلوب مُثْقَلَة إلى القمح

الفاسد الذي خرج من الأرض، وإلى الدُّرَّة السوداء التي لم تصلح لأي
استخدام. في الواقع، كل ما زُرِع في المزرعة كان ميؤوسا منه، غير صالح
للاستخدام بأي شكل من الأشكال.

الأسى كان واضحا على وجه جونا، التي تجولت بخطوات بطيئة
داخل المزرعة، تُحدِّق في التربة التي خذلتهم. بعد دقائق قليلة، تساقطت
دموعها بحرقة، ولم تستطع منع نفسها من البكاء بصوت مرتفع يُشبه
بكاء الأطفال. أطفالها كانوا يقفون هناك، يراقبون الموقف بصمت.
وعندما رأوا دموع والدتهم، بدؤوا يبكون معها، دون أن يفهموا تماما ما
يجدث.

تقدم كاساندر نحو جونا بخطوات هادئة، وجلس بجانبها على الأرض، محاولاً أن يُواسيها. وضعَ يده بلُطف على ظهرها وقال بصوت خَنون:

- لا أعلم ما الخطأ، ولكن صدَّقيني، سأحاول مرة أخرى حتى ننجح. لا بد أننا أخطأنا في شيء ما.

أخذت جونا حُفنةً من التراب بين يديها، وراحت تحدِّق فيها بحزن، ثم قالت بصوت مكسور:

- لا يمكن أن تُحيا هذه الأرض. لا أعلم ما خطبها، لكنها ميتة، وأنت تعلم ذلك.

ثم، وكأنها قرّرت مواجهة الألم بشجاعة، مسحت دموعها سريعاً، وارتسمت على وجهها ابتسامة كبيرة، وهي تتظاهر بالقوة، وقالت بصوت عالٍ:

- من يُريد العشاء؟

تحوّل بُكاء الأطفال إلى ضحكات فُجائية، وصرخوا بحماس:

- نحن، نحن نريد العشاء، يا جونا!

جونائزن، التي كانت قد جلست على الأرض مُدعية التعب، قالت بلهجة درامية:

- أنا جائعة يا جونا، احمِليني، احمِليني بسرعة!

لكن جونا، وبمزيج من المرح والإصرار، ركضت نحو الأطفال وهي تصرخ:

- لن أحمل أحداً! من يريد الطعام، فعليه أن يسابني!

ومع تلك الكلمات، اشتعلت الحماسة في الأطفال، حتى جوناين التي ادعت التعب، قفزت فجأة وبدأت تُسابق الجميع، مُحاولَة اللّحاق بوالدتها وهي تضحك.

كاساندر بقي واقفاً في مكانه، يراقبهم بابتسامة مرسومة على وجهه، لكن خلف تلك الابتسامة كان هناك حزنٌ عميق. أخرج من جيبه ورقة مَطوية، نظر إليها لبعض الوقت، وكأنها تحمل جزءاً من همومه وأحلامه المُجهضة.

في تلك اللحظة، قطعت جونا سيل أفكاره بصوتها المرح:

- العشاء جاهز!

عاد كاساندر إلى الواقع، تنهد بهدوء، وأعاد الورقة إلى جيبه، ثم مشى نحو منزله ليشارك عائلته العشاء، محاولاً، ولو للحظة، أن يتناسى كل ما يُشغل فاه.

في منزل كاساندر، كانت العائلة تجمّع حول مائدة العشاء، وكل فرد يجلس في مقعده المعتاد منتظراً تقديم الطعام. دخلت جونا إلى الغرفة

حاملة وعاءٍ كبيرًا من حَساء اللَّحْم اللَّذِيذ الذي كانت رائحته تَعْبِقُ في الأجوَاء. قالت ريتا إحدى الأطفال، بفرحة:

- أمي، كم أحبّ هذه الرائحة! إنها تجعلني سعيدة للغاية.

باراد، الذي لا يفوّت فرصة للسّخرية، نظر إليها بخُبث وقال:

- لماذا لا نراكِ إلا وقت الطعام، يا ريتا؟

ردّت ريتا بغرور مُصطنع:

- لأنني أستغلّ كل وقتي بالدراسة حتى أطوّر عقلي.

مارو، الصّغير البريء، قال متعجبًا بسداجة:

- لكن، لن تذهبي إلى أي مدرسة لتدرسي، فما فائدة قراءتكِ لكلّ تلك الكتب؟ يجب أن تلعبِي معنا بدلًا من ذلك.

بدّت علامات الحُزن على وجه ريتا، ونظر كل من جونا وكاساندر إلى بعضهما البعض بعيون مليئة بخيبة الأمل والانكسار. لقد كانت أمّنتهم أن يتمكّنوا من إرسال ريتا وأخويها باراد ومارو إلى إحدى المدارس المرموقة في مدينة سنجوان، ولكنهم بالكاد استطاعوا جمع تكاليف تعليم طفل واحد فقط، وكان عليهم اتّخاذ قرار صعب.

لم ترعّب جونا في أن يستمرّ هذا الشعور الثقيل، فقامت بصوتٍ مَرِح ومُتحمّس قائلة:

- من يُريد حَسَاءَ اللَّحْمِ اللَّذِيذِ؟

ارتفعت أيادي الأطفال الأربعة معًا في الهواء بفرح، ونسوا تمامًا ما دار بينهم قبل لحظات. بدأت جونا بتوزيع الحساء بالتساوي بينهم، ثم أخذت قليلًا منه لتضعه في صحنين صغيرين أمام طفلين في عمر الثانية، وهما ميتارو وسانجوني، وقالت برقة:

- هل تريدان تجربة حَسَاءِ اللَّحْمِ أنتما أيضًا، أيها الصغيران؟

جونائش، التي كانت تراقب المشهد بتقرّز، قالت وهي تُجمّد أنفها:

- إنها مُقرّان حقًا!

التفت كاساندر نحوها بغضب وقال:

- لا يصح أن تقولي عن أخويك هذا الكلام.

لكن جونائش لم تتراجع، بل استمرت قائلة:

- ولكن انظر إليهما، ميتارو وسانجوني لا يعرفان حتى كيف يأكلان بشكلٍ صحيح.

ضحكت جونا، وحاولت تهدئة الوضع قائلة:

- لا عليك يا عزيزي، إنها تغار منهما فقط.

جونائش نظرَت إلى أخويها بطرف عينيها، ثم أزاحتها بغيرور
واستأنفت تناول الطعام بصمت. عندها، لاحظ باراد شيئًا غريبًا في
الموقف، فسأل باستغراب:

- لماذا لا تتناولان أنتما أيضًا الحساء؟

تظاهر كاساندر سريعًا بأنه يعاني من ألم في بطنه وقال مبتسمًا:

- لا أستطيع تناول الطعام يا بني، لقد أكلت الكثير قبل أن آتي،
وأصبحت مُمتلئًا جدًا.

ثم حوّل باراد نظره إلى والدته، التي انضمت إلى التمثيل قائلة:

- عزيزي، انظر إلى وزني! لقد زاد كثيرًا. سأقتل من طعامي حتى
أعود كما كنت.

وأضاف كاساندر، مُحاولًا مواصلة الخدعة:

- نعم، أتمنى أن تعودني كما كنتِ، فالبدانة لا تُناسبكِ أبدًا.

ريتنا، التي كانت تستمع بصمت، قالت بشك:

- لكن أُمي نَحيفة جدًا، إنها أَنحف امرأة في قريتنا. إذا نَحفت أكثر
من هذا، قد تُصاب بالأنوريكسيا. قرأت عن هذا في أحد الكتب.

ابتسمت جونا بحنان، وبدأت بإطعام ميتارو وسانجونو دون أن
تضيف أيّ تعليق، بينما كان الجميع يتناولون طعامهم بصمت. كانت

تلك اللحظة مليئة بالحب والقلق في آن واحد، حيث كان كاساندر يتأمل
وجوه عائلته بعينين اختلطت بها السعادة بالحزن...

بعد أن نام الأطفال واطمأنت جونا على راحتهم، خرجت هي
وكاساندر إلى الفناء الخارجي، وجلسا على إحدى الأرائيح. مع صوت
هدير معدة كاساندر الخاوية، نظرت جونا إليه بحنان وقالت:

- عزيزي، أنت جائع، أليس كذلك؟

ضحك كاساندر محاولاً تخفيف حدة الموقف وهو يدفع الأرجوحة
برفق:

- بل إنني سعيد. الجوع لا شيء طالما عائلتي بخير.

لكن جونا لم تكن لتقبل أن يبقى زوجها جائعاً، فركضت بسرعة نحو
المنزل وهي تقول بمرح:

- انتظر هنا، سأعود حالاً!

تساءل كاساندر بصوت مرتفع وهو يراقبها:

- ماذا تفعلين؟

لكنه لم يتلقَ أي إجابة. بعد فترة وجيزة، عادت جونا تحمل رغيفاً من
الخبز وبعض الجبن. ابتسمت وقالت:

- لقد احتفظتُ بهذا لنا.

نظر إليها كاساندر بدهشة وقال:

- كيف حصلتِ على هذا؟ لقد استخدمنا كل ما لدينا لشراء اللحم بالأمس.

أجابت جونا وهي تضحك:

- بينما كنت تعمل وأطفالنا يلعبون، طلبت مني جارتي سولي أن أساعدها في تنظيف منزلها. بعد أن انتهينا، أعطتني هذا الخبز والجبن كهدية. احتفظتُ به لنا لتشاركه معًا.

نظرَ إليها كاساندر بحُبّ وقال:

- هل تفكرين بي إلى هذه الدرجة، يا جونا؟

ردت جونا بابتسامة دافئة:

- إن لم أفكر بك، فبمَن أفكر؟ أنت زوجي وحيبي وكل شيء أملكه في هذه الحياة بجانب أطفالنا. نحن نتشارك كل شيء منذ الصغر، ألا تذكُر؟

احتضنها كاساندر بحنان وقال:

- أتذكُر، يا جونا. كنتِ دائمًا الأقرب إليّ، وكنا كالروح الواحدة في جسدٍين، ولا زلنا كذلك.

جلست جونا بجانبه على الأريكة، وبداه مُحيطان بظهرها بينما رأسها
مُتكئ على كتفه، وهمست:

- أحبك.

رد عليها بحب:

- وأنا أحبك أكثر مما تتخيلين.

في صباح اليوم التالي، استيقظ كاساندر وجونا على أصوات أطفالهم
المفعمة بالحياة وهي تردد في الهواء، تلك الأصوات التي كانت دائماً بداية
ليوم جديد مليء بالتحديات، لكنها كانت في ذلك الصباح تحديداً مزيجاً
من السعادة والحزن المُخبأ. شعرت جونا بالبرد يلف جسدها، فاتبهت
إلى أنها وكاساندر قد ناما في الهواء الطلق، تحت قبة السماء المرصعة
بالنجوم.

نظرت حولها بارتباك ووضعت يدها على جبين كاساندر بقلق ممزوج
بحُوف يعتريها، ليس فقط لبرودة الصباح، بل لشيء أكبر وأعمق كان
يتخمر في أعماقها:

- عزيزي، هل نمنا في الخارج حقاً؟ كيف تحمّلنا البرد؟ يا إلهي، ماذا
لو أصابنا مكروه؟

كانت كلماتها تتدقّق كَنَبِج من الحَبِّ والاهتمام، ولكنها لم تكن قادرة على إخفاء الاضطراب الذي بدأ يتسلّل إلى قلبها.

كاساندر، بحنان الأب والحبيب، ضحك بهدوء، مُحاولاً طمأننة روحها القَلْبَةَ، وقال بصوت مليء بالدَّفء:

- لا تقلّقي، لقد أشعلت النار بالقرب منا في أول الليل بعد أن غفوت. لن يُصيبنا مكروه.

جوننا نظرت نحو بقايا الرماد القريبة، وكأن رؤيتها كانت تطمئن قلبها المُضطرب. أخذت نفساً عميقاً، تحاول أن تُسكن ارتعاشة الخوف الذي كان يَحْتبِي في صدرها. ثم ابتسمت بحزن خفيف، وقالت بصوت مُفَعَم بالعاطفة:

- خائفة عليك، خائفة من أن يحدث لك شيء، وأنا عاجزة عن حمايتك.

احتضنها كاساندر بين ذراعيه، كما لو كان يحاول أن يحميها من كل المخاوف التي تُطاردها، وقال بحب عميق:

- لا تخافي، أنا هنا، وسأظل دائماً بجانبك، مهما كانت الظروف.

نهض كاساندر من مكانه، مُحاولاً تغيير الجو المشحون بالشاعر، وأعلن بصوت مفعم بالحياة:

- أيها الأطفال! من يُريد أن يلعبَ بالكرة اليوم؟

قفزَ الأطفال بحماس، وهَرعوا نحو والدهم كما يفعلون في كل مرة
يدعوهم فيها للعب. باراد، الأكبر بينهم والذي كانت تنعكس فيه
شخصية كاساندر القوية، صرخَ بفرح:

- الكرة هي أفضل لعبة في هذا العالم!

مارو، الذي كان يلتقط كل شيء من أخيه الأكبر، لم يتردد في تكرار
ما قاله باراد بحماس طفل صَغير:

- نعم، إنها أفضل شيء في هذا العالم!

ريتا، التي كانت تستند على جذع شجرة قريبة بكتاب في يدها، نظرت
إليهم بنظرة مليئة بالذكاء والسُّخرية، كعادتها عندما تُحاول إثبات تفوقها
الفكريّ على إخوتها.

- باراد، لماذا لا تستغلّ عقلك بدلاً من أن تُضيّعه في اللّعب؟

كلماتها كانت تحمل في طياتها رغبة في أن يشعر الآخرون بما تشعر به،
برغبتها في أن تتجاوز حدود القرية لتكتشف علوم هذا الكوكب.

باراد، الذي لم يكن يُطبق أن يُشكك أحد في قدراته، نظر إليها بغضب
مكتوم وقال بصوتٍ يَنم عن تحدُّ:

- هذا ليس من شأنك، أيتها المُتهلِكَة!

ابتسمت ريتا بثقة وأعدت النظر إلى كتابها ثم قالت:

- لستُ مُتذاكِية، بل ذكِيّة حقًا.

ولم تعطِ باراد أي فرصة للرد، إذ غاصت في قراءة كتابها مرة أخرى،
كأنها في عالمها الخاص الذي لا يمكن لأَيٍّ من إخوتها أن يفهمه.

لم يرضَ باراد بتجاهلها له، فبدأ بالقفز أمامها، صارخا بسخرية:

- مُتذاكِية، مُتذاكِية، مُتذاكِية!

وكانه يريد أن يجذبها مرة أخرى إلى العالم الذي يعيشونه جميعًا.

جونائش، الصغيرة التي كانت تُقلد كل ما يفعله باراد، بدأت تكرر

كلامه ببراءة، غير مُدركة للمعاني التي تخرج من فيها:

- ريتا، المُتذاكِية، مُتذاكِية!

ضحك باراد بفخر، وقال بسعادة وهو يُشير إلى جونائش:

- أرايتِ؟ حتى جونائش تقول نفس ما أقوله!

نظرت ريتا إلى أختها الصغيرة بغضب، وكأنها تشعر بالخيانة منها.

شعرت تلك الصغيرة بنظرتها، لتهرع بسرعة للإختباء خلف والدتها،

باحثة عن الأمان الذي كانت تجده دائمًا في حُضنها.

كانت جونا تراقب المشهد بصمت برفقة زوجها لبعض الوقت.
بعدها اقتربت من ريتا وأخذت منها الكتاب بلطف، وقالت بصوت
يَمْلأه الحب:

- ريتا، عزيزتي، جسدك يحتاج لبعض النشاط مثل عقلك. تهالفي
سنلعب جميعاً سوياً، مشكّلين فريقين!

ريتا، التي كانت تُحب القراءة أكثر من أي شيء آخر، حاولت
الاعتراض:

- ولكن، أمي..

لكن جونا لم تترك لها فرصة للجدال، بل قاطعتها بغضبٍ مُصطنع لا
يتلاءم مع ملاحظها اللطيفة:

- لا يوجد لكن في هذا المنزل. هيا الآن، انهضي!

استسلمت ريتا لرغبة والدتها، وقالت بياس:

- حسناً..

وانطلقت اللعبة، ملأت الضحكات أرجاء المكان، وكأنها أغاني
الحياة التي تملو فوق هوموها. انضم إليهم أهل القرية، وكان القرية
بأكملها كانت تحتفل بتلك اللحظات التي تشعر الجميع بأن الحياة
تستحق العيش، حتى وإن كانت مليئة بالتحديات. كان ميثارو

وسانجوني يلعبان بالرمال والماء، أجسادهما الصغيرة تلتطخت بالطين، لكنّهما لم يهتمّا، فقد كانا غارقين في عالمهما الخاص، حيث لا يوجد شيء سوى المرح والبراءة.

تلك اللحظات كانت من أجمل ما عاشه كاساندر وجونا، فقد كانت ترمز إلى ما هو أغلى من أي ثروة: العائلة. شعروا بأنهم أقوى من الحياة، وأنهم يستطيعون مواجهة أي شيء طالما كانوا معًا.

لكن تلك اللحظات السعيدة كانت تحمل في طياتها أيضًا ظلالًا من الحزن المُستتر. بعد أن انتهى اليوم ونام الأطفال، نهض كاساندر بهدوء، وكأنه يهرب من مشاعره المتضاربة. حزم بعضًا من أمّعتيه بصمت، وكل حركة كان يقوم بها كانت مُثقلة بالحزن والأسى.

وقفَ عند باب الغرفة التي ينام فيها أطفاله، نظر إليهم بحب، يتأمل كل واحد منهم وهو غارق في أحلامه. باراد كان نائمًا وكأنه في معركة مع وحشٍ خيالي، بينما كانت ريتا تُتمتم في نومها ببعض القوانين الرياضية التي حفظتها. جونايشن، التي كانت دائمًا الأكثر براءة، كانت نائمة كالملاك، إصبعها في فمها. أما مارو، فقد كان نائمًا على الأرض بدلًا من سريره، كما كان يفعل دائمًا، بينما كان التوأمان، ميتارو وسانجوني، يتامان بسلام، وقدمي ميتارو على وجه سانجوني.

كاساندر ضحك بصمت، ولكن تلك الضحكة كانت تحمل في طياتها حزنًا عميقًا. كان يعلم أنه قد لا يرى هذا المشهد مرة أخرى، أو على الأقل ليس كما هو الآن. كل طفل منهم كان يُمثل جزءًا منه، جزءًا من روحه، لكنه كان يعلم أن عليه أن يتركهم، أن يضحى بنفسه من أجل مُستقبلهم.

بينما كان يقف هناك، شعر بحضور خلفه، عرف فورًا من صاحبة الصوت الذي جاء من خلفه:

- ما الذي فعله؟

كانت تلك الكلمات مملوءة بالخوف والتوتر من سماع إجابته.

لم يلتفت إليها، لكنه شعر بثقل صوتها وكأنها كانت تدرك ما ينوي فعله. بعد لحظات من الصمت، قال بصوتٍ خافت يكاد يكون همسًا:

- لقد وقعت على ورقة العبودية الجزئية، يا جونا.

صرخت جونا بغضب يكاد يُمزق الليل الهادئ:

- ماذا فعلت؟ لماذا؟ أخبرني فقط لماذا؟

كانت كلماتها تخرج بحرقّة، وكأنها تحاول أن تستوعب الحقيقة التي قذفت بها فجأة.

كاساندر، الذي كان يتوقّع رد فعلها العنيف، أمسك بقمها برفق، محاولاً كبح جماح صوتها الذي كان على وشك إيقاف الأطفال. كان يعرف أن هذا القرار سيثير عاصفةً من المشاعر في قلبها، لكنه لم يكن لديه خيار آخر. رأى دموعها تبدأ بالنزول، تلك الدموع التي كانت تعبّر عن الألم والخوف من المستقبل المجهول.

- دَعِينَا نتحدّث خارج المنزل، يا عزيزتي. سأخبرك بكل شيء.

كانت كلماته تحمل نبرةً من الحزن والقلق، لكنه كان يعلم أن هذا الحديث يجب أن يتم في مكان بعيد عن أعين وأذان أطفالها.

بخطواتٍ ثقيلة، ترك كاساندر المنزل وتبعته جونا، تتكسر روحها مع كل خطوةٍ تخطوها، وكأنها كانت تسير نحو مواجهة حقيقة لم تكن مستعدةً لها. عندما خرجا من المنزل واصطدم جسدهما ببرودة الليل وهدوء المكان، كانت جونا تشعر بأن السلام الخارجي كان يُناقض العاصفة التي تدور في داخلها.

وقف كاساندر في مُواجهتها، يتأمل وجهها الذي اختلطت فيه المشاعر، وقال بصوت هادئ لكنه مُثقل بالمسؤولية:

- عزيزتي، عندما قررنا أن نُنجب أطفالاً، عاهدنا بعضنا البعض أن نفعل كل شيء ليكونوا ناجحين ومُستقلّين بأنفسهم، أليس كذلك؟

كانت كلماته محاولة لتذكيرها بالوعد التي قطعها يوماً، كان يعلم أن هذا لن يكون كافياً لتخفيف الألم الذي تشعر به.

جوننا، التي كانت دموعها تملأ عينيها، لم تستطع إلا أن تهمس بصوت
مخنوق:

- صحيح... ولكن لم أتصوّر أن يصل الحال بنا إلى هذا... لم أتصوّر
أن نضطرّ إلى التخلّي عن حرّيتنا.

كانت كلماتها تحمل شعورًا بالخيانة، ليس من كاساندر، بل من الحياة
نفسها التي دفعتهم إلى هذا الاختيار المؤلم وبدا ذلك في صوتها المخنوق
بالعبرات:

- لقد خلقنا أحرارًا يا كاساندر... كيف لي أن أقبل عبوديتك
ورحيلك عنا؟

اقترب كاساندر منها، مدركًا لثقل ما يطلبه منها، ووضع يده بلُطف
على كتفها، وقال بحنان يشوبه الألم:

- ستكون عبوديتي لفترة تسعة أشهر لا أكثر، سأعمل في المناجم يا
جوننا، وبعدها سأجني أموالًا تكفينا لإرسال الثلاثة جميعهم للدراسة،
وتأمين حياة أفضل لنا.

كان يُحاول أن يجعلها ترى الصورة الأكبر، لكن قلبه كان يعتصر من
الألم وهو يطلب منها أن تتحمّل هذا العبء.

حاولت جونا الاعتراض، كانت الكلمات تندفق على شفّيتها، ولكن
كاساندر وضع إصبعه برفق على فمها، كما لو كان يُحاول أن يمنعها من
زيادة جروحها بالكلمات:

- فَكَّرِي بَصَمْت، يا جونا. ما الذي سنَجنيه من بقائي هنا وقد بات
حالتنا إلى الأسوأ؟

ثم واصل في مرارة:

- سأتألم وأنا أراكِ تحاولين إخفاء جوعك كي تتمكن من إطعام
الأطفال. سأموت وأنا أشاهد ريتا تُعلّم نفسها بنفسها وفي قلبها شَفَقَة
على حالها. سأموت قهراً إن بقيت أوضاعنا هكذا.

كانت كلماته صادقة ومؤلمة، ولكنها رغم ذلك تعكس الواقع الذي
لم يعد بإمكانها الهروب منه.

جوننا لم تستطع أن تحتمل، بدأت دموعها تنهمر بغزارة، كنهز لا
يمكن إيقافه.

- عِدني... عِدني أنك ستعود بسلام، لِنُكمل حياتنا معا

كانت كلماتها تحمل الأمل الأخير الذي تعلق به قلبها، الأمل بأن هذا
الفراق سيكون مؤقتاً، وأن الحياة ستعود إلى ما كانت عليه.

كاساندر، الذي كان يحاول جاهدًا أن يظل قويًا أمامها، حاوَّطَ جسدها بذراعيه، وكأنه يُحاول أن يحميها من الألم الذي يُوشك على تدميرها.

- أعدك...

ثم أخرج كيسًا صغيرًا من جيبه، وضعه في يد جونا بحنان، وقال:

- هذه دفعة صغيرة أعطاني إياها المسؤول. دَبّري بها الأشهر التسعة القادمة.

كان يعلم أن هذا المال لن يكون كافيًا، لكنه كان كل ما يملك في تلك اللحظة.

حَضَّتْه جونا بكل قوتها، وكأنها تُحاول أن تزرع في جسده ما تبقى من حبها وقوتها.

- إن لم تُعد يا كاساندر، سأقتل مسؤولك وكلّ من سعى بهذا الأمر بيديّ الاثنتين.

كانت عيناها بتلك اللحظة تحمل تهديدًا حقيقيًا، لكنه كان ينبع من خوفها العميق من فقْدانه.

ضحك كاساندر بخفة، ثم أردف قائلاً:

- أعلم أنك ستفعلين ذلك، لكنني أعدك، سأعود بعد تسعة أشهر
وسأكون بين يديك.

فجأة، صدر صوت من البحر كالصفير، كان نداء الرحيل الذي كان
يُحشاه كلاهما.

- ها قد أتوا...

قال كاساندر، وكانت كلماته تحمل شعورًا بالاستسلام للقدر.

- إلى اللقاء، وكوني قوية...

كانت تلك هي كلماته الأخيرة، قبل أن يرحل، ويختفي في الظلام.

جوننا، التي لم تستطع إلا أن تشاهد ظهره وهو يتعد، انهارت على
الأرض. بُكاؤها كان صامتًا، لكنه كان مليئًا بالألم واليأس، كصراخ
مكتوم في قلب الليل. كانت تبكي كالأطفال، كأنها تُحاول أن تطلق كل
مشاعرها الحزينة في تلك اللحظة التي شعرت فيها بأنها فقدت جزءًا من
نفسها.

في صباح اليوم التالي، استيقظت جونايشن وهي تبحث بعينها الصغيرتين في أرجاء المكان، كان هناك فراغ غريب في المنزل، غياب ما تستطيع تفسيره. التفتت إلى والدتها، التي كانت منهمكة في إعداد الفطير. ورأت في عينها الحنان الذي اعتادت عليه، ولكن خلف ذلك الحنان كان هناك شيء آخر، شيء لم تستطيع جونايشن فهمه بعد.

- عمّ تبحثين، يا صغيرتي؟

سألت جونا بصوتها الهادئ.

تردّدت جونايشن للحظة، ثم قالت ببراءة:

- لم أشاهد والدي، فهو دائماً ما يكون الأول في النهوض.

كان غياب والدها هذا الصباح شيئاً غير مألوف لها، فقد اعتادت عمي

رؤيته يسبق الجميع في الاستيقاظ.

ابتسمت جونا، مُحاولاً إخفاء القلق الذي يعتصر قلبها، وقالت

بأنف:

- عزيزتي جونايشن، والدك ذهب ليعمل وسيعود قريباً.

حاولت أن تبدو كلماتها مطمئنة، ولكنها كانت تعلم أن هذه الكلمات

تُخفي وراءها حقيقة قد تكون أكثر صعوبة على الأطفال لفهمها.

ساحرة أدغشتری

لكن قبل أن تتمكّن جونا من التقاط أنفاسها، جاء صوت ريتا من الخلف، فضوليًا وقلقًا:

- قريبًا؟ متى؟

كانت ريتا، دائمًا الفتاة التي تطرح الأسئلة، لا تقبل بالإجابات العامة. أرادت أن تعرف متى بالضبط سيعود والدها، وكأنها تريد أن تطمئن نفسها بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

جونا، التي كانت تحاول الحفاظ على هدوئها، أخرجت نفسًا طويلًا من فيها وقالت:

- قريبًا، يا ريتا. وبعدها سنُرسلكم جميعًا إلى التعليم العام، ومن يدري، قد نذهب معكم.

كانت تحاول أن تزرع فيهم الأمل، أملًا بمستقبل أفضل، ولكنها تعلم أن هذه الكلمات تحمل في طياتها وعدًا قد لا يكون سهل التحقيق.

صرخت ريتا بسعادة مفاجئة، وكأنها وجدت في كلمات والدتها بارقة أمل جديدة:

- هل تقولين الحق يا أمي؟

كانت فرحتها بريئة، كفرحة طفلة ترى أمامها مستقبلًا مشرقًا.

ضحكت جونا، تلك الضحكة التي تحاول بها دائماً إخفاء همومها وراء قناع من التّفاؤُل.

- يا غبية، منذ متى والدتك تكذب؟

كانت تُحاول أن تجعل الجو أخفّ، أن تُزيل يُقل الكلمات عن كاهلها ولو للَحظة.

لكن صرخة ريتا السعيدة أبقظت باراد ومارو من نومهما، نهضتا بضجّر، فقد كانا يعشقان النوم أكثر من أي شيء آخر.

- ما الذي تفعله هذه المُتذاكية؟ وما كلّ هذا الإزعاج؟

قال باراد بلهجة مليئة بالضجّر، وهو يحاول أن يفتح عينيه بصُعوبة.

لكن جونايشن، ببراءتها المعهودة، ردّت ببساطة:

- ستذهبون إلى المدرسة قريباً!

لم تكن تُدرك أن كلماتها تلك سُسّير في قلوبهم الرُّعب أكثر مما ستجلب لهم السعادة.

صرخ باراد ومارو معاً، وكأنهما تَواصلا في خوفهما:

- ولكننا لا نُريد ذلك!

كان الخوف يُسيطر على وجهيهما، ففكرة التعليم كانت مُرعبة لهما،
شيء غير مألوف يُبعدهما عن الحياة التي يعرفانها.

نظرت إليهما جونا، تلك النظرة التي كانت تعرف كيف تُلجِم بها أبي
تمرّد أو رفض. ثم قالت بصوت هادئ لكنه مليء بالجدية:

- هل تُريدون أن تُصبحوا مثلي ومثل والدكم في المستقبل؟
تُصارعون لأجل لُقمة العيش ولا تمتلكان شيئًا يُذكر؟

كانت كلماتها تذكيرًا مُرًا بالحياة الصعبة التي عاشتها هي وزوجها،
حياة ملؤها الكفاح من أجل البقاء.

هزّ باراد رأسه نافيًا، وفي عينيه احترام وحبّ لوالدته:

- أنتم قُدوتي في الحياة، أريد أن أكون مثلكم في كل شيء.

قالها بصدق، وأيده مارو..

لكن ريتا، التي كانت دائمًا تفكر بطريقة مختلفة، ظلّت صامتة، تنظر
إلى الأرض بخجل، وكأنها تخشى أن تكون رغباتها مُختلفة عن رغباتهم.
كانت تعرف أن قلبها يطمح لأكثر من مجرد حياة بسيطة، ولكنها لم تكن
تعرف كيف تُعبّر عن ذلك دون أن تجرحَ مشاعر والدتها.

رأت جونا في صمت ريتا ما لم يستطع الآخرون رؤيته، اقتربت منها
بحنان وقالت:

- أنتِ لستِ مثلهم يا عزيزتي، وهذا ليسَ خاطئًا. لديك الكثير من
الطمّوحات التي لا تكفيها جدران منزلنا. نحن شيء طبيعي ألا نكون
مثلك الأعلى ياريتا.

كانت كلماتها تحمل في طياتها فهمًا عميقًا لطبيعة ابنتها، وكأنها تقرأ في
قلبها وتعرف ما يجول في خاطرها.

ريتا، التي شعرت بأن والدتها قد فهمتها، حاولت أن تُبرّر:

- لم أقصد ذلك...

وجهها امتلأ بالخجل، بسبب شعورها بأنها قد أساءت لوالدتها
أمامها.

رَبَّتْ جونا على رأسها برفق، وقالت بابتسامة دافئة:

- كل شيء سيكون مثلما تريدين بعد عدّة أشهر، يا عزيزتي.

مرّت ستة أشهر وسبعة أيام منذ رحيل كاساندر، والحنين لم يفارق
قلوب عائلته. كل ليلة، كان باراد ومارو يصعدان إلى أعلى نقطة في القرية،
حيث يمكنهما رؤية البحر بوضوح. كانا يجلسان هناك، يُراقبان الأفق
بعيون مليئة بالترقب، بينما تزداد أعداد الأيام التي تسجلها ريتا على

الورقة بجانب سريرها، تلك الورقة التي أصبحت شاهدة على غياب والدها، وكانت تضيف رقماً جديداً كل ليلة، داعية الله أن يعود سريعاً.

في هذا الوقت، كانت جونا تجلس وحيدة في المنزل، في نفس المكان الذي كان يجمعها بزوجها بعد أن ينام الأطفال. تصنع كوبيين من شاي الأعشاب كعادتها، ولكنها الآن تتحدّث إلى الفراغ، تمكّي له عن يومها وتفاصيل حياتها، وكأن كاساندر ما زال يجلس بجانبها. لكن عينيها كانتا تغرقان في الشوق، وكلّ رشفة من كوبها كانت تزيدها حنيناً إليه.

جونائش، تلك الطفلة المدلّلة التي كانت الأقرب إلى قلب والدها، لم تستوعب سبب اختفائه. كانت تبكي بين الحين والآخر، باحثة عن حضن والدها الذي اعتادت عليه، وكانت ترفض كل محاولات التهدئة التي يقدمها أهل القرية، حتى أن الحلويات والألعاب لم تكن كافية لإسكاتها إلا لبضع لحظات قصيرة.

كان الجميع ينتظر عودة كاساندر بفارغ الصبر. الأيام الطويلة مرت بصعوبة، ولم يتبقّ إلا القليل من الوقت، القليل فقط. لكن مع اقتراب النهاية، بدأ الأمل يخفّ في قلوبهم.

في إحدى الليالي، وبينما كان الأخوان جالسين في مكانها المعتاد، نظر مارو إلى البحر بعيون مليئة بالأس وقال لباراد:

- بقيت ثلاثة أشهر ويعود والدي، هل تعتقد أنه حقا سيعود؟!

باراد، الذي كان يحاول دائماً أن يبقى الأمل حياً في قلب أخيه، رد
قائلاً:

- سيعود قريباً، أنا متأكد من ذلك. انتظر يا أخي، وسترى عودته
وبرفقته الكثير من المال الذي سيجعلنا نتقل بأكملنا إلى المدينة ونبدأ
حياة جديدة.

لكن مارو، الذي كان يخشى التغيير، قال:

- ولكني لا أريد أن أتعلم، وأنت أيضاً لا تريد ذلك.

ابتسم باراد بحُزن وقال:

- صحيح، لا أريده، ولكن سأفعل كل شيء لأجعل والدينا
فخورين بي.

ثم فجأة، وقف مارو وعيناه مفتوحتان على مصراعيهما نحو البحر
وقال بصوت مُنخفض:

- انظُر...

ثم أردف بكلّ قوّته:

- انظر يا بارادا هناك سفينة قادمة إلى قريننا!

أمسك باراد بمنظار خشبي مُهترىء ونظر نحو البحر، ورأى السفينة تقرب، فابتسم بسعادة وقال:

- صحيح، لقد عاد والدي يا ماروا لقد عادا

ركضنا نحو القرية وهما يصرُخان بأعلى صوتيهما:

- كاساندر قادم! والدي قادم أخيراً!

كان صوتهما يُمزق سكون الليل، وكانا مليئين بالحماسة والفرحة، وكان هذه اللحظة كانت حلمًا طال انتظاره.

تجمع أهل القرية حولهم بسرعة، وكان الحكيم ناروا بينهم. نظر إليهما وقال بشك:

- ماذا تقول يا بني؟ هل أنت متأكد؟

كان قلبه يريد أن يصدّق، ولكن عقله يخشى أن يكون الأمر وهمًا.

ثم أضاف مومو، بصوت يعكس الشكوك التي تجول في قلبه:

- بصراحة، توقّعت أننا لن نراه مجددًا.

ولكن كلماته أثارَت غضب زوجته العجوز والتي تُدعى نونرا،

فضربتَه على رأسه بكلّ قوة وقالت:

- ما الذي تقوله أيها الأحمق؟ هل تريد دَبّ الحزن في قلوب هؤلاء

الأطفال؟

ضحك ناروا وقال بسخرية:

- أحمق كعادتك يا مومو، عار عليك أن تقول أنك من الحكماء.

وبدأ الاثنان في الخصام كعادتهما، بينما تجاهل الجميع شجارهما واتجهوا نحو البحر، حيث كانت السفينة تقترب من اليابسة.

اقتربت السفينة من الشاطئ، وبدأ الناس ينزلون منها واحدًا تلو الآخر على متن قوارب صغيرة. كانت جونا قد وصلت هي وأطفالها، وعيناها لا تزال معلقة ببوابة السفينة، تنتظر بشوق أن ترى زوجها بين النازلين. ولكن كلما نزل شخص، ولم يكن هو، ازداد قلبها ثقلاً.

مرت الدقائق ثقيلة كالساعات، حتى انتهى كل الركاب من النزول. بعضهم كان من أهل القرية، وبعضهم من قرى قريبة. بسبب موقع قرية "آدغشتری" المميز على البحر، توقفت السفينة هنا كوجهة أخيرة قبل أن تواصل رحلتها إلى بريطانيا.

ظهر أخيراً رجل يرتدي زياً رسمياً، وعلى كتفيه نجوم كثيرة. كان بشعره الأشقر وبشرته البيضاء، وعينيه الزرقاوين اللتين تعكسان غروراً مقززاً. ركضت جونا نحوه فوراً، قلبها ينبض بالخوف والقلق، وسألته بصوت يرتجف:

- أين زوجي؟

نظر إليها الرجل بدهشة لثوانٍ قبل أن يُجيبها ببرود:

- ما اسمه؟

ردّت بسرّعة، وكأنها تُحاول أن تُمسك بخيط أمل:

- كاساندر آرمارون.

صمّت الرجل لبرهة، ثم أشار إلى أحد مساعديه ليحضر ورقة بيضاء طويلة. نظر إليها قليلاً، ثم قال ببرود:

- تقصّدين ذلك الرجل؟ لقد مات. ولأننا لا نظلم أحدًا، هذه بقية الأموال، الاتفاق يبقى اتفاق. ورمى نحو الأرض بجانبها كيسًا مليئًا بالذهب، وكأنه يرمي عبثًا ثقيلًا عن كاهله.

نظرت جونا إلى الكيس بعيون مليئة بالغضب والدموع، ثم فجأة، وبدون تفكير، ركضت نحو الرجل وأمسكته من ياقةٍ معطفه وقالت بصوت مُتهدّج:

- ما الذي قلته؟

وجّه الجنود أسلحتهم نحوها فورًا، ولكن الرجل رفع يده لهم ليخفّضوا أسلحتهم. ابتسم ببرود وقال:

- ما تفعلينه يُعد جريمة في قانوننا يا سيدة آرمارون.

لكن جونا، وهي تحاول بكلماتها كَبَتَ دموعها، رَدَّت بصوت مملوء
بالغضب والحزن:

- لا أُبالي بقانونكم الخالي من الإنسانية. كل ما يهمني الآن أن أعرف
ما الذي حدث لزوجي.

ثم صرخت في وجهه بكل قوتها:

- ما الذي فعلتموه به، أيها الطُّغاة؟

نظر العبيد الذين كانوا على متن السفينة، والذين كانوا يتشاركون
نفس المصير مع كاساندر، إلى بعضهم البعض بحُزن وذلٌّ، وكان ما جرى
لهم في تلك الرحلة كان أكبر من أن يتحدثوا عنه، شيء لا يمكن للكلمات
أن تُعبّر عنه. كانوا شهودًا على ما حدث، ولكنهم كانوا مُحَمَّلِينَ بِعِيبِ
الصَّمْتِ والخوف.



(4)

قبل ستة أشهر وسبعة أيام، كان اليوم الذي قرّر فيه كاساندر أن يترك أسرته ورائه، يتطلّع إلى إيجاد رزق يوفّر لهم حياة أفضل. في ذلك الصباح، تجمع الرجال واحداً تلو الآخر على الشاطئ، حيث كان المركب الصغير ينتظرهم ليقلّهم إلى السفينة التي رسّت على مسافة أميال من الجزيرة بسبب ضخامتها وصعوبة رُسوّها على الشاطئ الصغير، حيث كان الموج هائجا، كان المركب ذا شراع واحد مجهّزاً لحمل خمسة عشر رجلاً، باستثناء قائد دقّته الذي بدا عجوزاً تخموراً أرنبّة أنفه حمراء لفرط مُعاقره الحمر.

على الساحل الصغير للجزيرة وصل خمسة وعشرون رجلاً، مما أثار بعض التساؤلات بينهم.

نظر الرجال إلى بعضهم البعض بحيرة، غير مدركين ما إذا كان هناك خطأ في الترتيبات أو أن قاربًا آخر سيأتي قريبًا لأخذ البقية. وسط هذا الارتباك، كانت ملامح العجوز، الذي كان المسؤول عن المركب، هادئة تمامًا، وكأنه اعتاد على مثل هذه المواقف. كان الرجل الضخم، المليء بالأوشام على جسده، أول من تحدّث بنبرة تهديديّة قائلاً:

- أخبرنا أيها العجوز، ما الذي يحدث هنا؟ هل هناك خطأ أم سيأتي مركب آخر قريبًا لأخذ الباقيين؟

ردّ العجوز بهدوء، بينما كان يحاول فتح زجاجة خمر رخيصة الثمن:

- لا تقلقوا، جميعكم ستصعدون على هذا المركب في جولة واحدة.

نظرت إليه أعين الرجال بتردد، وكان كاساندر من بينهم. لم يستطع مقاومة القلق الذي كان يتزايد في قلبه، فسأل العجوز بلهجة مشوبة بالشك:

- منذ أن وقفنا هنا وأنت تعبّ من تلك الزجاجة، هل بمقدورك

قيادة المركب إلى السفينة وأنت بهذه الحالة؟

خرجت من صدر العجوز ضحكة عالية، وكأنها لم تُسمع منذ سنوات، ثم قال بتهكّم:

- لا تخف يا بني، فنحن البحارة معتادون على السكر في البحر، حتى عندما ننام، تتحرك أيدينا تلقائيًا لتحرك دفة قواربنا نحو الاتجاه الصحيح.

لكن كلمات العجوز لم تكن كافية لتهدئة غضب الرجال. وبدأ الرجل الضخم، الذي عُرف لاحقًا باسم هينرو، يتحرك نحو العجوز بنية لكمه، ولكن صوتًا ضعيفًا ومنخفضًا من أحد الرجال أوقفه قائلاً:

- اهدأ يا هينرو، دعنا ننتظر ونشاهد ما سيحدث.

استجاب هينرو لهذا الأمر وكأنه لم يكن غاضبًا قبل لحظات، وعاد إلى مكانه بهدوء. لكن الجميع شعروا بأن الأمور لم تكن على ما يرام، وخاصة عندما حرّك العجوز دفة القارب باتجاه البحر وطلب من الجميع الركوب للمرة الأخيرة قبل أن يغادر. كانت نظرتة تحمل تحدّيًا واضحًا، وكأنه يقول لهم إنهم أمام خيارين: إما الموت جوعًا على اليابسة، حيث أنهم جميعًا قدموا مُرغمين بسبب الجوع والفقر، أو الموت غرقًا في البحر، خيارين كلاهما مُر.

مرت لحظات طويلة قبل أن يقفز أول رجل إلى القارب ويستقر على أحد المقاعد دون أن ينظر إلى الآخرين. كان ذلك الرجل هو الشخص

ذو البنية والصوت الضعيف. تبعه هينرو، الذي جلس بجانبه، وبعد لحظات من التردد، أغمض كاساندر عينيه لثوانٍ، مستعيدًا في ذهنه صورة عائلته، تلك العائلة التي علّقت عليه كل آمالها. ثم قفز نحو القارب هو الآخر..

تَوَالى الرجال بعده، يقفزون واحدًا تلو الآخر، بينما القارب بدأ يتحرك ببطء نحو البحر، متجاهلاً صراخ الساقطين في الماء. ضحك العجوز بسخرية وقال:

- لا نحتاج إلى الجبناء.

ثم صرخ فجأة، وكأنه تذكر أمرًا هامًا:

- وعليكم إعادة الأموال التي أعطيت لكم قبل أيام أيها الأغبياء.

بعد أن تخلّص العجوز من أربعة رجال، بقي في القارب واحد وعشرون شخصًا، متزاحمين في المكان، بينما كان المقعد بجانبه خاليًا، مخصصًا لزجاجات الخمر التي يُعبّ منها، مضى الوقت بطيئًا على من في المركب رغم بداية بُزوغ الفجر عندما سأل هينرو، بنبرة مملوءة بالضجّر:

- أيها العجوز، متى سنصل؟

انفجر العجوز غضبًا وقال بصوت حاد:

- اسمي ناراتشو، لم يُسمّني والدائي بهذا الاسم لتلقبني بالعجوز

أيها القرد الأسود!

لم يتمالك هينرو نفسه، فاندفع نحو ناراشو ولكمه بكل قوة على وجهه، مما أدى إلى خروج الدم من فمه مع أحد أسنانه، مغمورة بالدماء. حاول الرجل ذو البنية الضعيفة، الذي تبين لاحقاً أن اسمه رونا، أن يهدئ الوضع. أمسك بهينرو بكل قوته وهمس له ببعض الكلمات، ليعود هينرو إلى مكانه، وعلامات الهدوء تعود إلى وجهه مجدداً.

اقرب رونا من ناراشو، وهو يعتذر:

- اعذرنا يا ناراشو، ولكن هينرو لا يجب التبتجحين.

ثم جلس على الأرض أمامه، وأخذ ينظف السنّ المغمور بالدماء قبل أن يضعه في جيب ناراشو قائلاً:

- تستطيع الاحتفاظ به كذكرى لهذا اليوم أيها القبطان.

انفجر الجميع بالضحك، يسخرون من ناراشو ومن هيئته التي ذهبت مع أول لكمة. لكن ناراشو لم يستسلم للضحك، وقف فجأة ونظر إليهم بغضب، مما جعلهم يصمتون فوراً. عاد إلى مقعده، وتحكم في دقة القيادة بصمت، ومرت بعدها قرابة الساعة من الصمت الثقيل.

وأخيراً، تبينت من بين الضباب سفينة كبيرة جداً، منحوت في مقدمتها تمثال لفتاة بذيل سمكة، وقد ارتسمت على ملامحها ابتسامة غامضة. كلما اقترب قارب ناراشو من السفينة، ازدادت تفاصيل التمثال وضوحاً، وازداد تعلق أنظار الجميع به. قال هينرو لرونا:

- أتصدق بوجود مخلوقات كهذه؟

ابتسم رونا بهدوء ورد قائلاً:

- في عمق البحر، توجد أشياء كثيرة لا يصدقها العقل.

فور اقترابهم من السفينة، أمسك ناراشو ببُوقِ مَصنوع من جلد حيوان غريب، ونفخ فيه ليصدر صوتاً قوياً، كان كاساندر قد سمعه من قبل عندما ودّع زوجته. سقط حبلٌ غليظ الحجم من السفينة، تنلّى منه مجموعة من العُقد، وأعلن ناراشو بنبْرةٍ حادة:

- هنا تنتهي مهمتي معكم. هيا، اخرجوا من قاربي أيها الرّعاع.

أخذ ناراشو إحدى زجاجات الخمر من المقعد بجانبه، وعبّب ما فيها بجوفه دفعة واحدة. نظرَ إليه كاساندر بازدراء قبل أن يقفزَ نحو الجبل بكل قوة، ويتمسك بأول عُقدة، ثم بدأ يصعد عُقدة تلو الأخرى حتى وصل إلى قمة السفينة بسلام.

نظر رونا إلى هينرو بابتسامة وقال:

- لقد أعجبني.

ردّ هينرو بغرور:

- لا بأس به، قد يكون أفضل الموجودين هنا.

ثم قفزَ رونا وصعد إلى السفينة خلف كاساندر، ليتبعه هينرو وبقية الرجال. فور صعودهم، وجدوا أنفسهم محاطين بعشرات الأشخاص يرتدون بدلات عسكرية أنيقة، وكانوا جميعًا ذوي بشرة بيضاء ناصعة. في وسطهم، كان هناك رجل يجلس على كرسي فاخر، يرتدي بذلة مُماثلة، ولكنها مُغطاة بالشعارات والرموز التي تُوحى بأنه شخص ذو أهمية كبيرة حسبها كان يُوحى مظهره.

ابتسم الرجل وقال بصوت هادئ:

- ها قد أتيتم، كنت مُتسوقًا لقدومكم.

نهض من على مقعده وعقدَ كَفَّيه خلف ظهره ثم اقترب منهم وظلَّ يتأملهم واحدًا تلو الآخر بصمت، حتى وقعت عيناه على رجل قصير القامة ومتين البنية. توقف أمامه وقال، بينما لم تختفِ الابتسامة عن وجهه:

- ما اسمك؟

شعر الرجل بالارتياح من ابتسامة القائد ورد بثيقة:

- جاراوي، سيدي.

سرعان ما سقط (جاراوي) على ركبتيه متلويًا من الألم بعد أن تلقى ضربة عنيفة على بطنه. الرجل الذي وقف أمامه، مرتديًا زيًا عسكريًا مزخرفًا بشارات متلألئة، كان يبدو عليه الهدوء التام، كأن شيئًا لم يحدث.

لكن تحت هذا الهدوء السطحي، كانت تتلألأ في عينيهِ شرارات من
السخرية والجبروت.

حينها سمع كاساندر صرخات جاراوي، تملكه الغضب، واندفع إلى
الأمام متسائلاً بحدّة:

- أيها المجنون، ما الذي فعلته؟

كانت كلمات كاساندر محمّلة بالدهشة والخوف على حد سواء.
لوهلة، تحوّل وجه القائد إلى قناع من الغضب البارد، لكن سرعان ما عاد
إلى ابتسامته المعتادة، تلك الابتسامة التي لم تكن تشير إلا إلى شيء واحد..
السخرية الباردة.

اقترب القائد بخطوات هادئة وثابتة من كاساندر، وكان الجميع
يراقب في صمت يشوّهُ التوتر. قال القائد بصوت هادئ لكنه مُفعم
بالتهديد:

- ومن تكون أنت؟

ثم وقف أمامه، وتبادلا نظرات حادّة. قال كاساندر بحزم:

- اسمي (كاساندر)، ولم أتشرّف بِلِقائك.

عاد القائد إلى مقعده، وكأن شيئاً لم يحدث، وقال بصوت مسموع
للجميع:

- أنفهم غضبك، ولكن عليك أن تعلم أن شروط العبودية التي وضعناها تنص على أن يكون العبد طويلاً أو متوسط الطول ذا بُنية معتدلة أو قوية، نحيفاً أو معتدلاً الجسد لتحتمل ضغوط العمل. وصديقنا القزم جاراوي هنا، قذّف بشروطنا عرض الحائط.

ثم أدار رأسه إلى جانبه حيث همس أحد جنوده في أذنه، وناول القائد كتاباً أزرق اللون. فتح القائد الكتاب وتصفح صفحاته قبل أن يتيسم ابتسامة صفراء وقال بصوت لاذع:

- يبدو أنك يا جاراوي قد ارتكبت خطأ فادحاً. هل تود الاعتراف به؟

في هذه اللحظة، انهار جاراوي بالبكاء وأخذ يتوسل إلى القائد قائلاً:

- أرجوك يا سيدي، لقد فعلت ذلك لأحل محلّ ولدي الوحيد. علمت أنه وقع ورقة العبودية لأجل علاج والدته، وهو صغير العمر لا يتحمل مشقة العمل، فادّعت أنني هو. أرجوك، سامحني، وأعدك بأننا سنعيد المال حال توفّره.

ضحّ القائد بضحكة شيطانية مُنعمّة بالسخرية جعلت قلوب الجميع ترتجف رعباً. كانت شخصيته مخيفة، ومن الصعب التكهّن بتحركاته القادمة. نهض مجدداً من على مقعده واقترّب من جاراوي، وجلس أمامه،

مسدداً نظراته الفاسدة إلى عينيه المذعورتين، وقال بصوتٍ هادئٍ ثم
ساخرةً.

- هل أنت خائف مني؟ لا تقلقي، فأنا أقدر لك خوفك على ابنك.

لكن تلك اللحظة الهادئة لم تدم طويلاً. وقف القائد فجأة، وابتعد
نحو حافة السفينة، حيث ظل ينظر إلى البحر، متأملاً أمواجه المتلاطمة
وهمس بصوت بالكاد تُسمع:

- أما علموا أنني كالبحر، الذي لا يقتر موجّه ولا يهدأ!

ثم صرخ بصوتٍ مُخيفٍ ملاً المكان:

- اقدّفوا هذا الجرّذ إلى البحر!

حاول كاساندر التّدخّل لإنقاذ جاراوي، ولكن يداً ضعيفةً أمسكت
به من الخلف. كانت يد رونا، الذي نظر إليه بعينين باردتين وأشار له
بالبقاء هادئاً. في تلك اللحظة، حمل أحد جنود القائد جاراوي بقوةٍ وقذفه
إلى البحر، لتختفي صرخاته المذعورة في عمق المياه وتعود السفينة إلى
هدوئها القاتل.

نزل الصمت على الجميع كما لو أن شيئاً لم يكن. اقترب أحد
المساعدين من القائد وسأله:

- أيها القائد ميرال، ما الذي سنفعله بالبقية؟

فردَ القائدُ بهدوءٍ وكأنه قد نسيَ للتو ما حدث:

- خذوهم إلى الأسفل حتى نصِل، فأنا لا أطيق رؤية وجوههم
السوداء يا يارابوني.

تدافع الجميع نحو قاع السفينة حيث جلسوا بقلوب مليئة بالغضب،
شعورهم وكأنهم في سجن لا مفرّ منه. كان هينرو من بين الجالسين، وبدأ
يتذمّر من الوضع قائلاً:

- هل سنبقى مسجونين هكذا، رغم كل ما فعلوه بجاراوي؟

لكن رونا كان له رأي آخر، رد عليه بصوت بارد:

- مهمتنا تقتضي البقاء تسعة أشهر معهم، ويعدها سنرحل. لذا دعنا
لا نهتم سوى بأنفسنا.

التفت كاساندر إلى رونا بنظرة تفرّز، لكن الأخير لم يبد أي اهتمام.

بعد لحظات، فُتح الباب ودخل رجلان يحملان أوعيةً تحتوي على
طعام كَرِهه المظهر، أقرب إلى القِيء، وألقيا بها أمام الجميع وقال أحدهم
بلهجة ساخرة:

- وجبة العشاء!

وأضاف الآخر بسخرية:

- يفضّل أن تتناولوها قبل أن تبرد، فسيُصبح طعمها أسوأ!

مرّ اليومان التاليان ببطء قاتل، وتلقّى الجميع وجبتين يوميًا من نفس
الطعام التّين وفي منتصف اليوم الثالث، فُتح الباب فجأة، ودخل يارابوني
وهو يصرُخ:

- اخرجوا أيها العبيد، لقد وصلنا!

تحركّ الجميع بعَجَلَة، لكنهم قُوبلوا بسوِّطٍ نزل بقوة على ظهورهم،
حيث صرخ الرجل الذي يحمل السوِّط بغضب:

- اخرجوا بالترتيب وهدوء أيها الأوباش!

اشتعل غضب كاساندر في تلك اللحظة، واندفع ليضرب صاحب
السوِّط بكل قوّته، فأسقطه أرضًا.

في تلك اللحظة، وُجّهت جميع البنادق نحو رأس كاساندر، وكانت
الجنود على أهبة الاستعداد لإطلاق النار، لكن الأوامر لم تأت بعد. كانت
وجوههم باردة، وكانهم أجهزة مُصمّمة لتنفيذ الأوامر دون تفكير.

اقرب القائد ميرال بخطوات ثابتة من كاساندر، وقال بعد تأمّل
وجهه للحظات:

- يبدو أن البطل لا يكفّ عن إظهار نفسه.

ردّ كاساندر بغضبٍ يشتعل في عينيه:

- لقد استأجرتنا لنقوم بما يعجز عنه رجالك، لا لكي تُهيننا.

في تلك اللحظة، انفجر القائد بضحكة صاخبة ملأت المكان. كانت ضحكته مرعبة لدرجة أنها جعلت الجميع يشعرون بالخوف، حتى جنوده الذين كانوا يقفون متجمدين في أماكنهم. بعد أن هدا قليلا، قال بسخرية:

- ماذا جرى لهذا العالم، يُجادلني عبدٌ أسود يتحدث عن الإهانة، وكان له كرامة من الأصل!

لم يستطع كاساندر الرد، فقد كان القائد أسرع بلكمة قوية أسقطته أرضاً. ثم أمر صاحب السوط أن يضرب كاساندر بلا هوادة حتى أثنى جسده. بقي كاساندر مستلقياً على ظهر السفينة لساعات، يتلقى الضربات الواحدة تلو الأخرى، حتى ظن أن الموت قادم لا محالة.

رفع نظره إلى السماء، بعينين مليئتين بالأم، ورأى أمامه صورة عائلته، تنظر إليه بحزن ورافة. ابتسم شوقاً إليهم، ورفع يده نحو السماء نحوهم، قبل أن يغيب عن الوعي، تاركاً وراءه جسده الذي أنهكه الألم.



فتح كاساندر عينيه بعد برهة ليجد رونا يعنني به، بينما كان هينرو ينظر إليه من بعيد بعدم مُبالاة. حاول كاساندر النطق رغم الألم الذي يتخلل جسده بأكمله، ولكن رونا منعه بيده عن الكلام وقال له بلطف:

- لا تقل شيئًا، حاول بطاقتك الباقية مُعالجة جسدك داخليًا.

وفي تلك اللحظات، بدأت أصوات السياط تعلو، وصراخ الرجال يتردّد في الهواء بينما كان العبيد من جنسِه يتعرّضون للضرب بلا حول ولا قوة. اعتصرَ كاساندر الألم داخل جسده مرتين؛ ألم الضرب وألم القهر مما أوصلتهم إليه الحاجة.

بصوتٍ غير صبور، قال هينرو لرونا:

- لم يُعطينا اللعين ميرال سوى عشرين دقيقة للعناية به، ويبدو أن الوقت قد انتهى. دعنا نذهب قبل أن يغضب.

رونا لم يرفع نظره إليه، وقال بهدوء:

- اذهب أنت، سألاقيك في الحال.

هينرو تردد قليلاً وقال:

- ولكن...

قطعَ رونا كلامه:

- لن أتأخّر، فقط سأطمئن إن كان يستطيع تدبّر نفسه حتى نهاية اليوم وساعود.

بعد ترددٍ قليل، غادر هينرو بسرعة نحو الجزيرة، بينما ذهب رونا إلى أسفل السفينة ليحضر كوبًا من الماء وبقايا طعام طاقم السفينة. وعندما عاد، وضع الطعام بجانب كاساندر الذي كان طريقًا على ظهر السفينة بكل ضعف، وهمس له بائسامة:

- لقد سرقتُ الطعام لأجلك، حاول أن تأكل قبل أن يراك أحد.

نظر كاساندر إلى الطعام بيدين مرتجفتين، بدا له شهيقًا رغم أنه مجرد بقايا. لكنه في اللحظة التي همَّ فيها بقضم قطعة منه، تراجع. كان شعور الذلّ والهوان يفوق طاقته؛ تناول بقايا طعامهم سيّز يد هذا الذلّ أضعافًا. أراد بتصرّفه هذا أن يُعيد بعض الكبرياء لجسده المُتهالك.

بعد وقتٍ ليس بالقليل، نهض كاساندر بتأقّل من مكانه ونزل بواسطة الحبال باتجاه الجزيرة. هناك وجد الجميع قد أخذوا مواقعهم في المناجم وأتموا جزءًا كبيرًا من الحفر. فور وصوله، اقترب منه يارابوني بهدوء وقال:

- أنت، اذهب إلى الجزء الشمالي من الجزيرة. سيكون عملك تحت قيادة مراتو.

ذهب كاساندر بصمت إلى المكان المقصود، وهناك وجد مراتو، صاحب السوط الذي كان سببًا في آلامه، واقفًا يُلقي الأوامر يمينًا ويسارًا. تمالك كاساندر نفسه وسأل بصوت خافت:

- ما هو عملي يا سيدي؟

ابتسم مراتو بنُحْبث وضحك بسُخرية، وقال:

- اذهب أيها العبد إلى المنجم الثالث شمالاً، عملك هناك.

عند وصوله إلى المنجم الثالث شمالاً، وجد رونا وهينرو في المنجم الثاني يَحْمِلان الأحجار صعوبًا لأعلى. بدت على وجه رونا علامات القلق، لكن كاساندر تجاهلها وتوجّه إلى أسفل المنجم المُظلم، حيث الغبار يملأ المكان والضوء خافت من المصابيح المعلقة. ربط قطعة قماش على أنفه وفمه ليمنع دخول الغبار، وأمسك بالمِعْوَل، ليبدأ بضرب الأحجار بكل قوّة.

مع مرور الوقت، بدأ الهواء في المكان يقل، وأصبح المنجم ضيقًا كالقبر. العمال يتمنون لو يستطيعون الخروج للحظات فقط لاستنشاق بعض الهواء النقي، لكن السياط لا ترحم. كلما شاهد الجنود شخصًا يتباطأ في عمله، لا يتوانوا عن ضربه.

وعندما حلّ الظلام وأعلن أحدهم بصوت عالٍ أن العمل لليوم قد انتهى، ترك الجميع ما يحملونه وسقط البعض من فرط التعب. تمالك كاساندر نفسه بصعوبة وتحرك بخطوات بطيئة نحو الأعلى، وحين رأى نور القمر والنجوم في السماء، سقط أرضًا كأنه جثة، لم يتحرك، بل وقد دُغست يده وقدماه بالخطأ، ولكنه من فرط تعبهِ لم يقوَ حتى على الصراخ. تساءل في داخله: "هل سألتقي بأسرتي مجددًا، أم أنني كتبتُ على نفسي الموت في هذه الرحلة؟"

جلس شخص بجانبه، نظر كاساندر بطرف عينيه ناحيته ليجد أنه رونا. كان رونا ينظر إلى السماء هدهوء، وكان الأفكار نفسها التي راودت كاساندر قد خطرت على باله. قال كاساندر بصوتٍ مُنخفض:

- أشكرك على ما فعلته لي في السفينة.

ابتسم رونا وقال بعد وقتٍ طويل:

- نحن جميعًا في مركب واحد، تمضي بنا الأيام نحو موجة واحدة. أنا متأكد أنني سأحتاجك يومًا.

وصل هينرو إلى المكان، والغضب مرسوم على وجهه، وقال بتذمر:

- أولئك البيض يجعلونني أرغب في تمزيق أجسادهم وإطعامها للكلاب الضالة.

سأله رونا:

- ما الذي حدث؟

صمت هينرو لحظة ليكبّت غضبه، ثم قال:

- أردت شرب ماء من النهر، فأبعدوني وقالوا بسخرية إنني إذا لمستُ الماء سيُصبح نجسًا. لكمتُ أحدهم، ولكن الآخرين تعاونوا ضدي وضربوني بالسوط على ظهري.

نهض رونا وأبعد رداء هينرو ليظهر ظهره العاري مليئًا بضربات
السوط، وقال بغلّ:

- يعاملوننا وكأننا بغال ولسنا بشرًا مثلهم.

تساءل كاساندر:

- هل يُريدون الحُصول على كل مياه النهر؟

ثم واصل في ارتباع:

- وماذا نشرب نحن ومخلوقات الربّ الهائمة في أرجاء المكان؟

أجاب هينرو:

- سيصنعون سدًا بالأحجار. الماء القادم من تجرى النهر لهم،

والمترّب بإرادتهم في تلك البقعة... وأشار إلى بركة صفراء تتسرّب فيها

المياه بعد مرورها فوق الأحجار والوحل: سيكون لنا.

ابتسم كاساندر بسخرية. لظالما سمع عن قسوة البيض وعنصريتهم،

لكنه لم يتوقع أن يكون انحطاطهم إلى درجة منع المياه عن السود في

أرضهم. ومع ذلك، لم يعلّق. فجأة، خطرت فكرة في عقل هينرو، فقال

بابتسامة خبيثة:

- ما دمننا نجسين إلى هذه الدرجة، يجب علينا أن نستحمّ...

نظر إليه الاثنان باستهزاء، فأكمل بنظرة ماكرة:

- في الماء الذي يشربون منه.

ابتسم رونا وقال:

- يا للعقل الذي تحمله يا صاحبي.

لكن كاساندر أسكتتهما وقال بحذر:

- لا نستطيع استعمال مياههم، هذا أولاً وثانياً، مياه النهر تُجدد نفسها دائماً، وما سيقى نجسًا هو تلك البقعة المتاحة لنا.

صمت هينرو قليلاً ليفكر، ثم قال بوجه مضحك:

- يبدو أنك محق، يا لغباتي!

ضحك رونا وكاساندر بصوت عالٍ، حتى سمعوا صوت ماراتو يجذّهم من الضحك مجددًا مشيرًا بالسوط الذي كان يحمله. همس رونا بغضب:

- هل يُحرم علينا الضحك أيضًا؟ أتمنى لو أستطيع إبادة البيض جميعًا في ليلة واحدة.

ردّ كاساندر بنفس الهمس:

- سيكون عقابهم من السماء بسبب خطاياهم.

مرّت الأيام وبدأ الاكتئاب يتسلّل إلى وجوه العبيد، حتى بدت ملامحهم شاحبة وكان أرواحهم قد فرّت هرباً من هذا البؤس. لم يتوقّف ضرب السوط بسبب أو بدون سبب، وكان البيض يُفرغون طاقاتهم على أجساد العبيد الذابّلة.

وذات ليلة، بعد صراع عميق مع الأعمال الشاقّة من كسر الأحجار وحملها، حان وقت الراحة المُحبّب لأنفس العبيد. جلس كاساندر كعادته متكئاً على إحدى الأشجار البعيدة عن جَلْبَة الحراس والقريبة من البحر، ينظر متأملاً المُجسّم في مقدّمة السفينة. جلس بجانبه رونا، وبين يديه قِطعتي خبز، ناول واحدة منها إلى كاساندر وقال بفخر:

- لقد سرقتُ ثلاث قطع، واحدة لي وواحدة لك والأخرى لهينرو.

نظر كاساندر إلى رونا ثم إلى الخبز وقال:

- ألا تخاف أن يُقبَض عليك وتُعاقب؟

ضحك رونا وقال:

- في كل الأحوال، نحن نعاقب بلا سبب.

ثم اتّسعت ابتسامته:

- بالنسبة لي، أفضل أن أعاقب لسبب على أن أجلد بالسوط كل ليلة لتسليّة أولئك الجبناء.

أمسك كاساندر بقطعة الخبز بيد مُتناقلة، غير مبالٍ بجُوعه المتزايد. نظراته استقرت مجددًا على المجسّم العجيب الذي يزِين مقدمة السفينة، وقد بدا كأنه يَستمدّ منه معاني مُدهشة. شَغَفَهُ بالأساطير وفضولُه اللآ متناهي دفعاه إلى التعمُّق في تفاصيل هذا المجسّم، حينها لاحظ رونا نظراته المتسائلة والمُصمّمة.

بابتسامة مُشبّعة بالحماس، جلس رونا قُبالة كاساندر، وجهه مشعّ بالأضواء الخافتة المنبثقة من النار القريبة. نطق رونا بصّوت مليء بالإثارة:

- هل سمعتَ يومًا عن بنات الماء؟

كاساندر، الذي كان لا يزال مشدودًا إلى المجسّم، هزّ رأسه برفق، مشيرًا إلى عدم معرفته بهذه الكائنات الأسطورية، ثم قال:

- لم أسمع بهم من قبل، لكنك أثرتَ فضولي بشدّة. أخبرني أكثر عن بنات الماء، فأنا مُتَشوّق لمعرفة المزيد عنهم.

ابتسمَ رونا بحماس وهو يروي الأسطورة، وكأنها يستعيد ذكريات قديمة من خياله الواسع. كانت تفاصيل القصة تناسب من بين شفّتيه بسلاسة، تأخذ كاساندر في رحلة عبر الزمن والأساطير. قال رونا بصوت تملؤه بالحَيوية:

- في عالم الأساطير، يُقال إن بنات الماء هم نَسْلُ تزاوُج بين رجل من بني البشر وسمكة شيطانية من البحر تُدعى آمون. هذه السمكة

الشيطنانية كانت ذات شكل غير عادي؛ فمن الأسفل، كانت تُشبه الأسماك، لكن من الأعلى، كانت تمتلك هيكلًا عظميًا يُشبه البشر. ومع ذلك، كان وجهها يشبه وجه أسماك البومة، خليط من الرعب والجمال في ذات الوقت. عندما تزوجت هذه السمكة مع بشري وأكلته، نتج عن ذلك مخلوقات تُعرف ببئات الماء، التي تتميز بأجسامها التي تجمع بين خصائص البشر والأسماك.

استمرّ رونا في سرد القصة وعيانه تتأملان دهشة كاساندر بمُتعة:

- الناس يُطلقون لقب بنات البحر على كلا الجنسين، وليس فقط على النساء. رغم اختلاف جيناتهم، إلا أنهم جميعًا يُعتبرون من الشياطين الذين يسكنون البحر. يقول البعض إنهم ناتجون من مدينة مراقند الملعونة، التي غرقت بسبب فساد أهلها وتفاخرهم بأفعالهم المحرّمة.

كان الصوت ينساب بنعومة، بينما كاساندر يستمع بكل حواسّه:

- المدينة كانت تعجّ بالعزف والغناء وشرب المحرّمات، حتى لُعنّت وغرقت في البحر الأسود. سكانها، الذين لم تُؤخذ أرواحهم، تحوّلوا إلى بنات الماء. هم الآن يطفون في البحر كغرباء لا يعرفون الوطن.

قال رونا معبرًا عن رأيه بعد لحظات من إكماله تلك الأسطورة:

تلك الأقاويل قد تكون الأقرب إلى الحقيقة، رغم بعض الأخطاء فيها. يُعتقد أن الشخص الذي تزوج مع شيطانة البحر آمون كان كاهنًا

من مدينة مراقند، سعى للقوة العظمى التي تمنحها تلك السمكة الملعونة. لكن العواقب كانت لعنة خَسَفَتْ بهم إلى قاع البحر، حيث تحوّلت أرواحهم إلى بركة من الماء المشؤوم.

كاساندر، الذي كان يستمع بشغف، لم يستطع إلا أن يتساءل عن مدى صحّة هذه الأساطير وكيف يمكن أن تتشابك مع واقعهم الحالي. كان كل ما حوله يبدو وكأنه جزء من هذه الأسطورة، من السفينة التي كانوا على متنها إلى المعاملة القاسية التي يتعرّضون لها. فجأة، أصبح لديه شعور بأن هذا المكان، وهذا البحر، ربما يحملان أسرارًا أعمق مما كان يتخيّله، فسأل:

- كيف علمت بكل هذا؟

أجابه رونا:

- كان والدي مهتمًا بعلوم السّحر الأسود. هدفه كان أن يُبَيِّت للمجتمع أن السّحر مرض قاتل لا يمكن أن يجلب لنا سوى الشر. وصف السّحر بأنه يُشبه أفعى المامبا السوداء، جذاب في ظاهره لكنه خبيث في جوهره. قال إن السّحر، رغم جاذبيته الظاهرة، يجلب الموت والمآسي لمن يَنغمِس فيه.

سأل كاساندر بوضوح:

- إذًا، معنى كلامك هو أن والدك لم يكن ساحرًا، بل كان باحثًا في

علوم السّحر لغرض إلغائها؟

أجاب رونا بصوت حزين، متذكرا شيئا كافح كثيرا لئسيانه دين
جدوى:

- نعم، كان والدي كما قلت، ليس بساحر. لكن هَوَاتِهِ بهذا العالم
جعلهُ يَنْغِمِس فيه بقدر ما يفعل السحرة أنفسهم، بل ربما كان أكثر
انغماسًا. قبل سنوات، علمت أن والدي قتلَ نفسه بسبب شيء لم أفهمه
تمامًا. قيل لنا من قبل كهنة قريتنا (الإنكاد) أنه تحدّى الشياطين فقتلوه.

توقف رونا للحظة، وكان الذكريات الثقيلة تمنعه من الاستمرار، ثم
استأنف حديثه:

- بعد ذلك، بدأ الجميع ينظرون إلي وإلى أخي وكأننا مَلعونون من
تلك الشياطين بسبب تصرفات والدنا. لم يعد أحد يُبادلنا الطعام أو
يلعب معنا، سوى هينرو، الذي كان يقضي وقته معنا رغم صرخات
والدته وضرب والده. كان يأتي إلينا ضاحكًا رغم آثار الضرب على
جسده، حتى يئسوا منه وتركوه وشأنه.

سأل كاساندر بفضول:

- هل كان والدك يُجبرك عن هذه القصص والمعلومات؟
- أحيانًا، ولكن أغلب ما أعرفه تعلمته بعد موته من كتاب مذكراته
الذي حاولت إخفائه بعيدًا عن أيديهم. لكنهم في نهاية الأمر عثروا عليه

وأخذوه مني بالقوة بعد أن ادّعوا أنهم سيحرقونه، ولكنني أشك في ذلك.

ثم ابتسم في حُزن:

- كان أفضل ما فعله والدي لي هو أن علّمني القراءة والكتابة.

أوما كاسندر في حنين:

- وهذا ما أحاول توفيره لأولادي.

ثم واصل كاساندر:

- قصّتك غريبة ومليئة بالمآسي. أعتذر لتذكيرك بها، ولكن أين

أخوك؟ هل تركته في القرية رغم كُره الجميع لكم؟

تجلى الحزن العميق في عيني رونا، ثم أجاب:

- لقد مات منذ شهرين مسموماً، ولم يُعرف الجاني. قررت أنا

وهينرو مغادرة القرية والعمل لجمع المال لتمكّن من الانتقال إلى مدينة

(سنجوان).

نظر كاساندر إلى رونا بتأمل، وعلامات الشفقة والاحترام تلوّح على

وجهه، ثم سأل:

- لم تتمكّني من العثور على عمل يناسبك كائني، فادّعيّت أنك

رجل؟

صدمة واضحة ارتسمت على وجه رونا، ثم أكمل كاسندر بامتنان:

- كنت أعلم منذ اللحظة التي اعتنيت بي فيها أنك لا يمكن أن تكوني رجلاً. لكنني فضلت الصمت حتى نتعرف على بعضنا عن قريب. لأقول لك دون أن تخافي مني.

هزت رونا رأسها وقد استسلمت لانفصاح سرّها:

- لست بحاجة لإخبارك أن في انكشاف سرّي سيكون هلاكي.

أوما كاساندر:

- لا عليك، أنا لم أعرف شيئاً.

هنا واصلت رونا بعد ابتسامة امتنان:

- أردت عملاً جيداً لبناء حياة مُستقرة في أسرع وقت، ووجدت أنا وهينرو أن صكّ العبودية الجزئي هو الخيار الأنسب. رغم أنني فتاة، إلا أنني أستطيع القيام بأشياء لا يستطيع الرجال فعلها، ورأيت ذلك بنفسك.

قال كاساندر بقلق:

- لكن، هل تُدركين أن اكتشاف أمرك قد يجزّ عليك أشياء لا توّدينها إطلاقاً؟

- أعلم ذلك جيداً، لكنني بحاجة ماسّة إلى هذا العمل. وحتى الآن،
لم يلحظ أحد غيرك أنني فتاة.

في تلك اللحظة، اقترب هينرو منهم برفقة رجل هزيل البنية وطويل
القامة، قائلاً بحماسة:

- أعرفكم على صديقي الجديد نورال. قال إنه يعيش في قرية مابولي
القريبة من قريتنا.

ابتسم نورال بخجل، وكأنه يُحاول ترك انطباع طيب، وقال:

- يسعدني التعرّف عليكم.

مدّ يده نحو رونا مصافحاً، لكنها لم ترد، وظلت تحدّق في وجهه
بريبة. فعلق هينرو ليفتح مجالاً للراحة بين الجميع:

- وهذا هو كاساندر، تعرّفنا عليه هنا أيضاً، وقد عرفته بدورك
عندما هاجم ذلك القبطان.

أجاب نورال بثقة:

- أعرفه، فالجميع يذكرون اسمه في أحاديثهم عند ذكر (الأسبياد
والعبيد).

صافحَ كاساندر نورال وقال:

- لكننا لسنّا عبيدًا، نحن فقط نعمل لفترة محددة وسنحصل على
أتعابنا في النهاية.

ضحك نورال بسخرية، وقال:

- لكننا في نهاية المطاف وقّعنا على ورقة العبودية. فما الفرق بين
عبودية بأتعاب أو بدون كلّها عبودية، أليس كذلك هينرو؟
أوما هينرو مؤيدًا:

- صحيح، في النهاية نحن نُعامل كعبيد فقط.

بسبب عدم راحة رونا لنورال، نهضت من مكانها وقالت:

- لقد ملّلت، سأذهب لأتمشى قليلا نحو البحر حتى يخبث وقت
العمل.

ثم رحلت بسرعة، وكأنها تحاول الابتعاد عن أجواء التوتر التي
عمّت نفسها وفور رحيلها، قال نورال:

- سأذهب أيضًا لتناول طعامي سريعًا قبل بدء العمل. إلى اللقاء
هينرو.

أجاب هينرو بحماس زائد:

-- إلى اللقاء يا صديقي، سألقاك لاحقاً.

فور رحيل نورال، تنبه كاساندر إلى تغيير لافِت في تصرّف هينرو،
وسأل بفضول:

- لأول مرة ألقاك ودوداً مع شخص غير رونا منذ أن عرفتك.

تبدّلت ملامح وجه هينرو المبتسم إلى تعبير من الرّيبة، وقال بجديّة:

- ذلك الرّجل أعتقد أنه وُضِعَ جاسوساً علينا.

سأله كاساندر بقلق:

- ما الذي تقصده؟

ردّ هينرو، وهو يحدّق نحو ذات الطريق الذي رحل منه:

- شاهدته برفقة يارابوني، مُحدّثه بشيء ما بينما يارابوني يكتب كل ما
يقوله وكأنه شيء مهمّ.

فجأة، انبعث صوت صرخات صارمة عبر المكان، قائلاً:

- أيها العبيد، هيا إلى العمل، أسرعوا!

أجاب هينرو بسُخرية، وكأنه يتحدّث عن مسرحية هزليّة:

- لا أعلم كيف يخرج هذا الصوت من شخص لا يتجاوز الـ ١٠٠ سم.

طويلاً

ضحك كاساندر، وأثنى بمُداعة:

- يبدو أنك خفيف الدّم أيضًا.

ردّ هينرو بثقة:

- كما ترى، لديّ مميّزات كثيرة غير القوة.

ثم نطقَ صوتٌ خلفه بسُخرية:

- ولكن العقل لا يمكن أن يكون من تلك المميّزات.

نظرا نحو الصوت ليَجِدَا رونا تستعدّ للعمل خلفهم، حيث كانت

تجزم أغراضها. غضب هينرو من تصرّفها وقال بحدّة:

- لماذا تتحدّث معي هكذا أمام الآخرين؟

أجابت رونا بلا مُبالاة، كما لو كانت تتحدّث عن شيء عادي:

- كاساندر ليس شخصًا غريبًا مثل نورال. يمكننا التحدّث معه بكلّ

أريعيّة.

غادر هينرو المكان غاضبًا، وتوجه كاساندر إليها معاتبًا، قائلاً:

- كان عليك أن تفهمي موقفه قبل الهجوم عليه.

ثم تبع هينرو دون أن ينتظر ردّها، وعادا إلى العمل في المناجم، حيث قضا ساعات وساعات تحت وطأة التعب والضّغط.

في المنجم الثاني، حيث كان رونا وهينرو يعملان، كان هينرو يضرب الأحجار بقوة، كلّما حاولت رونا التحدّث معه. هذا الأمر جعلها تفقد أعصابها، ورغم برودتها، صرخت بصوت مرتفع:

- لماذا كل هذا الغضب؟

قبل أن تنتهي جملتها، شعرت بألم السوط يلسع ظهرها بقوة، مما جعلها تسقط على الأرض من شدة الضربة. نظر هينرو لصديقه على الأرض وهي تبكي، ثم تحوّلت نظرتة إلى الجاني، الذي كان ماراتو بضحكته الصفراء الساخرة، وهو يستمتع برؤية دموع رونا. قال ماراتو بتهكم:

- يبدو أن لدينا فتاة، من ذا الذي يبكي من ضربة واحدة؟

أكمل ماراتو ضحكاته كالأحمق وحيدا، رغم الاستياء الذي بدا على وجوه الحضور. لم يتمالك هينرو نفسه، فاندفع نحو ماراتو بالمنجّل، وهو

يوجه إليه ضربات عنيفة على رأسه. حاولت رونا منعه وإبعاده، لكن الأوان كان قد فات.

تجمع الجنود ورؤساء المناجم، جاؤوا إلى مكان الحادث إثر الأصوات الصاخبة. وجدوا ماراتو غارقاً في دمانه، وثلاثة من الجنود يُحيطون بهينرو، الذي كان ينظر إلى المشهد برُعب شديد بعد أن عاد لعقله. في تلك اللحظة، وصل كاساندر وشاهد ذات المنظر، وقد تجلّت الصدمة على وجهه.

أمسك الجنود بهينرو بقوة وسحبوه بطريقة مُهينة إلى الخارج. حاولت رونا منعهم بادّعاء أنها المسؤولة، لكن هينرو ابتسم بمرارة وقال:

- كم أنا سعيد أن نهايتي جاءت بعد قتل أحدكم.

غضب جميع البيض في المكان، لكنهم استمروا في سحب هينرو بطريقة جعلت التراب يترآكم على وجهه، حتى وصلوا إلى كوخ القائد ميرال، الذي كان يجلس بهدوء، مستغرقاً في قراءة أحد الكتب وقد وضع قدمه على قدم.

حاول أحد الجنود، يُدعى ريفالي، الحديث بقلق:

- هذا العبد الوضيع قتل القائد....

قاطعته ميرال، بإشارة من يده وتجاهل للجميع، وواصل قراءة كتابه. ساد صمت غريب في المكان رغم كثرة الأشخاص، حيث كانوا ينتظرون أن ينتهي من القراءة. بعد مرور قرابة النصف ساعة، أغلق ميرال الكتاب وألقى على وجوه الجميع نظرة، ثم قال بصوت بارد:

- يارابوني، أخبرني بما حدث، ولماذا يتجمعون حولي بدلاً من البحث عن الذهب.

أمسك يارابوني بكتابه المعتاد، الذي يُدَوّن عليه كل شيء، وقال:

- وفقاً لما يقولونه، فإن العبد الذي أمامك قتل قائد المنجم الثالث (ماراتو) بالسلاح الذي كان يعمل به.

نهض الجنرال من مكانه، وضحك ضحكاً متواصلاً ثم قال:

- لا عَجَب مما حدث، فالكثير من الحيوانات تقتل راعيها، فكيف بعيد ذي أصلٍ نجس.

غضب هينرو وأراد الهجوم عليه، ولكن الجنود وأسلحتهم منعوه فقال هينرو:

- رغم أصلنا النجس كما تقول، لكننا لم نحتل أراضي أشخاص آخرين ونسرق كنوزهم.

تقدم ميرال بهاوه نحو هينرو، والابتسامة لا تزال مرسومة على
وجهه، حتى أصبح أمامه على بعد بضعة إنشات. قال ببهجة: «هه، هه، هه، هه»
هينرو:

- هل تلو منّا؟ عليك أن تلوّم شعبك الذي لم يستطع حماية أرضه

ثم عاد للضحك مجدداً، جلس على كرسيه، وأمسك بكتابه قائلاً فيل
أن يهّم بالقراءة مجدداً:

- اقتلوه، ثم حنطوا جسّته ليكون عِبرة للعبيد الآخرين.

قالها بيروود، وأشار بيده للجميع كي يتعدوا عن المكان. تجلّت
الصدمة في وجوه العبيد، مختلطة بحقد شديد. بينما كانت نظرات
كاساندر ورونا نحو هينرو مملوءة بالخوف عليه ورغبة عميقة في حمايته
فما يُوشك أن يحدث أمام ناظرهم.

لم يرفع هينرو رأسه، بل ظل ينظر إلى الأرض، وملامح الملعّ تكسو
وجهه. فجأة، ابتسم ورفع رأسه بشموخ غير متوقع، قائلاً:
- لتفعل ما تريد، فالسلطة لك.

قبل أن يأخذ الجنود هينرو ليهتموا بقتله وتحنيط جسده، اندفعت رو-
نجرهم، محاولة بكل قوتها ضرب الجنود وإبعادهم عنه. ولكن، على
الرغم من شجاعتها، لم تنجح ضرباتها في تحريكهم حتى إنشأ واحداً مع

كل ضربة من الجنود، كانت تسقط على الأرض، لكن دون أن تستسلم. نهضت مجددًا، وحاولت مرة أخرى، لكن ضرباتها لم تكن كافية، فتكرر سقوطها مرارًا وتكرارًا، حتى ظنّ الجميع أنها على شفا الموت.

كان المشهد يُثير اهتمام القائد ميرال، الذي ترك كتابه وأخذ يتابع الموقف بتسليّة، وكأنه يشاهد تمثيلية هزليّة. احتسى قدحًا من الخمر المحلّي بهدوء تام، كأنه يستمتع بعرض مسرحي لا يملك فيه أدنى مسؤولية.

صرخ هينرو بصوت مُفعم بالألم:

- ابتعد، يارونا... أنا أريد الموت.

سقطت الدموع من عيني رونا، وصرخت بغضب وحزن، مُصمّمة على مواصلة المحاولة. في تلك اللحظة، أمسك بها شخص من الخلف. نظرت إلى الوراء لترى كاساندر، الذي حملها بسرعة، مبتعدًا بها عن المكان. صرخاتها ودموعها ترددت في الهواء، غير قادرة على إخفاء ألمها، هزّت نفوس جميع العبيد، وحتى بعض رجال ميرال.

كان لصدى صراخها لمحة أعادت إحياء الإنسانية في بعض القلوب.

مرّت فترة طويلة في عمق الغابة، حيث كان كاساندر يركض برونا بعيدًا عن العواقب التي جلبتها أفعالها غير المحسوبة. لم يتوقف إلا عندما

بدأت الأمطار تتساقط بغزارة، وكان السماء نفسها تذرف دموعها على هينرو. وسط تلك الغابة المظلمة، اكتشف كاساندر كهفًا مغطى بنباتات الكاريزيا، مما طمأنه إلى خلوّه من الحيوانات المفترسة. بحذر، وضع رونا على الأرض، حيث اندفعت فورًا إلى وضع رأسها بين ركبتيها، محاولة إخفاء دموعها عن نظر كاساندر.

بهدوء ومهارة، بدأ كاساندر بقطع أغصان الكاريزيا، مفسحًا المجال للدخول إلى الكهف. عندما انتهى من إعداده، نادى رونا بصوت حازم:

- يجب علينا الدّخول قبل أن نَمْرَض.

لم تُجبه رونا، فتحدث مجددًا، مصمبًا:

- من أجل هينرو، على الأقل.

رفعت رونا وجهها المبلل بالدموع، وقالت بصوت مليء باليأس

وهي تنهض:

- يجب أن أنقذه.

أجاب كاساندر بهدوء قاسي:

- لن نستطيعي.

استدارت رونا، مُفعمّة بالغضب، قائلة:

- عليّ أن أحاول.

ثم انطلقت بسرعة نحو الشاطئ، مُصمّمة على مواجهة الوضع بنفسها. حاول كاساندر أن يمنعها، لكن محاولاته باءت بالفشل، فقد سبقته إلى تجمّعات العبيد بعد توقف المطر. هناك، أحضروا هينرو، الذي كان لا يتحرك، ووضعوه في برميل مملوء بمادة بيضاء.

كانت رونا تهم بإبعادهم، لكن نورال لمَحّها، فاقترب منها بهدوء، قاتل، وجلس أمامها بكل برود، قاتلا:

- انظر جيدًا... لقد مات.

وقف كاساندر فور نطق نورال بهذا الخبر المشؤوم. صرخت رونا بذهول:

- لا يمكن أن يكون قد مات، أنت تكذب! جسده خالٍ من الجروح، أنت كاذب حقير!

ابتسم نورال ببرود، وقال:

- كنت أظنك ذكيًا، لكنني كنت مُخطئًا. هل يجب على الموت أن يأتي عملاً بالجروح والدماء؟ أحيانًا يأتي دافئًا، يختطف الروح بلا ألم.

سأل كاساندر بقلق:

- ماذا تقصد؟

نضر نورال من مكانه، وقال:

أوصد أن صديقهكم قُتل مَسْمومًا بنبْتة الأَقُونِيطن، التي كانت مع
أولئك البيض منذ رحيلهم من ديارهم.

أثار هذا الإعلان صدمة عميقة على وجوههم، فلم يستطيعوا النطق
أو التحرك. أكمل نورال، وقد أرخى جسده ناحية إحدى الأشجار:

- نبتة جميلة بلون البنفسج، تبدو كجلود الأفاعي بَرّاقة رغم
خطورتها على حاملها. عند وضعها على اللسان، يشعر الشخص بتّمس
يليه تخدير موضعي، ثم تبدأ النبتة بالتغلُّل تدريجيًا في الجسد، فيفِرز
الشخص إفرازًا شديدًا للعاب، ويشعر بدفء غريب وضعف في
العضلات، ثم يموت.

رقدت رونا، وهي تتألم بشدة:

- ثم يموت.

كان صوتها مختلطًا بالحسرة، وكأنها غير مصدقة لما حدث. قال نورال
بتأكيد:

هذه السموم بلام، وبدون ألم. هذا ما حصل عليه صديقكم في نهاية
المطاف. أما عن هذه المادة، فهي ملح التطرون. أرادوا تخنيطه بمواد
أخرى، لكن هذا هو الموجود في الجزيرة، فغمروا جسده بها.

شعرت رونا بالقرَف من الطريقة التي عومل بها هينرو، وبالضعف الذي يُعانيه شعبها بالكامل. همت بالرحيل دون أن تنطق بكلمة نحو الكهف الذي وجده كاساندر، واستقرت في ظلمة المكان، غارقة في أوكرها حول كل ما حدث لها وهينرو. تذكرت الأمنيات التي نقشهاها على أغصان شجرة التبليدي في قريتهم، وتساءلت عن الأحلام التي تحصّمت بسبب السعي غير المُجدي.

وصلت ثم جلست في الزاوية المظلمة من الكهف، مُتسائلة عن مستقبل الغامض الذي ينتظرها. ذلك الشعور العميق بالخزن الذي اجتاحتها بعد وفاة والدها، ثم أخيها تيرالي، قد عاد ليملاً قلبها، ثم جاء رحيل هينرو ليُتّوج ذلك الخزن. اعتقدت أنه سيكون معها طوال العمر، لكنه رحل مع الراحلين، تاركًا إياها وحيدة، تُصارع الحياة وظلمها.

في ظلمة الكهف، سمعت صوت خطوات خافتة، ولم تتمكن من معرفة صاحبها بسبب الظلام. قالت بصوت ضعيف، مشوب بالخوف:

- من هناك؟

ظهر صوت كاساندر الهادئ، مُحاولًا طمأنتها، فقال:

أسام ماى الخزن الذي يعتير قلبك. الموت، يا عزيزتي، هو شيء يفوق قدرتنا حلّ تقبله. ولكن في النهاية، سنمضي في طريق واحد.

منلحقو بهم، سواء في هذه اللحظة أو بعد سنوات، للنتقي مجدداً في لقاء
أبدِيّ، لا نهاية له.

قالت رونا، بصوتٍ مَحْنوقٍ من الحزن:

- لكنتني أشعر بالخوف والوحدة في هذه الدنيا بعد رحيل كل من
أحببت. هينرو قُتل بسبب حماقتي.

شعرت بيد كاساندر تُمسِك يدها برفق، ضغطها برقة كأنها يريد أن
يبعث فيها طمأنينةً، مُشيرًا إلى أنها ليست وحدها، بل سيكون معها دائماً.
أحياناً، تُلامس الأفعال القلوب بعُمقٍ أسرع من مئات الكلمات المُتَمَقَّة.
تُتكن رونا تعرف كيف ترد، ولكن شعورًا داخليًا قويًا دفعها إلى
احتضان كاساندر بكل قوتها. على الرغم من الظلمة الحالكة التي كانت
تُغيط بها، إلا أن صدمته التي عبّرت عن مشاعره لم تمنعه من مُبادلتها
الحسن، علّه يداوي جراح قلبها. هذا ما كان يُقنع به نفسه.

مرت الأيام، بعد عملية تخنيط هينرو أمام أنظار الجميع، زاد الخوف والرعب بين العبيد. أصبحوا يتهككون في العمل بلا تَذمُّر، كأنهم آلات لا تشعُر. في هذه الأثناء، كانت رونا تعمل بصمت، ثم تهرب إلى الكهف الذي أصبح ملجأً لها من أعين الجنود والقادة، بل وحتى العبيد المُشكِّكين في أمرها.

تزايدت الرهانات حول حقيقة رونا بين الجميع، مما جعل كاساندر يشعر بقلق مُتزايد عليها. تارة كان يخشى من حالها الذي آلت إليه، وتارة كان يخشى من أن يَنكشَفَ أمرها. في يوم من الأيام، وبعد تفكير عميق، قال كاساندر:

- يجب عليك الهرب من هذا المكان، يا رونا.

قالت بدهشة:

- ماذا تقصد؟

جلس بجانبها، ثم أجاب:

- الجميع يُطلق الرهانات عليك، وقد بدأ الشك يتسلَّل إلى أعماقهم حول هويتك، سواء كنت ذكراً أم أنثى.

سألته رونا بقلق:

- هل فعلت شيئاً جعلهم يشكُّون بي؟

ابنسم كاساندر، ثم أجاها:

- كنتُ أعلم بأمرك منذ البداية، بسبب بُنيتك الضعيفة وملاحظات الأثوية، رغم الظروف التي جعلتها هكذا الآن. فلا شك أنهم يعلمون - خصوصاً بعد أن لفتُ الأنظار أثناء اعتقال هينرو وقتله.
- إذا كانوا يعلمون، لماذا لم يقبضوا عليّ حتى الآن.

أجاب كاساندر:

- ريبا هناك بعض الشكّ في الأمر، وخصوصاً أنهم حذرون جداً من الضغط علينا بعد موت هينرو وتخييطه. لذلك، هذه الفرصة المناسبة للهرب. عليك أن تهربي، يارونا.

قالت بقلق:

- كيف أهرب؟ نحن في جزيرة لا مخرج منها سوى تلك السفينة الخاصة بهم.

أجاب كاساندر بثقة:

- سأبحث لك عن طريقة. أمهليني بعض الوقت، وفي هذه الأثناء، عليك العمل بصورة طبيعية.

في صباح اليوم التالي، بعد ساعات طويلة من العمل في المناجم، كانت رونا تعمل في المنجم الأول بهدوء، برفقة كاساندر وخمسة من العبيد. استُبدلَ المُساعدُ زوري، بالقائد السابق للمناجم الثلاثة الأولى، ماراتو، زوري كان سعيداً بترقيته المُفاجئة، غير أنه بأن الموت كان السبب.

كان زوري يتجوّل بين العبيد، يصرخ كل حين بسبب أو بدون سبب، وكأنه يُعلن للعالم أنه هو السيّد في هذه اللحظة. نظر بتركيز نحو رونا، التي كانت تعمل دون أن تلتفت إليه، رغم شعورها بقربه وتحمّيقه بها. قال بصوت هادئ، هامساً في أذنها:

- يبدو أن تلك الإشاعات صحيحة.

توقّفت رونا فور سماع كلمات زوري، ويدها التي تحمل المنجل ترتعش من شدة الخوف والتوتر. سألت بقلق:

- ماذا تقصد؟

بنفس النبرة الهادئة التي تحمل الكثير من الإيماءات، قال زوري:

- دعينا نكتشف الأمر هذا الليلة بعد انتهاء عمّلك.

صدّمتها جملته، وشعرت برغبة قوية في لكّيه، بل قتله، لكن لم تفعل شيئاً سوى الوقوف في تلك الزاوية، تنظر إلى الأحجار المتناثرة حولها.

تمت لو أنها بعيدة عن هذا المكان في تلك اللحظة، وتمت لو أنها لم تنقذ هينرو بالتوقيع على تلك الورقة. لكن فات الأوان، وصوت ضربات المنجل على الجدران أعادها إلى الواقع الذي رغبت في الهروب منه.

اقترب كاساندر منها تحت غفلة الجميع، وقال:

- تمججي بأي شيء واذهبي إلى البحر من الجهة الغربية الآن، يا رونا، وسألحق بك.

ادعت أنها ترغب في قضاء حاجتها، وأخذت إذن زوري، الذي سمح لها بذلك. ما إن رحلت حتى وضع شخصاً آخر ليحل محله، ولحق بها. شعر كاساندر أن اختفائه مُرتبط برونا، وأراد بشدة حمايتها، فادعى أنه على وشك الموت من الإرهاق وسقط على الأرض بعد لحظات. ضرب ضربات متتالية بالسوط، لكنه لم يتحرك، ليقول أحد مساعدي زوري:

- لا نريد أن نخسر فرداً آخر قبل انتهاء المهمة، اذهبوا به ليرتاح في خيمته.

مُهل بعد محاولة إيقاظه، لكن دون جدوى، إلى خيمته. وبعد عدة دقائق من رحيلهم، ركض كاساندر سريعاً نحو الجهة الغربية لحماية رونا من القائد الجديد زوري.

كانت رونا تمشي، بل تركض نحو الجهة الغربية، بينما زوري يتبعها.
ذمّرت قبل وصولها إلى المكان المُنشود بوجوده، فتوقفت ونظرت إلى
الوراء لتجدَه ينظر إليها، وهو بالكاد يلتقط أنفاسه نتيجة سرعتها، قائلاً:

- هل قضاء حاجتك يحتاج إلى البُعد كل هذه المسافة؟

سألته بخوف:

- ماذا تريد الآن؟ لماذا تتبّعني؟

ابتسم زوري وأجاب:

- أريد التأكّد من حقيقة الإشاعة.

ثم ابتسم لتتكشفَ أسنانه الصفراء المُنخورة مُواصلًا:

- وهناك طريقة واحدة لمعرفة الحقيقة.

كان يقترب منها شيئًا فشيئًا، بينما كانت تتراجع، محاولةً التخلّص

منه، فقالت في محاولة يائسة:

- لقد طلبتَ مني مُقابلتك بعد العمل، أريد أن أكون معك في وقت

أفضل من الآن. أرجوك، انتظر حتى نهاية اليوم.

عندما اقتربَ منها حتى لم يعد يفصل بينهما سوى بضعة إنشات،

قال:

- لكنني أرغب بك كما أنتِ، يا رونا. كم تُعجيبني منذ أن رأيتك.
رغم أنني لم أكن أتوقع أنك في نهاية المطاف قد تكونين من الجنس الآخر.
رغم نُعمتك. يا لحظّي الجيد!

شعرت أنها في موقف لا تُحسد عليه، ويجب عليها الهرب بأي طريقة.
في محاولة يائسة للهروب، أمسك بها زوري من شعرها، وقال:

- إذا، فأنتِ ترغين برؤية وجهي الآخر، أيتها العبدّة.

صرخت رونا بأعلى صوتها، ويداها تُحاولان بشدّة دفع زوري عنها،
لكن دون جدوى، حيث كان قوياً بينها هي ضعيفة جداً بالنسبة له. كاد
أن ينجح في محاولاته، لكن في اللحظة الأخيرة، عندما أصبح فوقها،
توقّف فجأة وسقط عليها في سُبات عميق.

نظرت رونا إلى المُتسبّب في ذلك، فوجدت كاساندر يقف بجانبها،
حاملًا حَجرة ملطخة بالدماء. سأل بقلق:

- هل أنتِ بخير؟

هزّت رونا رأسها، والدموع تتساقط من عينيها، بسبب قِطاعة
الموقف الذي تعرّضت له. أبعاد كاساندر جسد زوري عن فوقها،
وأمسك يدها، تساءلت في هلّع:

- هل مات؟

أجابها في توتّر:

- لا أدري ولا وقت للتأكد من ذلك.

ثم أمسك يدها وركض بها نحو الجهة الغربية من الجزيرة، حيث
كان هناك قارب صغير تملوء بالفواكه والطعام وبراميل المياه العذبة.

قال كاساندر:

- رونا، عليك الهرب من هنا ولا تذهبي إلى قرينتك. اذهبي إلى أبعاد
مكان تستطيعين الرحيل إليه.

نظرت رونا إلى القارب، وسألت بفضول:

- من أين جلبته، يا كاساندر؟

أجاب كاساندر:

- سرقته من سفيتيهم ليلاً، وأخذت ما استطعت من طعام وشراب.
أتمنى أن يكفيك ما جلبته لك.

نظرت إليه، وعادت تبكي، وقالت:

وانت، لماذا لا تأتي معي؟

ابنسم كاساندر، وضمتها إلى صدره بكل قوة، ثم قال:

- لدي عائلة أرغب في أن تعيش حياة جميلة، وهذا العمل، رغم
فسوته، هو الطوق الوحيد للتجاة لي ولهم.

تذكرت رونا زوري، وقالت بقلق:

- لكن زوري، إن مات فأنت من قتله، سيقتلونك إن علموا بي
فعلته.

ذهب كاساندر إلى القارب لتجهيزه، وقال:

- لا تهتمي، لا أحد يعلم أنني فعلت كل هذا. ثم إن زوري لم يمُت.
سَيَنْهَضُ بعد ساعات، ولم يَزِنِ. لقد كانت نظراته موجهة إليك أنتِ
فقط. لن يعلم أحد بكل هذا الأمر، فقط ارحلي بسلام.

اقتربت رونا منه، عينيها تغمُرهما الدموع، وحضته مجدداً. قبل أن
تهبوا، قلبته في عنقه، فابتعد عنها سريعاً، وقال:

- رونا، ارحلي الآن.

رحل كاساندر من المكان سريعاً، رغم محاولات رونا للتحدث معه.
وعندما ابتعد بها فيه الكفاية، قال بصوتٍ مُنخفض:

- أرجوك، لا تموتي في عمق البحر. فقط كوني بخير.

عاد كاساندر إلى خيمته، وعمرته أفكارٌ مُختلطة حول القُبلة ومشاعره
الغريبة تجاه رونا. لم يعرف إذا كانت عاطفة أم مجرد إعجاب، هل يمكن
لتلك القبلة أن تحرك في داخله مشاعر يرفض الإفصاح عنها؟ هز رأسه
بقوة ليطرّد هذه الأفكار، وبدأ يكرّر لنفسه بصوتٍ عالٍ، عسى أن يطوي
هذا الأمر ويُعيده إلى واقعه:

- لدي عائلة جميلة. وأحب زوجتي لا يمكن أن يَميل قلبي لغير
جوننا. لا يمكن أن أخونها، ونحن نكافح لأجل أطفالنا، حتى لو كان
بالمشاعر.

بعد ساعات من الحادثة، سمع كاساندر أصواتاً قريبة منه، فتظاهر
بالنوم سريعاً. فتحت الخيمة من طرف شخص لم يستطع رؤيته، وقال
فور تأكله من نومه:

- يبدو أنه لم يترك خيمته.

ردّ آخر:

- هذا غريب، فمن المُتسبب يا ترى؟

أُغْلِقَت الخيمة، لكن الأصوات ما زالت تصل إليه، رغم أنها تبتعد شيئاً فشيئاً. قال أحدهم:

- لن نستطيع اتهام أحد، فبعد وقت قليل من ذهاب القائد زوري، كنا قد سَمَحْنَا للعبيد بالراحة.

رد آخر:

- ذلك الشخص الذي يدعي زوري، أنها فتاة، لم نجد له أثراً حتى الآن.

شعرَ كاساندر ببعض الارتياح، وحمد الله كثيراً على أن وقت ذهابه صادف وقت راحة جميع العبيد في المكان.

نهَضَ من خيمته، وقد وجد الوقت باكراً جداً على العمل، والشمس لم تشرق بعد. ذهب إلى النهر للشرب والاعتسال، ثم بقي يتأمل المكان ويفكر في التغيير المفاجئ في حياته. عندما سمع قرع الجرس الخاص بالعمل، توجه إلى المنجم الأول، حيث بدأ عمله اليومي بصمت، حاملاً المنجل.

سمعَ كاساندر صوت زوري لينظر إلى مصدره بطرف عينه، فوجد القائد واقفاً ينظر إلى جميع العبيد بملامح مليئة بالحقد، ورأسه مَلْفُوفٌ بنطعة قماش بيضاء. كم رغب كاساندر في أن يضحك من منظره، لكنه

حاول نمالك نفسه والتركيز على عمله. كان يعلم جيدًا سبب عدم إعلان ما حدث للعييد؛ فالأهم بالنسبة لهؤلاء البيض هو الذهب، ولا يرغبون بإيقاف المهمة بسبب شخص أو اثنين.

في تلك اللحظة، سمع كاساندر صوتًا يأتي من بين جدران المنجم، فتوقف الجميع عن العمل بسبب ارتفاع الصوت وحركة الأحجار المتراكمة في المكان. لحظات من الترقب، ثم خرج جُرذ أسود اللون، تلاءه عشرات الجرذان. بسبب قرب كاساندر، عضه أحد الجرذان في يده، فصرخ وقذف الجرذ بعيدًا ليصطدم بأحد الجدران، لكنه سرعان ما عاد للهجوم مجددًا.

هرب الجميع، الأسياد والعييد على حدّ سواء، تاركين المناجل وأدوات الحفر مُتناثرة في المكان. أغلق المنجم خوفًا من الجرذان وما قد تحمله من أمراض، وتم اتخاذ الحذر في العمل بالمنجم الأخرى.

مرّت عدة أيام على الحادثة، وكان المنجم الأول مغلقًا تمامًا. شعر كاساندر بحمّى وقشعريرة شديدة في جسده، يومًا بعد يوم أصبح أضعف وأضعف، حتى أنه لم يستطع التحرك إلى عمله رغم سماعه لقرع الجرس، فبقي في خيمته.

فُتحت الخيمة فجأة، ودخل القائد زوري ليجد كاساندر مطروحًا على فراشه دون حركة. ضربه بقدمه قائلاً:

- انهض، أيها العبد!

حاول كاساندر النهوض بكل قوته، لكنه لم يستطع فبقي كما كان.
ضربه زوري عدة مرات بقوة متزايدة، ولكن دون جدوى. قال أحد
المشرفين:

- يبدو أنه مريض.

صرخ زوري بكل غرور:

- لا يهمني إن كان بينه وبين الموت دقائق معدودة. يجب عليه أن
يؤدي عمله الذي قبض ثمنه.

جلب زوري السوط، وقد غمره بالزيت، وبدأ يضرب به جسده
كاساندر مرارًا وتكرارًا تحت أنظار الجميع. لم يتحرك كاساندر، بل ازداد
وضعه سوءًا وبدأ يتنفس بصعوبة. اقترب رجل عجوز، أبعده زوري
بيده، ونظر بتمعن إلى عيني كاساندر، ثم غطى نصف وجهه بقماش
ودخل الخيمة لفحصه. بعد الفحوصات السريعة، لاحظ نزيقًا من فيه
وأنفه، وارتفاعًا شديدًا في حرارته. نهض من مكانه وأغلق باب الخيمة،
فقال:

لا تقربوا منه، يبدو أنه مُصاب بالطاعون.

اتضحَت الصدمة على وجوه الجميع، بما في ذلك زوري الذي كان يظهر عليه الهلع بسبب قُربه من كاساندر وأبيه له. لم يستطع النطق، فالتفتَ إليه الطبيب هامر، الذي كان يفحص كاساندر قبل قليل، وقال:

- ابقَ معزولاً في خيمتك حتى نتأكد.

قال زوري، وهو يُحاول إظهار استيائه:

- ولكن...

ردّ هامر بصرامة:

- اذهب إلى خيمتك، أيها المراقب. هذا أمراً

خرج القائد ميرال من الكوخ المخصّص له، يحمل كوباً من القهوة.

اقرب منه يارابوني، وقال:

- هنالك شيء يجب أن أخبرك به.

تناول ميرال رشفةً من فنجانهِ، وظلّ يتأمل جمال الجزيرة لبعض

الوقت، ثم قال:

- تحدّث.

قال رابوني بقلق:

- يبدو أن الأمر خطير، فقد أصيبَ شخص من العبيد بالطاعون.

قد يكون السبب هو تلك الجرذان في المنجم الأول.

تغيرت ملامح وجه ميرال إلى الغضب، وقال:

- وأين يكون هذا العبد الآن؟

ردّ يارابوني:

- حُجِرَ في خيمته، وأُخِلِي المكان. وقد حُجِرَ القائد زوري بسبب
اختلاطه به.

في تلك اللحظة، تقدّم الطبيب هامر ببطء ويبرود شديد، ثم قال فور
قُربه من ميرال:

- يجب علينا إخلاء المكان فورًا والرحيل من هنا.

ردّ ميرال بإصرار:

- هذا مُسْتَحِيل، لم تنتهي المهمة بعد. سنعاقب ونفقد ثقة الآخرين
بنا. لنقتل كل من نشك في إصابته ونُغلق ذلك المنجم، ونواصل العمل
في المناجم الأخرى.

قال هامر بحزم:

- لا يُمكننا فعل ذلك. تلك الجزدان لا يمكن أن تكون في مكان
واحد، بل يبدو أن الجزيرة بأكملها مُصابة. علينا الرحيل وإعادة العبيد
لديهم.

قال ميرال بإحباط شديد:

- أزل مهمة لي تكَلَّلت بالفشل، يا هامر.

ردّ هامر بواقعية:

- السّلامة أولاً. والشّروط في العقود تتطلّب إعادة أكبر قدر من

انعييد بسلام، للحصول عليهم مجدداً في أعمال أخرى.

بدأت إجراءات الإخلاء، حيث نُقل جميع من ثبتت صلابتهم من
المَرَض، ولم يتبقَّ في الجزيرة سوى كاساندر وزوري. عند ذلِكَ
الجميع يهَمون بالرحيل، ركض نحو ميرال ليوقِف فوراً بواسطة
باستخدام العَصِي. كان الحراس يخشون الإمساك به بينما يُغطون عيُن
وجوههم، مُعتقدين أن هذه هي الطريقة المثلى لإبعاد المَرَض عن
أجسادهم.

قال زوري بصوتٍ مُرتجفٍ من شدَّة الهلع:

- لكنني لستُ مريضاً، لا أشعر بأي شيء وجسدي سليم.

نظر نحو هامر، الذي كان ينظر إليه من فوق القارب الذي سيحميه

إلى السفينة، وقال:

- اكشِف عليّ، أيها الطبيب، كما فعلت مع العبد. مستعِرِف أنني لا

أحمل الطاعون في جسدي.

ردَّ هامر يهدوء:

- الاحتياط أمر لا بدَّ منه، وإن كان يجب التضحية لأجله.

صرخ زوري بكلِّ قوته وحاول الاقتراب، لكن العَصِي أعادته إلى

مكانه. قال القائد ميرال، الذي بدا عليه السأم:

- زوري، لقد بدأت تُثير غَضبي. حافظ على حياتك وابتعد.

قال زوري بمرارة:

.. ساموت هنا، ياسيدي. في كل الأحوال، أنا ميت.

ابتسم ميرال لأول مرة بابتسامة بريئة، وقال:

- سأرسل قاربًا خاصًا لنقلك من هنا. ابقَ مكانك وحافظ على حياتك حتى يصل القارب إليك.

ردّ زوري باستسلام:

- أشكر طبيبتك ونبلك.

جلس زوري في مكانه، بينما ذهب الجميع، وعمّ الصمت المكان، سوى أمواج البحر التي كانت تتلاطم برفق على اليابسة. نظر هامر إلى زوري، الذي بقي في مكانه، وقال لميرال:

- هل ستعود لأخذه كما وعدته؟

عاد ميرال إلى الابتسام مجددًا، ولكن تلك الابتسامة البريئة تحولت إلى ابتسامة ساخرة، وقال:

- لن أضحتي بالكثير لأجل شخص واحد ليس له أهمية. لن يهتم به أحد.

سأل هامر:

- لماذا لم تقتله عوضًا عن تركه يموت جوعًا وألمًا في هذا المكان

برفقة العبد؟

صمت ميرال لدقائق، يتأمل البحر حيث تحركت السفينة نحو

أدغشترى، ثم أجاب:

- لأنني غاضب، ويجب على شخص ما أن يتحمل غضبي.

صمت هامر، ثم ابتعد عن المكان، فهو يعلم أن النقاش مع ميرال في

وضع كهذا قد يكلفه حياته.



(5)

سأبقى بجانبك..

وإن كان البقاء بجانبك يؤدي إلى
الموت.

تجاهل صرخات جونا وأطفالها، ورحل القائد ميرال برفقة جنوده
بعد أن منح العبيد مستحقاتهم كاملة، رغم عدم إتمام المدة المتفق عليها.

بعد رحيل السفينة، اقترب شخص من جونا، وقال لها:

- كاساندر لم يمت.

انتفضت جونا رغم انبهارها، ونظرت إلى الرجل الذي كان قد نزل
مع العبيد من السفينة، وقالت:

- ماذا تعني؟

رد الرجل:

- قد يكون على وشك الموت بسبب مرضه، ولكن...

قالت تَسْتَحْثُه على الكلام:

- لكن ماذا، تكلم!

قال بصوت مُرْتَبِك:

- لقد نَحَلُوا عنه في تلك الجزيرة، جزيرة الذهب.

اتَّصَحَت الصدمة على وجهها، وانتشَرت أيضًا على وجوه سكان قرية آدغشتری جميعًا. صرخ باراد بغضب طفولي:

- هؤلاء البيض، لقد تركوا والدي يواجه الموت دون شَفَقَة!

كانت ريتا تراقب المشهد بعينيها المليئتين بالدموع، تَلومُ نفسها على معاناة والدها في سبيل تَحْقِيق ما تريده. بينما كان جوننايشن ومارو لا يفهمان شيئًا من كلام الرجل سوى أن والدهم لن يعود. كان الأمر أشبه بالجَحِيم للأطفال، حيث ساد البكاء.

أما جوننا، فقد بقيت صامتة لفترة طويلة، تنظر إلى الرجل دون أي ردة فعل. عندما همَّ الرَّجُل بالرحيل، نهضت جوننا وركضت إليه، وأوقفته قائلة:

- أين تكون تلك الجزيرة؟

ردّ الرجل:

- من الأفضل ألاّ تذهبي إليها. اهتمي بأطفالك واتركي كاسانديا
لصغيره.

صرّخت في وجهه:

- لم أطلب منك النصائح. فقط أخبرني أين تكون تلك الجزيرة
الملعونة!

- سأخذك لها، إن أردت ذلك.

أتى الصوت من خلفها، لتنظر فتجد الحكيم ناروا، الذي كان قد
قال تلك الكلمات.

نظرت جونا إلى سولي، جارتها، وقالت:

- هل تبقيّ مع الأطفال حتى أعود؟

صرخ باراد:

- أريد الذهاب معك يا جونا!

نظرت إليه بصرامة، وقالت:

- عليك البقاء هنا والاعتناء بإخوتك حتى نعود.

- أريد الذهاب معك إلى والدي! تخذيني، أرجوك!

اقتربت منه وجلست لتصبح بمستوى طوله، وقالت:

- أريدك أن تبقى هنا وترعى إخوتك. لو كان والدك هنا، لقال لك نفس الكلام ولشعر بالفخر لأنك أنجرت هذا الأمر.

ثم همست في أذنه بصوت خافت:

- لطالما اعتبرك والدك نُسخة مصغرة منه، وكان يعتمد عليك عند غيابه. لا تغيّر هذه النظرة الآن.

تساقطت دموعه دون إرادته، وسأل بصوت مكسور:

- لماذا أشعر أنني لن أراك مجددًا، يا جونا؟

تلك الدموع التي خرجت منه بدت وكأنها انتقلت إلى جونا، فابتسمت بحزن وقالت:

- أعدك، أنني سأنقذ والدك وأعود. عِدني أن تعني بإخوتك.

هزّ باراد رأسه موافقًا، فحَضَّته جونا بكل قوتها، لتودّع جميع أطفالها وتطلب من سولي أن يأخذهم بعيدًا عنها حتى لا يكون الوداع مُروِّعًا عليهم. في الواقع، لم تكن جونا متأكدة إذا كانت قادرة على العودة أم لا، فذهابها إلى زوجها المصاب بالطاعون كان أشبه بالانتحار.

قال ناروا بعد رحيل أبنائها:

- رغم أنني سأفعل ما تُريدن، ولكن إن أردت نصيحتي
سأنصحك بعدم الذهاب. إن كانت الجزيرة موبوءة، فلن يُسمح لك
بالعودة وجلب كاساندر.

قالت جونا بصرامة:

- لن أعود.

سألتهما نونرا، زوجة مومو:

- هل تتخلين عن أطفالك وتذهبين نحو الموت بقدملك؟

أجابت جونا:

- لا شأن لكم بما أريد فعله. أعلم جيدًا أن الأطفال بأمان هنا. وإن
شاء القدر أن نلتقي، فسوف يقوم بدوره حتى وإن كان الجميع ضده.

بعد الحصول على الموافقة من رئيس القرية بُهتان، ذهبت جونا برفقة
ناروا والبحار موراني، والحكيم الآخر مومو. جُهزت السفينة بكل ما
يحتاجونه من جميع سكان القرية، حيث ساهم الجميع بما يمكنهم، بل إن
العديد منهم وضعوا نصف محصولهم في السفينة لأجل كاساندر وزوجته
جونا. ثم اختفت السفينة ومن فيها، لتبكي نونرا ويشاركها البكاء جميع
نساء أدغشترى.

في جزيرة الذهب، وبالتحديد في المكان الذي كان زوري يجلس فيه منتظرًا عودتهم لأخذه، علم أخيرًا بعد طول انتظار دام عدة أيام أن وعد القائد كان كالسراب، لا أكثر. بعد تأكده من هذا الأمر، صرخ كثيرًا وأصبح يمشي يمينًا ويسارًا كالمجنون، يُتميم بالفاظ نايبة نحو القائد الذي لم يعد موجودًا في المكان.

أراد زوري إفراغ غضبه على أي مخلوق ليخرج السواد من داخله، حيث كانت مشاعر الغلّ والحقد والرغبة في القتل تنمو بداخله، وركز تفكيره فقط على كاساندر، الذي كان مرميًا على فراشه في خيمته، يُصارع الموت وحيدًا. توجه زوري نحوه ليزيد عذابه عذابًا، كأن كل ما حدث كان بسببه، وليس للقدر أي دور في ذلك.

فتح خيمته ليجد جسد كاساندر مغطى بالعرق وتقع الكدمات، أنفه ينزف دمًا، والتزيف مستمر، حتى غطاؤه الخفيف لم يزدده سوى برودة. لم يُشفق عليه زوري، رغم أن منظره كان يشبه لوحة فنية لرسم فنان في آخر مسيرته، يثر فيها كل ما يجول في خاطره.

ورغم أن زوري كان يحمل السوط، وقد كان قادمًا لضرب كاساندر حتى الموت، فقد ابتعد سريعًا عن الخيمة بعد أن تأكد من إصابة كاساندر بالطاعون. عاد زوري إلى مكانه، ينظر إلى البحر وأمواجه المترامية،

ويدعو ان يكون ظنه بشأن القائد ميرال والسفينه التي كانت في طريقها إليه خاطئاً.

بعد مرور الوقت، وعندما أصبح جسد زوري ساخنًا ومغطى بالبُقع، شعر بتزيف من أنفه، فمسح يده على التزيف، ليجد أنها مُغطاة بالدماء. بدأ يبكي كالأطفال، فقد أدرك أن الموت قد اقترب والحياة أدارت ظهرها له.

في لحظة يأس، رأى قاريًا قادمًا نحو الجزيرة. نهض بصعوبة وهو يصرخ:

- أنا هنا... هنا أنا!

لم يستطع الوقوف طويلًا، فقد أصبح جسده ضعيفًا جدًا، فجلس بجانب أقرب بقعة، وعيناه تُتابعان السفينة التي أدارت مقدمتها مبتعدة بعد أن لمح من فيها تلك الراية السوداء التي وضعها ميرال قبل رحيله والتي تدلّ على أن الجزيرة مُصابة بالطاعون.

كانت هذه إحدى الطرق التي يستخدمها التجار والقراصنة عندما يحتلّ الطاعون جزيرة ما بدأ يصرخ:

- لا، أرجوكم، خذوني معكم... لا ترحلوا.

وصل صوته إلى جونا التي رَسا المركب الذي يقلها على شاطئ الجزيرة، أخرجت جميع الأغراض من القارب، واقتربت من زوري، الذي كان منظره مركزًا على السفينة التي ابتعدت في الأفق، دون أن ينتبه سألته جونا:

- هل تعرف أين يكون كاساندر؟

لم يُجِب، بل ظلَّ ينظر إلى المكان الذي اختفت فيه السفينة، ثم نظر إليها وإلى القارب الصغير. فجأة، نهض وركض نحو القارب، محاولاً الإبحار به. صرخت جونا بصوت عالٍ:

- لا أنصحك بهذا. القارب أصغر من أن يَمْلِك إلى وجهتك.

لم يكن زوري يستمع، فتركته جونا وذهبت للبحث عن زوجها. عندما رأت كاساندر متدثرًا بتلك الخيمة البالية، حَضَتْهُ وبدأت بالبكاء والتَّحِيب عليه. فتح كاساندر عينيه بصعوبة، وعندما رأى جونا، قال:

- هل أنت هنا حقًا، يا جونا، أم أن الموت يمنحني لحظات معك قبل أن يأخذني؟

أمسكت جونا بيده بكل قوتها وبدأت بفركها لإعادة الدَّفء إلى جسده، وقالت:

- أرجوك، لا تتحدث. لا تُجهد نفسك.

ثم أخرجت من حَقِيبتِها بعض الأَغْطِيَّة لتغْطِي بها جسده، وبعض
أدوية الشَّعْبِيَّة التي أَعْطَتْها إياها سولي، والأطعمة لتبدأ في العناية
به. بعد فترة من الصمت بينهما، قال كاساندر:

- لماذا أتيت؟ ستموتين معي إن بقيت. أرجوك، ارحلي.

أجابته جونا، بعزم:

- سابقى بجانبك، حتى وإن كان البقاء بجانبك يعني الموت.

مرّت عدّة أيام بعد رحيل جونا، ولا يزال أطفالها ينتظرون بفارغ
الصبر عودة والدتهم. لكن، لم تصل أي أخبار عنهم، وكان القلق يزداد.

ذهب ناروا إلى رئيس القرية بُهتان، وقال بلهجة ملؤها الحدة:

- هل من العدل أن نترك امرأة غير قادرة على حماية نفسها مع زوجها
المريض في تلك الجزيرة وحدهما؟ هل هذا هو الصواب، أيها الرَّئيس
بُهتان؟

نهض بُهتان من كرسيه بتأقل، وقال:

- أنت تعلم، يا ناروا، أن وجود كاساندر هنا برفقة هذا المريض،
الطاعون، سيؤدي إلى إصابة جميع سكان قرية أدغشترى، وستكون نهاية
بائسة لنا جميعنا.

تحدّث مومو، الذي كان يستمع بصمت، بلهجة هادئة غير معتادة:

- سأفرغ منزلي، الذي يقع في طرف القرية، لهم. ونتجنّب قرب
سكان القرية منهم حتى يتحصّن.

نظر بهتان إلى المنزل الذي أصبح مزدحمًا بالسكان، ورفع صوته قائلاً:

- هل جميع الموجودين يُؤيّدون ما يقوله مومو؟

حلّ صمت مفاجئ، ثم قال أحد كبار السن:

- يا سيدي، نحن نعلم طبيعة هذا المرض وأنه قد يُصيبنا حتى وإن
كنا على بعد كيلومترات. لكننا لا نريد أن يعاني كاساندر وزوجته من
البرد والعزلة في الجزيرة، التي تحتوي على الكثير من الحيوانات الجائعة.

قال مومو بتفاد صبر:

- ماذا تقترح إذن؟

أجابت امرأة في الثلاثينات من عمرها، دخلت فجأة إلى المكان:

- أقترح أن نضعهم في كهف النار الموجود في جنوب أدغشترى.

تعجّب بهتان وسأل:

- من تكونين؟

ابتسَمَت المرأة بابتسامة كشعاع قوس قُزح، وقالت:

- من لا يعرفني؟ أنا نواريا، ساحرة أدغشترى، وأخت كاساندر
الصَّغرى.

سَادَت لحظة صمت قبل أن يهَمَسَ الجميع لبعضهم البعض برعب.
كانت نواريا تنظر إلى بهتان بثقة، بينما الابتسامة لا تفارق وجهها.
قالت نونرا، زوجة مومو:

- ماذا تفعلين هنا، أيتها الساحرة؟ ألم تكفك الإهانة عند طردك من
القرية قبل سنوات؟

ضحكت نواريا بشموخ، وقالت:

- طُردت، لكنني عدت الآن لسبب آخر لا يُمكنكم طردي منه.
أريد العناية بأخي وعائلته. أليس هذا من حقِّي، أيها الرئيس بهتان؟
صمَّت بهتان قليلا، وأتضح على وجهه التوتر. ثم قال:

- حسب قوانين قريننا منذ مئات السنين، من طُرد من المكان
يستطيع العودة إليه عندما ترتبط عودته بأحد ساكني أدغشترى.
قال ناروا بقلق:

- هذه الساحرة ستجلب اللعنة على قريننا كما فعلت في المرّة
السابقة.

غضبَ بهتان وقال:

- أنت لا تعلم شيئًا، يا ناراوا، وكذلك الكثيرون هنا. كنتم صغارًا
عندما حدثت الواقعة. من يخالف قوانين القرية تُصيبه لعنة أشد من تلك
التي أصابتنا بوجودها.

ضحكت نواريا بسخرية، ومألت ضحكتها أرجاء القرية، وصمت
الجميع بذلّ وخُضوع.

في الجزيرة، حيث كان كاساندر مستلقياً على أوراق الشجر في خيمته،
بجانبه حساءٌ أعدته جونا من المواد المتاحة في الجزيرة وبعض مما جلبته
معها، فتح عينيه بصعوبة وقال:

- ابتعدي عني، يا جونا. أرجوك.

هزت جونا رأسها بغضب وقالت:

- لن أرحل. سأبقى معك حتى يزول هذا المرض أو يُصيبني معك.
سقطت دمعة من عينيه، وقال:

- أترين، جونا؟ لقد سعدت بنا أحلامنا إلى السماء ثم رحلت عنا،
لنقع على رؤوسنا.

ابتسمت جونا، ويدها تُمسك بيده، وبدأت أعراض الطاعون تظهر
عليها. قالت بضعف:

- لا أبالي بالسقوط برفقتك، يا زوجي العزيز. فالموت برفقة من
نُحب هو حياة من نوع آخر.

بعد لحظات قليلة من انتهائها من جملتها، أصيبت بالغيثان وبدأت
تنقي كل ما تناولته منذ عدة أيام. جسدها وهن فجأة، ويدها ارتعشتا.
صرخ كاساندر بضعف:

- ارحلي، أرجوك، لا أريدك. ابتعدي عني، جونا!

ضحكت جونا وهي تنظر إلى يديها وقالت بضعف:

- قد فات الأوان على ذلك، يا عزيزي.

في صباح اليوم التالي، قرّر الجميع نقل كاساندر وجونا إلى كهف النار، الذي هو منزل نواریا بعد طردها. عندما وصلوا إلى الجزيرة، وجدوا كاساندر وجونا يحضنان بعضهما بهدوء واستسلام، وملاصحتها الهادئة تُوحى بالنوم.

حاولت نونرا الاقتراب منهما وهمست:

- سنأخذكما إلى مكان آمن، يا جونا.

لم تلتق رداً، فحاولت الاقتراب أكثر، لكن نواریا صرخت بقوة:

- لا تقتربي منهما.

سألت نونرا:

- وما شأنك في هذا؟ لقد ارتديتُ كل ما يجعلني آمنة من المرض.

أجابت نواریا بصوت مُخْتَبِق:

- أيتها الحمقاء، ألا تَرين أنهم موتى؟

نظر الجميع إلى الجثتين بصدمة، وقال ناروا بعدم تصديق:

- لا، لا يمكن ذلك.

ابتسمت نواريا، وقالت:

- لقد رحلا، لا حاجة لنقلهما إلى منزلي بعد الآن. احرقوا الجثتين أو افعلاوا بها ما تشاؤون. سأسبقكم إلى السفينة.

رحلت مُتجاهلةً موت أخيها وزوجته بكل برود. أثناء عودتهم إلى قريتهم برفقة الجثتين، شاهدوا قاربًا صغيرًا يحمل شعار القرية، وعليه جثة رجل أبيض، يتلاعب به البحر دون إرادة. تأملت نواريا الجثة لبعض الوقت، ثم همست بصوت خافت، وكأنها تحدث شيئًا غير مرئي للجميع:

- حقًا، تقول إن هذه الجثة أيضًا مُصابة بالطاعون؟ فهمت.

وجَّهت نواريا نظرها إلى الجميع وقالت:

- هذه الجثة كانت أيضًا معها، وأصابها ما أصابها. دعوها، ليسَ لنا شأن بها.

قال مومو بقلقٍ منها:

- ألم يخبرك شيطانك أننا يجب أن نحرق الجثة لكيلا تنقل العدوى لمن يُصادفها؟

ضحكت نواريا بسخرية من سذاجته، وقالت:

- ما شأننا؟ دع الجثة تنقل العدوى لمن تُصادفه. لماذا نعرض أنفسنا لخطر إضافي بحملها معنا؟ ألا يكفي وجود الجثتين بالفعل!

قال نارواوا بحزم:

- يجب علينا إحراق الجثة.

اتضح الغضب على وجه نواريا. أمسكت بقماش تنظيف من السفينة،
وأشعلته باستخدام احتكاك الأحجار التي كانت في حقيبتها، ثم قذفته
نحو القارب. لم تمر سوى لحظات حتى اشتعل القارب والجثة التي عليه.
قالت نواريا ببرود:

- انتهينا الآن. دعونا نرحل من هنا، فقد مللنا من البحر ورائحة

الجثث.

أبحر المركب نحو آدغشتری، وعند وصوله، أصاب الحزن وتأنب
الضمير سكان القرية. أقيمت جنازة لجونا وكاساندر، حيث عُرفت
تقاليد القرية بكون العزاء احتفالاً تمزجاً بالحزن، يغمره غناء تراجيدي
وبكاء بين الحين والآخر، بينما يرتدي الجميع ملابس بيضاء.

صرخ الأطفال فور رؤيتهم لجثث والديهم قبل حرقها، وقالت
جونائش، التي لم تفهم الكثير عن الموت، وهي ترى والديها يُقتادان نحو
النار المشتعلة بجانب البحر:

- خذوني معهما، جونا، أرجوك، خذيني معك!

بكت سولي وهي تضع يدها على فم جونائش، وهمست لها:

- لا تقولي ذلك، عزيزتي. لا تتمني الموت، أرجوك.

أجابت جونائش بدموع:

- ولكنني أريد الرحيل معهما، لا أريد البقاء هنا.

قالت سولي برفق:

- لكنهم لم يرحلوا، بل هم هنا.

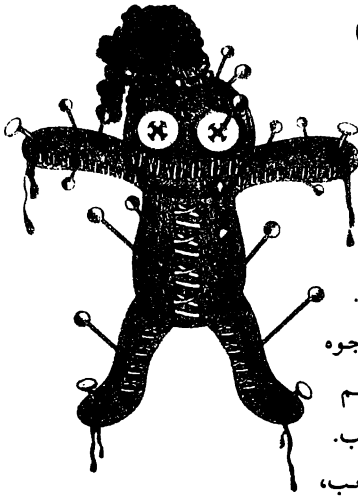
أشارت سولي بإصبعها نحو قلب جونائش. نظرت جونائش بدهشة
إلى جسدها لبعض الوقت، ثم قالت:

- هل هم بداخلي؟ ولكن لا أستطيع رؤيتهم.

أجابت سولي:

- ستفهمين كل شيء عندما تكبرين.

حُرقت جثتا جونا وكاساندر، وبذلك انتهت قصة حبهما وكفاحهما من أجل مستقبل أفضل لأطفالهما. ولكن ربها، في مكان آخر بعيد عن هذه الحياة ومرارتها، قد يكونا سعيدين الآن.



(6)

بدأ منزل جونا
وكاساندر يتغير تدريجياً،
حيث عمّ السواد كل
زاوية فيه فور دخول نواریا.

اختفت البسمة من وجوه
الأطفال، وظهرت عليهم
علامات الإرهاق والتعب.
كانوا يعملون بدلاً من اللعب،

بأوامر صارمة من نواریا التي أصبحت المسؤولة عنهم بعد وفاة
والديهم.

ذات ليلة، شعرت جوننايشن بألم شديد في بطنها نتيجة الجوع والبرد.
تحركت ببطء نحو باراد، ودموعها تتساقط بصمت، وقالت:

- باراد، بطني يؤلمني كثيراً.

لكن باراد، الذي كان منهكاً من العمل طوال اليوم، لم ينهض. ذهبت
جوننايشن إلى ريتا، التي كانت تننّ من الحزن في نومها، وتحدثت همساً:

- ريتا، بطني يؤلمني كثيراً.

لكن ريتا، مشغولة بالحديث عن معلوماتها الغريبة وتفكيرها في مأساة وفاة والديهم، لم تستطع مساعدتها. فنهضت جوناين بخطوات مترددة نحو الأسفل، رغم خوفها من عصيان أوامر عمّتها نواريا التي تمنعهم من النزول حتى مطلع الفجر.

عندما نزلت الدرجات بحذر وذهبت إلى مطبخ المنزل، فتحت أغطية حفظ الأطعمة، وفجأة همس صوت من ورائها برعب:

- جوناين، أيتها الطفلة المشاغبة، ماذا تفعلين؟

أغمضت عينيها بخوف وقالت بكل براءة:

- أردت فقط بعض الخبز، بطني يؤلني، يؤلني جداً.

ضحكت نواريا ببرود، ثم قالت:

- إذا، أنت فتاة جشعة تعصين أوامري لأجل معدتك، أليس

كذلك؟

نظرت جوناين للخلف لتجد عيني نواريا قد تحولتا بالكامل إلى السواد، ويدها اليمنى دُمية على شكل جوناين، وقد غرست دبوساً أسود في بطنها. لم تستطع جوناين النطق لشوان من هول الألم، ثم صرخت بكل قوتها وسقطت مغشياً عليها.

أفاقت لتجد نفسها في غرفتها بين الجميع، وبطنها ما زال يؤلمها بشدة، لكنها اختارت البقاء في مكانها، متجاهلة الألم بسبب الخوف مما

شاهدته. انتشر الألم في جميع أنحاء المنزل، فشمعت ريتا بألم شديد في رأسها أثناء عملها في النسيج، ثم سرعان ما انتشرت الآلام في جسدها لتصرخ وهي تمسك برأسها، مما جعل سكان القرية يظنون أنها على وشك الموت.

ركضت جونائين نحو باراد ومارو، اللذان كانا يجمعان الحطب استعدادًا لبيعه في السوق الكبرى. قالت جونائين بقلق شديد:

- ريتا تبكي كثيرًا، ريتا تتألم.

ترك الاثنان ما كانا يعملان فيه وركضا نحو مصنع النسيج ليجدا العديد من النساء متجمعات حول ريتا، يتناقشن بشأن حالتها. صرخ باراد بينما يحاول العبور بينهم:

- ابتعدوا دعوني أمر، إنها أختي.

فور دخوله، اتسعت عيناه من المنظر: ريتا تنزف من جميع أجزاء جسدها وعيناها أصبحتا بيضاوين بالكامل. لم يستطع التحرك من مسامته للحظات، فقد مرّ على وفاة والديه عدة أشهر فقط، وما هو الآن مثل وشك فقدان شخص آخر من عائلته. شعر بشيء يشدّ يديه، فتنبّه ليزني جونائين، وعينيها مليئتان بالدموع، وهي تسأله:

- هل ستذهب ريتا أيضًا مثل جونا وكاساندر، يا باراد؟

جمع بعض الشجاعة وحملها بمساعدة مارو نحو طبيب القرية، بينما اجتمع السكان، بما فيهم مومو وناراوا وزوجاتها ورئيس القرية، وحولوا الحديث إلى محادثة مؤلمة للأطفال.

- هل ستموت؟

- يا للأسى، ما بال هذه العائلة؟ قد أصابها الشؤم. يبدو أنها ستفارق الحياة مثل والديها.

صرخ مارو، واضعاً يديه على أذنه:

- أرجوكم، اصمتوا. لا أستطيع سماع هذه الكلمات!

ثم بكى كالأطفال، فهو لم يذرف دموعه منذ وفاة والديه. وضعت نونرا الطفلين ميتارو وسانجونى، اللذين أصبحا تحت رعايتها بعد تخلي نواريا عنهما وامتناع سولي عن تربيتهما بسبب حزنهما. جلست بجانب مارو، وقالت:

- سعيدة جداً، رغم حزني. أخيراً استطعت إطلاق العنان لحزنك.

ثم مسحت دموعه وأردفت:

- سيَزول كل شيء قريباً، قريباً جداً.

في تلك اللحظة، دخلت نواريا إلى المكان، وملاحظتها تحمل آثار الحزن
و كأنها كانت تبكي. ركضت بسرعة نحو غرفة الطيب، إلا أن جوناين
وقفت أمام الباب، عازمة على منعها من الدخول.

- لن أجعلك تقترين منها!

صرخت جوناين، مُتَشَبِّهة بموقفها.

نواريا نظرت للجميع بتوتر، ثم همست لجوناين بلهجة تحذيرية:

- ابتعدي، أيتها الطفلة، وإلا سأقتلك.

أعدت جوناين التأكيد بحزم، رغم أنها كانت ترتعش من الخوف:

- لن أجعلك تقترين منها.

مومو، الذي كان يراقب الموقف بقلق، قال بصوت خافت:

- يبدو أن السيدة نواريا غير محبوبة لدى الأطفال.

صرخت نواريا، مُستنكرة:

- وما شأنك، أيها الغبي مدعي العلم؟

زوجته، نونرا، التي لم تستطع كتم غضبها، تدخلت قائلة:

- إياك والصراخ على زوجي، أيتها البغيضة.

تحوّلت عينا نواريا إلى السواد فجأة، وعمت الفوضى والرعب المكان. رفعت يديها للأعلى، وبدأت السحب السوداء تتدافع في السماء الصافية، متهمة المشهة بالكامل إلى سواد قائم.

مر داخل فمها، خرج صوت رجولي عميق يقول:

هل تريدون الموت، أيها البؤساء؟

ابتسمت نواريا بخُبث، كاشفة أسنانها المليئة بالألوان الغريبة، وقال
انصوت من داخلها:

- الموت غرقاً نهاية جميلة، أليس كذلك؟

تفرّق الجميع من المكان، باستثناء مومو، ناروا، وزوجاتهم سوني
ونونرا، والأطفال. حاولت نونرا سحب جونايشن بعيداً، ولكن نظرات
نواريا الثاقبة جعلتها تتردّد.

صرخت جونايشن، بكل ما في صوتها من قوة:

- لن أدعك تفعلين شيئاً لأختي الكبرى!

نظرت نواريا إلى جونايشن بهيمنة لعدة ثوانٍ، ثم، في لحظة واحدة،
سادت السماء - إلى سفاتها كما كانت، وعاد صوتها إلى طبيعته، حيث قالت
بصوتها الأثني الرقيق:

- لقد كسبت، أيتها الصغيرة، لبضع ساعات فقط.

هذه الكلمات، عادت الأجواء إلى هدوئها، ولكن الرعب لم يختف
تمامًا، حيث استمرّ القلق والاضطراب في نفوس الجميع من خطواتها
القادمة

رحلت نواريا عن الجميع وكأن شيئًا لم يكن. اقترب باراد من
حر نايشر، واحتضنها بكل قوته، خائفًا عليها من الأذى. قال بصوت
محمّل بالقلق:

- لا تفعلي ما فعلته قبل قليل، فهذه السيدة شريرة، أتفهمين؟

جونايشر، التي كانت لا تزال ترتجف من الخوف، أجابت بصوت
خافت:

- ولكنني أخاف منها، لا أريدها أن تقترب من ريتا.

- قلت لك، لا تقومي بأشياء تجعلك في موضع خطر، حتى وإن كان
لأجل شخص تهتمين لأمره.

ريت باراد بيده على رأسها برفق، ثم فتحت باب غرفة الطبيب ليخرج
مه قائلًا:

- هل لك، يا باراد، أن تخبر الرئيس بهتان أنني أريد التحدّث معه؟

باراد، الذي كان يبدو عليه الخوف، رد:

- لماذا؟ هل هناك شيء سيئ يحدث؟

صمتَ الطيب لحظات، ثم قال برجاء:

- لا تخف، ولكنني أريد التحدّث مع الرئيس لأمر آخر.

ذهب باراد لإبلاغ الرئيس بما قاله الطيب، الذي طلب منه ومن الآخرين أن يبقوا خارج الغرفة. داخل الغرفة، قال بهتان للطيب بون:

- أخبرني، يا بون، هل حالتها خطيرة للغاية؟

- في الواقع، نعم. التزيف لا يتوقف، وفي ذات الوقت لا يظهر أي أثر لمرض معروف في عالم الطبّ قد أصابها.

- ماذا تعني؟

- أشك أن ما حصل لها قد يكون لعنة.

صمتَ بون للحظات، ثم أضاف:

- الألم يتقل في جسدها وكأنه يعلم جيّدًا أين يضرب صرْبته، وبنفس الوقت يبتعد عن الأماكن التي قد تقتل الشخص مباشرة. هذا يجعلني أشك في أنه ألم طبيعي.

- عن أي لعنة تتحدّث، يا بون؟

فتح الطيب جزءاً من جسد ريتا ليكشف عن حفرة صغيرة، وكأنها
صنعت برأس إبرة، وقال:

- عندما تبكي وتُشير إلى جزء من جسدها، أرى ثغرة جديدة، وكأنها
ناجمة عن إبرة. يبدو أن هذه الطفلة مصابة بلعنة السحر الأسود، سحر
الفودو.

- الفودو؟ ظننتُ أن هذا السحر قد دُفن منذ سنوات عديدة، فهو
محرم حتى في عالم السحر، والسحرة يخشون القيام به بسبب التضحيات
التي يتطلبها.

قال الطيب بون:

- بالفعل، هناك بعض السحرة الذين تمردوا على هذا القانون وقد
يفعلون أسوأ من سحر الفودو لتتحقيق أهدافهم.

- ماذا يجب علينا فعله لإنقاذ هذه الصغيرة، بل لإنقاذ قريتنا
بأكملها؟

صمتَ الطيب قليلاً، ثم قال:

- يجب عليك أن تُبعد السيدة نواريا عن هذه القرية. على ما يبدو،
هي سبب كل ما يحدث.

قال بهتان بياس شديد:

- أنت تعلم أننا لا نستطيع ذلك. اعتنِ بابنة كاساندر بكل ما تستطيع، إلى اللقاء.

رحل بهتان مُبتعدًا عن المكان، ليهمس باراد بصوت خافت بعد سماعه لكل شيء بغضب:

- نواريا هي السبب.

ثم ركض باتجاه كهف النار حيث تُوجد نواريا. في طريقه نحو كهف النار، وجد باراد الطريق مغطى بالأفاعي السامة التي كانت تتأمل في فريستها القادمة. انتابه الخوف، وعاد خطوة إلى الوراء، ولكنه أغمض عينيه وتحيل نظرات والديه إليه من السماء، فاستجمع شجاعته وركض نحو الأفاعي. بعد صراع عنيف معها، تجاوزها، ولكن الثقوب الناتجة عن عضات الأفاعي بدأت تتشبر حول جسده، مما جعله يشعر وكأن الموت قريب منه. ومع ذلك، لم يستسلم، واقترب من الكهف وهو يردد:

- سأنقذ إخوتي، وإن كلف الأمر أن أموت هذه الليلة.

عندما وصل إلى الكهف، سمع صوت نواريا وهي تغني. رغم أن صوتها كان هادئا، إلا أن الأغنية حملت في معانيها رُعبًا لا يُطاق. أخرج جزءًا من رأسه لينظر نحوها، ليجدها ترقص مع الأفاعي، ويديها دُمية تشبه ريتا. بين حين وآخر، كانت تضع في جسد تلك الدمية إبرة وتُتميم:

سأقتل الجميع بتهويده صغيرة
وأجعلهم كالدمى بين يدي
ومن كل قطرة دم سأنقش تعويذة،
تدقق من جرحها أنهار من الدماء.
سأزرع في أعينهم صممت الرعب،
وأغزل من أنفاسهم خيوط الهلاك،
ليلهم سيكون أبدياً،
وكل صرخة منهم ستلوث في هواء مسموم بالعدم.
سيغلق كل قلب قبراً مفتوحاً،
وكل جسد حاملاً للخراب،
حتى تهوي الشمس إلى ظلام أبدي،
حيث لا وجود سوى العذاب،
ولا صوت سوى أنين الأرواح الممزقة.
سأكون ظلهم الأخير،
والعنة التي لا تنتهي،
حتى يبقى العالم جثة هامدة،
يتلعبها صممت الفناء.

وفي تلك اللحظة، شعر باراد بأن الخطر يُحيط به من كل جانب، لكن
عزيمته علم، إنقاذ عائلته كانت أقوى من أي خوف أو ألم.

نظر ر. نواريا إلى السماء وهي تصرخ بكل قوتها، صوتها يمتد في
الضمت المحيط:

- هل نسمعني، يا كاساندر؟ سأجعلك تعيش حتى في عالم

الأموات!

كان باراد مختبئًا خلف الصخور، جسده يرتجف من شدة الخوف.
الأفكار السوداء والأفاعي التي ثقت جسده كانت لا شيء مقارنة بهذا
المشهد. كانت هذا اللحظة أكبر من قدرته على التحمل. ارتسمت
ابتسامة مرعبة على وجه نواريا، وهي تراقب خوفه:

- يالك من شجاع، يا باراد، لقدومك وحدك إلى هنا، إلى كهف

النار.

فجأة، اختفت نواريا من مكانها لتظهر أمام باراد مباشرة. أتسمت
عيناه من الرعب، ولسانه انعقد، عاجزًا عن النطق. اقتربت منه بنظرات
ملتهبة وقالت:

- ربما رابط الأخوة هو ما دفعك لهذه الخطوة المجنونة. هل تعلم يا

عزيري كاساندر؟ رابط الأخوة يمكن أن يجعل الجبان شجاعًا في لحظة،

والبخيل كريماً في لحظة أخرى، بل وحتى الطيب يمكن أن يصبح حقوداً،
حقوده لا تطفئه مياه الأرض بأكملها.

باراد بالكاد استطاع أن ينطق، وصوته يخرج بتلعثم:

- لكنني لست كاساندر...

ضحكت نواريا ببرود وقالت:

- أعلم أيها الغبي، لكنك ووالدك تتشابهان إلى حد كبير. سأروي

لك قصة من وحي الخيال قبل أن أقتلك.

وفي لحظة واحدة، تحوّل المكان حول باراد. نظر من حوله ليجد نفسه

على شاطئ أدغشترى، بجانبه طفلة صغيرة تبكي، جاء إليها طفل آخر

وقال برقة:

- ما بك، يا نواريا؟

أجابت الطفلة بصوت مليء بالحزن:

- تلك السرطانات قرصتني بقوة في قدمي، يا كاساندر. إنهم

شريرون حقاً.

ضحك كاساندر برفق، ثم تحوّل تعبيره إلى حنان وهو يقول:

- قد تكونين أزعجتهم، يا نواريا. فهم مُسالمون جداً بطبيعتهم.

سألت نواريا بدهشة:

- ولكن لماذا لم يُخبروني قبل أن يهاجموا؟ كنت سألعب بهادياً.

ابتسم كاساندر ونظر نحو واحدة من السرطانات وقال لها:

- أوسمة مين ما يقوله هذا السرطان الصغير لك؟

ردت نواريا بفضول:

- كلا، ماذا يقول، يا كاساندر؟

أجابها:

- يعتذر بالنيابة عن السرطانات الأخرى ويعدك بعدم تكرار ذلك

أبداً.

مسحت نواريا دموعها وقالت:

- حسناً، أيها السرطان الصغير، أنا أقبل اعتذارك.

اقتربت لتقبله، فقرصها السرطان مرة أخرى. صرخت متألمة:

- شيرير... شيرير!

ضحك كاساندر من سداجة أخته، لكنه لم يعلم أن تلك اللحظة

الصغيرة ستغير مسار حياتها إلى الأبد.

مرّت الأيام، وجاءت فتاة تُدعى جونا لتعيش مع عائلتها في قرية
أدغشترى. لم يمر وقت طويل حتى أصبح كاساندر وجونا صديقين
مقربين، لدرجة أنه نسيَ أخته نواريا التي كانت تراقبهما من بعيد، عينها
توهج بالغضب المتزايد.

في يوم من الأيام، استطاعت نواريا أن تعقد صداقة مع سرطان بحر
صغير لم يقرصها عندما لمسته. ركضت نحو كاساندر تصرّخ بسعادة:

- انظريا كاساندر! لقد استطعت أن أصادق سرطانًا!

لكن كاساندر، كان مشغولاً بجونا، أجابها بلا مبالاة:

- ليس الآن، يا نواريا. لديّ أنا وجونا بعض الأحاديث التي لا يجب
عليك سماعها.

رحلت نواريا بعيداً، ودموعها تنهمر، قلبها يتمزق من الغيرة التي
تحوّلت إلى حقد يوجب أرجاء قلبها. لم تعد تحبّ أخاها كالسابق، رغم
محاولاته للتقرب منها مجدداً. في إحدى المرات قال لها:

- نواريا، اليوم سيذهب الجميع إلى المدينة لمشاهدة احتفال تنويج
الرئيس الجديد. هل تريدان الذهاب؟

نظرت إليه بحقد وغضب وقالت ببرود:

- لا أريد. اذهب برفقة جونا، فهي الأقرب لك.

أجابها:

- أنت أيضًا أختي، وأريد اللعب معك.

أمسكت بيدها ذلك السرطان الذي كان يقترب منها بهدوء، وحين استقرّ في كف يدها، قطعته نصفين بقوة. وقف كاساندر مذهولاً، تراجع خطوتين إلى الوراء وقال:

- لم تعودى نواريا التي أعرفها.

ورحل بعيداً، تاركاً إياها وحدها في ظلام قلبها المتزايد.

في تلك الليلة، ذهب الجميع إلى المدينة، بينما بقيت نواريا وحدها في القرية. البحر كان هائجاً، وقذف بجانبها قنينةً مقلّعة بداخلها ورقة وخاتم، زحفت نحو القنينة، نظرت إليها بفضول شديد. فتحتها بصعوبة لتجد ورقة مكتوب عليها:

- الآن قد ملكتني.

لم تفهم ما تعنيه الكلمات، وضعت الورقة جانباً ونظرت، تناولت الخاتم الأسود المنقوش عليه أفاعٍ سوداء، بحجر أحمر متلألئ في أعينهم. لبست الخاتم بلا وعي منها، وسرعان ما تحوّل لون عينيها إلى السواد القاتم، وامتلات السماء بالغيوم السوداء، وازداد البحر هيجاناً.

خرج جميع كبار السن من منازلهم، ليجدوا أن البحر قد بدأ يشكّل
فيضاناً قادمًا نحو القرية. ركض الجميع نحو الجبال للنجاة، ولكن رجلاً
واحدًا، جدّها ميلان، ركض باتجاه الفيضان لإنقاذها. نادى بصوت مليء
بالقلق:

- نواريا، الفيضان قادم. علينا الذهاب للأعلى.

لم تُجِب، بل ظلّت تنظر إلى المياه بعينين متسعيتين من الرعب. عادت
عينها إلى طبيعتها أخيرًا، التفتت إلى مصدر الصوت، لترى جدّها يحاول
حملها، رغم كبر سنّه.

قالت له بصوت مليء بالخوف:

- جدّي، ما هذا الذي يحدث؟ أنا خائفة.

رغم أنه لمحّ السواد في عينيها قبل أن يختفي، كان كل ما يهّمه في تلك
اللحظة هو إنقاذها. حفيدته التي يجيها بشدّة:

- لا تقلقي، سنصعد إلى الجبل وسنكون بخير.

ركضوا جميعًا نحو الجبل، بينما وصلت نواريا وجدّها متأخرين.
سحب الماء ميلان بعيدًا عنها، لكن كلما اقترب الماء منها، قوة غامضة
كانت تدفعه بعيدًا عنها. حاولت الذهاب إلى الماء لإنقاذ جدّها وهي
تصرخ:

- لا ترحل! أرجوك لا تمث كما فعل والداي... جدّي!

لكن المياه استمرّت في دفعها بعيدًا، لتنتهي الكارثة بعد ساعات. عاد البحر إلى مكانه، وجثة ميلان غارقة في الوحل. نظرت إلى جثة جدّها بحزن شديد، والدموع تتساقط من عينيها مرارًا وتكرارًا. في تلك اللحظة، عاد كاساندر مع من ذهبوا إلى المدينة. صرّخ فور رؤيته لجثة جدّه، ثم انهار باكياً وهو يحاول يائسًا إعادة الحياة إلى جسد جدّه الميت.

ركضت نحو شقيقها كاساندر، تسعى للاحتواء به من السواد الذي يزداد رويدًا رويدًا بداخلها. كان الشعور بالذنب والعجز يؤلمها بشدّة بعد رؤيتها لجثة جدّها أمام عينيها. وعندما وصلت إلى كاساندر، صرّخ رجل من بين الحضور:

- ساحرة!

أضاف شخص آخر:

- البحر لم يستطع ابتلاعها بسبب شياطينها.

وقال ثالث:

- لقد شاهدت ما حصل، هذه الطفلة هي سبب هيجان البحر.

كان الخوف يتملكها، نظرات الجميع الموجهة نحوها كالسكاكين تخترق جسدها الطفولي الذي لم يعد يفهم ما يدور حوله. كلما ازداد القوم صراخًا واتهامًا، كانت تضغط بيديها الصغيرة على رداء أخيها كاساندر

أكثر فأكثر، مُشَبَّهة به وكأنها تجد فيه الأمان الوحيد. أما كاساندر، فقد كان في تلك اللحظة غارقاً في صدمة عارمة؛ عقله لم يعد يستوعب ما يحدث، فقد كان قلبه ممزقاً بين جثة جده الباردة وبين غضب القرويين المتزايد.

تَوَالَت الأصوات الغاضبة كأموج هائجة حتى شقَّ الطريق بينهم بُهتان، زعيم القرية، الذي تقدم بخطوات بطيئة نحوهم. جلس بجانب نواريا محاولاً أن يبدو ودوداً، لكنه كان يُثير في قلبها رعباً أشد. نظرت إليه بخوف من خلف جسد أخيها، ثم أسرعت لتغطية وجهها مجدداً. بعد لحظة، دفع كاساندر أخته برفق إلى الخلف، محاولاً أن يفهم ما يجري وقال بصوتٍ مُرتجف:

- ما شأن أختي بما حدث لجدي؟

ابتسم بُهتان ابتسامة باردة وقال:

- أريد فقط أن أرى عينيها، بعدها سأحكم بما يجب فعله. هل تسمح

لي؟

كان صوته هادئاً ومُقنِعاً بطريقة مرعبة، فالتفت كاساندر إلى نواريا

وهمس لها بصوت مليء بالتردد:

- لا بأس، دَعِيه يرى ما يريد.

اقتراب ثم انارة منها اربطه ونظر في عينيها المسالمة، ولكن سرعان ما لاحظ شرارة غريبة، موجات سوداء تتلاطم في يوبوبها، كأن ظلاماً مخيفاً يخترق نوافعها، وفي تلك اللحظة، افقت انتباهه الحاتم الأسود الذي تلبسه، أحجاره الحمراء المتوهجة كالدّم في عيون الأفاعي المنقوشة عليه. حاول نزع الحاتم من إصبعها، لكن يده ارتدت إلى الخلف، وكأنه قد ارتطم بحاجز غير مرئي. شعر بالرعب يملأ قلبه، فابتعد عنها بضع خطوات ثم صرخ بصوت عالٍ:

- علينا التخلّص منها!

سرت الجملة كالنار في الهشيم بين القرويين، مُرّدين بصوت واحد:

- يجب علينا قتلها... هذه الطفلة ستكون لعنةً علينا جميعاً!

تقدموا نحوها كوحوش بريّة، عيونهم مشتعلة بالغضب والخوف، وعقولهم لم تعد تستوعب سوى ضرورة التخلّص من هذا الخطر المحدث. في المقابل، كان كاساندر يشعر بالرعب يتسرّب إلى قلبه، خوفاً على أخته الصغيرة. حاول بكل قوته إبعادهم عنها، متوسلاً إليهم:

- ابتعدوا عن أختي! من فضلكم، اتركوها، سنغادر القرية ولن

نعود، فقط دعوها وشأنها!

لكن تَوَسَّلَاتِهِ ذَهَبَتْ أَدْرَاجَ الرِّيحِ، وَتَشَبَّثَتْ نَوَارِيَا بِهِ بِكُلِّ قُوَّتِهَا،
لَكِنَّهَا كَانَتْ ضَعِيفَةً أَمَامَ سَيْلِ الأَيَادِي الَّتِي انْتَزَعَتْهَا مِنْ بَيْنِ ذِرَاعَيْهِ،
وَاقْتَادَوْهَا نَحْوَ الْمَوْتِ.

نَهَضَ كَاسَانْدَرُ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ أَرْضًا، وَرَكَضَ بِأَتْمَاجِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى،
مَحَاوِلًا إِنْقَاذَهَا، لَكِنَّهُ كَانَ يُلْقَى أَرْضًا فِي كُلِّ مَرَّةٍ. وَمَعَ كُلِّ مَحَاوِلَةٍ، كَانَتْ
الدَّمَاءُ تَنْزِفُ مِنْ جِسَدِهِ الصَّغِيرِ، حَتَّى سَقَطَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ بَعْدَ ضَرْبَةٍ قُوَّةٍ
مِنْ هَرَّاسٍ، أَحَدِ الرِّجَالِ الأَقْوِيَاءِ فِي الْقَرْيَةِ.

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، ظَهَرَتْ جُونَا مِنْ بَيْنِ الحُشُودِ، مَحَاوِلَةً أَنْ تَقْتَرِبَ
مِنْهُمْ، لَكِنَّ وَالدَّتْهَا أَمْسَكَتْ بِهَا بِقُوَّةٍ وَهَمَسَتْ لَهَا:

- لَا شَأْنَ لَنَا بِمَا يَجْدُثُ، نَحْنُ غُرَبَاءُ هُنَا.

حَاوَلَتْ جُونَا أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ وَالدَّتْهَا، وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ مَمْسُكَةً بِهَا. أُخِيرًا،
جَمَعَتْ كُلَّ شَجَاعَتِهَا وَدَفَعَتْ يَدَيْهَا وَالدَّتْهَا بَعِيدًا، وَرَكَضَتْ نَحْوَ كَاسَانْدَرِ
لِتَجِدَهُ مُلْقَى عَلَى الأَرْضِ، جِسَدُهُ مَغْطَى بِالدَّمَاءِ.

- كَاسَانْدَرَا! انْهَضْ، أَرْجُوكَ... لَا تَتْرُكْ نَوَارِيَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ،
سَيَقْتُلُونَهَا!

لَكِنَّ كَاسَانْدَرُ لَمْ يَسْتَجِبْ؛ كَانَ جِسَدُهُ مَرَهَقًا وَرُوحُهُ قَدْ اسْتَسَلَمَتْ،
بَيْنَمَا صَرَخَاتُ نَوَارِيَا تَتَرَدَّدُ فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ، مُسْتَنْجِدَةً بِأَخِيهَا الَّذِي كَانَ
عَاجِزًا عَنِ الدَّفْعِ عَنْهَا.

كان الجميع في القرية يشعرون بالرعب من السحرة ولعناتهم،
وإذلك نخلوا عن إنسانيتهم في تلك اللحظة. تقدمت الحشود نحو النيران
المشتعلة، يستعدون لحرق نواريا كما يفعلون بجثث الموتى. لكن قبل أن
يقذف هراس بجسد الطفلة في النيران، ظهر رجل في بداية شبابه ووقف
في طريقهم. نظر إلى هراس، وقال:

- لو كنت مكانك، لما فعلت.

توقف هراس عن الحركة، ونظر إلى الرجل الغريب الذي أطلق عليه
اسم ناروا وقال:

- ماذا تعني بكلامك؟

- إذا كانت هذه الطفلة حقًا ساحرة، وأصبح جسدها وعاءً
للسياطين، فإن إحراقها لن يجلب إلا المزيد من اللعنات. إنني أنصحك يا
هراس، ففكر جيدًا قبل أن تقوم بهذه الخطوة.

ازداد التوتر في وجه هراس، لكن الرئيس بهتان قطع عليه تفكيره،
وأمره بصوت حازم:

- ليس لديك الخيار... اقدفها في النار الآن!

كانت النيران تتراقص أمام أعين الجميع، وكادت تلتهم نواريا التي
كانت قد فقدت وعيها من شدة الصدمة. ولكن قبل أن يتمكن هراس

من تنفيذ الأمر، بدأت ضحكات ساخرة تخرج من فم نواريا، لكن الجسد ظلّ متصلبًا بين يديه. كان الصوت غريبًا، صوت رجل بالغ يخرج من فم الطفلة.

- استمع لما يقوله ذلك الحكيم.

تراجع هراس بوجهٍ مرعوب، وكذلك فعل كل من كان في المكان. لكن عوضًا عن ترك جسدها، قذفها بكل قوته نحو النيران المشتعلة. وفي اللحظة التي لامست فيها النيران جسدها، تحوّلت السماء إلى سواد قاتم، وهاج البحر مرّة أخرى.

تراجع الجميع نحو الجبل هربًا من الكارثة التي شعروا أنها قادمة. لكن قبل أن يلحق هراس بهم، شعر بشيء يُمسك به بقوة، رُفع في الهواء ثم أسقط على الأرض، جسده مغطى ببقع سوداء وعيناه قد تحوّلتا إلى اللون الأبيض. لقد فارق الحياة.

في تلك اللحظة، نهض جسد نواريا من وسط النيران، وكأنه لم يُمس، واندفع نحو الغابة بسرعة هائلة، باتجاه كهف النار، حيث اختفت في الظلام.

مرّت أيام على هذه الحادثة، والقرية غارقة في الخوف من عودة نواريا ومعها اللعنة التي تلبّست بها. أما كاساندر، فقد أصيب بالحمى بسبب الصدمة واختفاء أخته. ومع ذلك، كان يخرج كل ليلة للبحث عنها برفقة

جوناً، لكنهم لم يجدوا لها أثراً. سمعَ من الناس أنها قد توجَّهت إلى كهف النار، لكن كلِّما حاول الاقتراب منه، وجد نفسه يعود إلى منزله دون أن يُدرك ذلك.

بينما كانت نواريا في ذلك الكهف، تبكي بحرقة وتقول بصوت مُتقطع:

- أريد العودة إلى المنزل.

لكن صوتاً رجولياً انبعث من داخلها، وقال:

- لقد قذفوك في النيران، وتقولين إنك تُريدن العودة!

ثم يُواصل في قوّة:

- انتهى كل شيء بينك وبينهم. ابدئي حياتك الجديدة هنا في منزلك الجديد... (كهف النار).

في تلك اللحظة، رأت نواريا عينين لامعتين تُراقبانها من بعيد. خافت، وصاحت بصوت طفولي مُرتجف:

- من هناك؟

خرجت الأعين تدريجياً من الظلام، لتكشف عن عشرات الأفاعي السوداء التي بدأت تزحف نحوها. شعرت نواريا بالرعب، تجمّدت في

مكانها، عاجزة عن الحركة أو الكلام. وعندما اقتربت الأفاعي منها، رفعت يدها تلقائياً، وكأنها تأمرهم بالتوقف. وما أثار دهشتها هو أنهم فعلوا ذلك بالفعل.

بدأ صوتها الرجولي يتحدث بلغة غريبة، تمتدات لا يمكن لأحد فهمها سوى الأفاعي التي كانت أمامها. وفجأة، اندفعت الأفاعي نحوها بسرعة جنونية، وبدأت تلتف حول جسدها، لتشكل درعاً حياً يغطيها بالكامل. لم يتبق من نواريا سوى عينيها السوداوين وشفتيها التي كانت تُتمتم بتلك اللغة الغريبة.



أفاق باراد من تلك الحالة التي أدخلته فيها بملامح هادئة وقال بصوت حزين:

- لقد عانيت كثيراً في طفولتك... أعتذر لك.

ابتسامتها الثابتة تحوّلت إلى ضحكات هستيرية، ملأت أرجاء الكهف المظلم، وكان الجدران ذاتها بدأت تُردّد صدى صوتها لم تكن ضحكاتهما تلك مجرد ردّ فعل على كلماته، بل كانت تعبيراً عن جرح غائر في قلبها، تحوّل بمرور الزمن إلى سُخرية مؤلمة. بعد لحظات، توقفت فجأة عن الضحك، وتوجّهت نحو الدمية التي كانت تشبه ريتا، وبدأت تفرز

الإبرة فيها مرآزا وتكرارًا، مُتغنية بأغنيتها المعتادة بصوت خافت يبعث
على الرعب

افترب منها باراد بخطوات حذرة، وكأنه يُحاول التسلل عبر حقول
الأنغام، وقال بهدوء، محاولاً الوصول إلى قلبها المغلق:

- أختي لا ذنب لها بكل ما حدث لك.

توقفت نواريا عن العُزْز للحظة، لكنها لم ترفع عينها عن الدمية، ثم
أجابت بصوت حاد:

- صحيح، لكنها ابنة أخي... وبما أنه قد رحل، يجب عليكم تحمّل
العذاب بدلاً منه.

نظر إليها باراد بحيرة وحُزن، وكأن كلماتها كانت تطعن قلبه، لكنه لم
يتراجع، وقال بصوت مُنخفض لكنه حازم:

- والذي لم يفعل شيئاً من الأساس.

نظرت إليه بغضب شديد، وكأن نيران الماضي قد اشتعلت مجدداً في
قلبها، صرخت في وجهه:

- لو كان معي عندما احتجته، لما وجدت ذلك الخاتم اللعين، ولما
تحولت حياتي إلى هذا الجحيم. بسببه... وبسبب جونا حدث كل هذا.

لم يكن باراد يريد أن يصدّق ما سمعه، لكنه كان يعلم أن الألم الذي تعاني منه نواريا أعمق مما يمكن فهمه. حاول بصعوبة أن يحتفظ بشبّاته، ثم قال بصوت مليء بالإصرار:

- افعلّي بي ما شئت، ولكن أرجوك، اترُكي ريتا. أنا راضٍ بكل ما ستفعلينه بي يا... عمتي.

توقفت نواريا فجأة عن غرز الإبر، وكان كلماته قد أصابتها بالذهول. نظرت إليه بعينين مليئتين بالغضب والاضطراب، ثم فجأة، قذفت الدمية بعيداً عنها، وكأنها لم تعد تتحمّل وجودها، ونهضت من مكانها بسرعة.

- هل أنت جاد فيما تقول؟ ستفعل ما أريد يا عزيزي باراد؟

رغم أن قلبه كان ينبض بالخوف، إلا أن باراد لم يتراجع، وقال بشجاعة تتعارض مع رُعبه الظاهر:

- أي شيء تطليبه، سأفعله... ولن أمانع أبداً.

نظرت إليه نواريا بعينين متوهجتين، وكأنها كانت تقيس مدى صدقه. كانت تعلم أن ما تطلبه لن يكون سهلاً، وأن الثمن سيكون غالياً، لكنها كانت ترغب في اختبار مدى استعداده للتضحية من أجل أخته.



(7)



في غرفة الطبيب،
كان بون يُراقب حالة
ريتا بقلق شديد، فقد
رأى كيف كانت تُغرز
الإبر في جسدها مرارًا
وتكرارًا وكأن الحياة
تتسرّب منها مع كل

طعنة. لكنه فجأة لاحظ شيئًا غريبًا. تلك الثقوب التي كانت تملأ
جسدها بدأت تختفي واحدة تلو الأخرى، كأنها لم تكن أبدًا. لحظة مذهلة
تجسّدت أمام عينيّه، حين فتحت ريتا عينيها ببطء ونظرت حولها
باندهاش وقالت:

- أين إخوتي؟ ولماذا أنا هنا؟

لم يستطع الطبيب بون أن يجيبها على الفور، فقد تجمّد في مكانه
والصدمة تسيطر على ملاحظته. لقد كان يشاهد بأمّ عينيّه شيئًا أقرب إلى
المُعجزة. لكنها، وكأنها لم تكن بين الحياة والموت قبل قليل، نهضت من
سريرها وتحركت بخفة وكأنها قد استيقظت من نوم هادئ. لم يستطع

الطبيب تحمّل الفرحة التي غمرته، فانطلق نحو الخارج يصرخ باعلى صوته:

- لقد سُفيت ريتا! كل شيء قد اختفى! كالسحر تمامًا!

تجمّع أهل القرية بسرعة حول الغرفة، بعضهم من باب الاطمئنان والسعادة، كجونائين وأخوها مارو والحكام وزوجاتهم، والبعض الآخر مدفوعًا بالفضول، كما هو حال بقية سكان القرية. عندما وصلت جونائين إلى غرفة الطبيب ورأت أختها ريتا واقفة تنظر إلى الحشود المتجمّعة بتعجّب شديد، اندفعت نحوها وحضتها بقوة وهي تبكي وتقول:

- لا تفعلي ذلك يا ريتا مرة أخرى!

لم يقتصر الأمر على جونائين، فقد حضنها مارو أيضًا، وعيناه مليتان بالدموع. رغم أن ريتا لم تكن تدرك سبب كل هذا الانفعال، إلا أنها بادلتهم العناق وقالت بركة:

- أحبكم جميعًا يا إخوتي.

وبعد فترة من المشاعر الجياشة، خرج باراد من الكهف بخطوات بطيئة، يتأمل ما حلّ به. كانت عضّات الأفاعي قد اختفت تمامًا من جسده، فيما كانت تلك الأفاعي تُراقبه بثبات ودون أن تفعل له شيئًا. لقد أصبح يسير بينها بسلام غير مسبوق، كأنه جزء من عالمها الآن. لم يعد

بحاف منها، فقد كان هناك شيء آخر أكبر وأعظم يهده في عقله، شيء
أكثر رعباً من ذلك الأفعى.

ذلك الاتفاق الذي عقاه مع عمته نواريا من أجل إنقاذ ريتا. لم يكن
زاداً، ولكن الخوف من المستقبل المجهول كان يُجَيِّم على أفكاره، ويحمله
ظلاً لا يفارقه.

عندما وصل إلى غرفة الطبيب، رآه جوناين وركضت نحوه بسعادة
غامرة وهي تصرخ:

- ريتا أصبحت بخير يا بارادا

نظر باراد خلفها ورأى ريتا واقفة بملامح تعكس عافيتها المتجددة.
ابتسم بسعادة غامرة، محاولاً أن يتناسى، ولو للحظة، ذلك الاتفاق
المشؤوم. وعندما وصلت جوناين إليه، حملها بين ذراعيه وقال لها:

- هل أنت سعيدة؟

أجابت جوناين بفرحة:

- أنا أسعد فتاة في قرية أدغشترى!

ثم قال باراد بحماس:

- إذًا، يا إخوتي، وبهاء المناسبة، سنحتفل الليلة بشفاء ريتا بتناول

اللحم!

نظر إليه مارو بدهشة وسأل:

- من أين لك النقود لشراء اللحم يا باراد؟

ابتسم باراد بفخر وأخرج من جيبه القليل من النقود وقال:

- إنه سرّ يا أخي... هيا الآن لنشتري اللحم.

تَناهى حديثهم إلى أسمع أهل القرية، فصرخ مومو بحماس:

- هل سمعتم؟ قالوا احتفال! لتجهّز للاحتفال أيها القوم!

أضافت نونرا، زوجة مومو، بفرحة:

- كم أحب الاحتفالات!

اندفع الجميع إلى منازلهم لجلب ما لديهم من طعام وشراب، وتحوّل الشاطئ في تلك الليلة إلى وليمة عامرة بالأطعمة والمشروبات اللذيذة. كانت الليلة بالنسبة لأبناء كاساندر وجونا، بل وجميع أهل القرية، واحدة من أجمل الليالي التي لن تُنسى أبدًا. فقد امتلأ المكان بالأغاني، وراقصت ريتا الجميع بحركاتها الاحترافية، بينما كانت جونايش تحاول تقليدها بطريقة كوميدية مما جعل الجميع ينفجرون بالضحك، واستمر الاحتفال حتى ساعات الفجر الأولى.

مرّت عدة أيام بعد هذه الليلة السعيدة، وغادرت نواريا إلى حيث يتجمّع السحرة حيث اللقاء السنوي لمناقشة الجديد في عالم السحر وما

هو المحظور فيه وما يمكن تداؤله بين العامة، ورغم أنها كانت قد طُردت من "عشيرة ساحرات إفريقيا" منذ سنوات بسبب انتهاكاتها المتكررة وارتكابها المحظورات التي أضرت بالبشر، إلا أنها تلقت دعوة غير متوقعة عبر غراب أسود اللون ذا عينين حمراوين بالكامل، كان خادماً لأحد زعماء العشيرة. شعرت نواريا بسعادة غامرة، ورحلت في نفس الليلة، مما منح الإخوة بعض الراحة المؤقتة. لكن قبل أن تغادر، همست في أذن باراد:

- لا تنس الاتفاق.

أوما برأسه إيجاباً، فربتت على رأسه، ثم انطلقت نحو الباب وهي تصرخ بحماسة:

- أخيراً... سأري هذه الخُثالة من هي نواريا الحقيقية.

وأغلقت الباب خلفها بقوة، ليشعر الجميع بالارتياح فور رحيلها، وكان نقلاً كبيراً قد زال عن كاهلهم.

كانت القرية تَعجُّ بالحركة والنشاط، حيث بدأ الجميع يستعدون لحفل الأموات السنوي، ذلك الحدث الذي يُعدّ تكريماً لأرواح الأسلاف الذين رحلوا عن الحياة الدنيا. في هذا الحفل تُستدعى الأرواح من موطنها في العالم الآخر لتشارك في الاحتفال وتستعيد صلتها بمن

استدعوها، ولو لبعض الوقت. وبينما كانت التحضيرات تجري على قدمٍ وساق، كانت جوناين تُراقب كل شيء بدهشة، فهذه المرة الأولى التي تدرك فيها أهمية هذا الحدث، إذ كانت صغيرة جدًا في السنة الماضية لتفهم معناه.

في أثناء ذلك، توجهت جوناين إلى السيدة سولي، التي كانت منشغلة بالتجهيزات مع بقية نساء القرية. سألتها ببراءة الطفولة:

- ما كل هذا القش الذي تجمعونه وهذه التحضيرات التي تقومون بها؟

نظرت إليها سولي بدهشة، ثم سرعان ما ابتسمت بحنان، ووضعت ما بيدها لتجلس أمام جوناين حتى تساوى طولهما. قالت لها برفق:

- عزيزتي، اليوم هو العيد السنوي للأرواح، إنه اليوم الذي يمكن فيه للأحياء أن استدعوا أرواح من ماتوا وانتقلوا إلى العالم الآخر.

بدأت الدهشة على وجه جوناين، ثم سألتها بحماس:

- هل تقصدين أن بإمكانني مقابلة والدي؟

أومات سولي برأسها، وأجابت:

- صحيح، ليس كما كانا في السابق، لكنك ستمكثين من الشعور بهما وسماع أصواتهما في أعماقك.

قفزت جونايشن من الفرحة، وركضت مسرعة لتخبر إخوتها بما سمعت. لكنها توقفت فجأة وعادت إلى سولي متسائلة بقلق:

- وهل يجب أن أجهز لهم صورة أو مثالاً من القش؟

أجابت سولي بابتسامة مشجعة:

- نعم، يا ابنتي. دون ذلك، لن يتمكن جالب الأرواح من التعرف عليها ومعرفة من تُريدين بالتحديد.

عادت جونايشن إلى منزلها بسرعة وبدأت بالبحث في كل ركن وزاوية، وكأنها تبحث عن كثر تخفي. كان إخوتها يراقبونها بفضول شديد، حتى سألتها ريتا بقلق:

- ماذا تفعلين يا جونايشن؟

لكن جونايشن لم تُعرها أي انتباه، وواصلت بحثها المحموم، مما دفع ريتا إلى الاقتراب منها والصراخ في أذنها اليمنى:

- ماذا تفعلين؟ أخبريني!

قفزت جونايشن من مكانها برعب، ثم صرخت في وجهها:

- اتركيني! أنا أبحث عن شيء مهم!

حاولت ريتا تهدئتها وسألت:

- أخبريني وسأساعدك.

نظرت. جونايشن إلى أختها بنظرة ملؤها الأمل، ثم قالت:

- أريد ذلك اللوح الخشبي الذي رسمت عليه العَجْرِيَّة صورة أُمِّي

وأبي.

تفاجأت ريتا وسألت:

- لماذا؟

أجابت جونايشن بحماسة:

- اليوم سيُقام الاحتفال السنوي لجلب الأرواح. أخبرتني سولي أنه

يجب عليّ إحضار صورة للروح التي أرغب في استِديعائها.

لكن ريتا لم تأخذ كلامها بجديَّة، بل نظرت إليها بسخرية وقالت:

- هل تصدِّقين هذه الخرافات؟

ردَّت جونايشن بجديَّة، وملاحظتها تعكس إصرارها:

- لماذا لا أصدقها؟

هزَّت ريتا رأسها بأسى وقالت:

- الأموات لا يعودون، وما هذا الاحتفال إلا نوع من أنواع السحر،

حالسحر الذي تُمارسه نواريا. إنه مجرد وهم وخداع للعين يا جونايشن،

صدِّقيني.

لكن جوناثان لم يترجم، وأصرّت بعناد الطفولة:

أدعى أرغب في الحصة. قول علم ذلك الوهم. أرغب برؤية جونا
وإعداد من جديد، حتى لو كان ذلك مجرد وهم.

بدأت دموعها تتساقط، ووجهت إلى ريتا نظرة تؤسّل قائلة:

- أرجوك، ريتا... ساعديني.

رغم شكوكها وعدم إيمانها بهذه الأمور منذ كانت في سن جوناثان،
إلا أن ريتا شعرت بالعجز أمام رغبة أختها. قالت بتردد:

- أعتقد أن اللوح في جوار فراش جونا آخر المنزل.

وانطلق الاثنان نحو تلك الغرفة التي لم تُفتح منذ رحيل والديهما.
بدأتا البحث بين الملابس القديمة، حتى عثرت جوناثان أخيراً على اللوح
الخشبي. فتفجرت فرحاً، واحتضنته بلهفة، ثم ركضت نحو سولي حيث
يُقام الحفل.

في تلك اللحظة، صرخت ريتا خلفها محذرة:

- احذري من فقدانه، إنه ذكرانا الوحيدة الباقية.

لكن جوناثان لم تلتفت إليها، وواصلت طريقها نحو الحفل، فيما
عادت ريتا إلى غرفتها لتواصل قراءة ما تبقى لها من صفحات الكتاب
الذي بين يديها.

في تلك الأثناء، كان أهل القرية مُنهمكين في صناعة الأوعية الخاصة
بامتثال الأرواح. كانت هذه الأوعية تُصنع من القش، لا يهتم حجمها
أو مدى إتقان صنعها، فالمهم هو أن تكون مُجوّفة لتتمكن الروح من
دخولها. اجتمع جونائش برفقة باراد ومارو ليصنعوا وعاءين، أحدهما
لاستقبال روح كاساندر والآخر لروح جونا. كانت جونائش في قمة
سعادتها، ورغم عدم إتقانهم لصناعة الأوعية، إلا أن الجميع كانوا
راضين عن النتيجة. بينما كانت جونائش تحتضن اللوح الخشبي. كانت
هناك رسامة ترسم أوجه الأموات على ورق الشجر وتلصقه في منتصف
الأوعية. وعند الانتهاء من كل هذا، أضافت جونائش اللّمسة الأخيرة
برسم عيون وشفاه مُبتسمة على الأوعية، لتبدو جاهزة لاستقبال الأرواح
والمشاركة في الاحتفال.

مع حلول الظلام، كان المكان يكتسي بظلالٍ كثيفة، فيما أشعلت نار
كبيرة في منتصف الساحة المُخصّصة لاستقبال الأرواح. ارتدى الجميع
ثيابًا بيضاء بالكامل، رجالًا ونساءً وأطفالًا، وكل منهم يحمل صورة أو
مجسمًا من القش لمن يرغب في استدعائه. بدأ العازفون، الذين جُلبوا
خصيصًا لهذه المناسبة، يعزفون الأبواق ويدقّون الطبول، تتخلّلها كلمات
وتمتات يُؤديها امرأتان ورجل. كانت الكلمات، رغم جهاها، عبارة عن
طلاسم سحرية، حيث بعد كل جملة تُقرع الطبول مرتين، تليها امرأة
عجوز تقرع جرسًا صغيرًا في يدها. تكرّرت هذه الطقوس مرارًا

وتكرارًا، حتى بدأت الأوعية بالتحرك ببطء، وكان الأرواح بدأت تستجيب للنداء.

تردّدت جونايشن في الغناء، وظهر الخوف على ملامحها عندما رأت الأوعية تتحرك بسرعة أكبر، كأنها ترقص. لكن باراد أمسك بيدها وهمس لها بهدوء:

- لا تخافي...

أرمت برأسها وأخذت نفسًا عميقًا، ثم عادت للغناء مع الجميع. وفي تلك اللحظة، اقترب كل وعاء من الشخص الذي استدعاه، وبدؤوا بالرقص معًا. شعرت جونايشن بسعادة غامرة، وكأنها ترقص بالفعل مع والديها. كانت الأوعية، في نظرها، قد تلاشت، وبدت أجساد كاساندر وجونا واضحة أمامها. شعور مائل كان يراود باراد ومارو، بينما في المنزل، كانت ريتا تراقب من النافذة، والدموع تملأ عينيها، وهي تقول لنفسها:

- لا يمكن أن تكون تلك أرواح والديّ، الأموات لا يعودون أبدًا.

ومع ذلك، كان الجميع في الحفل يبدون سعداء، كانت جونايشن تمسك بوعاء القش الخاص بكاساندر وترقص بسعادة، ومارو يفعل المثل مع وعاء جونا. في البعيد، كان باراد يراقبهم بابتسامة غامضة، وكأنه يحاول أن يحتفظ بهذه اللحظة في ذاكرته إلى الأبد.

لاحظ النافذة المفتوحة في منزلهم، حيث كانت ريتا تُراقب المشهد من خلالها بصمت. حين التقت أعينها، ابتسم باراد وأشار بيده لها أن تأتي وتنضم إليهم، لكنها أغلقت النافذة بهدوء..

مع اقتراب نهاية الليلة، بدأت الأبواق تعزف الحانًا معاكسة، تعبيرًا عن انتهاء الاحتفال ورحيل الأرواح مرة أخرى إلى موطنها البعيد. كانت كلمات الطقوس تعكس ذلك الوداع الهادئ، ومع كل جملة، تخيل الجميع أن الأرواح تعود تدريجيًا إلى عالمها، تاركة وراءها الأوعية خالية، عادت الأوعية إلى حالتها الأصلية ككومة من القش، مجردة من كل روح أو حياة. ورغم ذلك، فإن ذكرى هذه الليلة بقيت عالقة في أذهان كل من شارك فيها، كشعلة صغيرة من الدفء في قلوب كانت قد بردت بسبب فقدان الأحيّة.

مع بزوغ الشمس في الصباح، انطلقت أشعتها الذهبية لتلامس كل ركن من أركان قرية آدغشتری، كاشفةً عن وجوه أهلها الحزينة، وقد بدت عليها آثار وداع الأرواح التي رحلت البارحة بعد ليلة مُفعمّة بالحنين. وقف الجميع صامتين، يُلوّحون بأيديهم نحو السماء، مُودّعين أشخاصًا كانوا يومًا جزءًا من حياتهم. كان الوداع مرًا وثقيلًا، كانت اللحظات لا تكفي لاحتواء كل مشاعر الفقد.

في تلك اللحظة، انفجرت جونايشن في البكاء، وقد أطلقت العنان لدموعها الغزيرة التي لم تستطع حبسها أكثر. صرخت بصوت حادّ يمزق السكون، وهي تناشد الأرواح ألا ترحل، وترجوهم أن يأخذوها معهم، معلنة عدم رغبتها في البقاء في هذا العالم الذي بات فارغًا من دفء أمها وأبيها. صوتها كان مليئًا بالألم، مما جعل الجميع يشعر بعمق حزنها.

في تلك اللحظة، اقترب منها مارو ليحضنها بكل قوته، محاولاً أن يُواسيها بكلماته البسيطة. تمتّم لها بصوت هادئ، لكنه مليء بالحنان:

- لا تبكي يا جونايشن، سيعودون كل سنة لأجلنا. أرجوك، كوني قوية.

كانت تلك الكلمات تحمل في طياتها نضجًا غير متوقع من طفل لم يُكمل بعد عامه العاشر، وكان الحزن الذي عاشه جعله يتحدث بحكمة الكبار، محاولاً أن يكون الدعم الذي تحتاجه شقيقته في تلك اللحظة الصعبة.



(8)



في تلك اللحظة وصلت
نواريا الى جزيرة غوريه، حيث
الكهف الذي يُقام فيه الاجتماع
الخاص (بعشيرة ساحرات أفريقيا)،
وفور دخولها برفقة إحدى الأفاعي
السوداء الملتفة حول عنقها حلّ الصّمت
على الجميع وبدؤوا ينظرون إليها بدّهشة واستنكار.

كان هنالك خمس سيدات يرتدين أزياءً أفريقيّة ويربطن رؤوسهن
بلفافة ذات ألوان متعددة. في منتصفهم واحدة يبدو للنّاظر أنها قائدتهن
حيث قالت بسُخرية:

- ما الذي جاء بك إلى هنا يا نواريا أم تُنبّذي من العشيّرة؟

بدأ التّعجب يظهر على نواريا حيث قالت:

- لقد جاءني دعوة عن طريق ماري بواسطة عُرابها.

نظر الجميع إلى ماري والتي كانت ترتدي زيّاً أحمرّ بالكامل وعمامة
ممزوجة بين الأحمر والأسود وقالت بتردد وعلى وجهها آثار التوتّر:

- يبدو أن طائري ماكانوس حمل الدّعوة إليها بالخطأ بدلاً من تسليمها إلى ريفا وهذا يُفسّر عدم حضورها.

جلست نواريا في المقعد المخصّص لريفاف وقالت:

- لا يهم لقد جاء تنبي الدّعوة وقبلتها وعلى هذا الأساس لا يُمكنكم طردّي.. أليس كذلك يا آرورا!

تلك القاعدة بالمتصف والتي تتّأس المجموعة أصابها الغضب، ولكنها رغم ذلك ظلّت محافظة على هدونها وقالت بابتسامة مُصطنعة:

- لم أكن أتوقّع أن تصلي إلى هذا الحد، تُطردين وتعودين بكلّ وقاحة بدعوة خاطئة، يا للرّخص!

نهضت نواريا من مكانها وتقدّمت بهدوء نحو آرورا حيث بدأ الجميع بالاستعداد للقتال ما عدا آرورا والتي ظلت مكانها تنظر إلى نواريا ببرود قاتل ويدها كوب من الأعشاب ترشّفه على مهل.

فور اقتراب نواريا منها تأهّبت الساحرات للدفاع عنها بما لديهن من طلاسم وتعاويد، إلا أن أورورا أشارت لهنّ بالسكون.

تلك الأفعى التي كانت تحيط برقبة نواريا انفلتت فجأة بسرعة البرق تستهدف وجه آرورا.

وأمام عيون الساحرات المذهولة رفعت الأخيرة يدها فتمزقت
الأفمى إلى أشلاء قبل أن تصلها بخطوتين على الأكثر، عاودت أورورا
ارتشاف سائل الأعشاب في هدوء وصمت.

ما فعلته آرورا بأفمى نواريا جعل تلك الأخيرة تشتعل غضبًا لتصاب
بالسواد الكامل تجاه آرورا بل والكتيبة بكاملها، ولكنها تعلم أنها وإن
استطاعت قتل الجميع هنا لكن تلك القائدة آرورا لن تستطيع مسها
بسوء فرغم أن نواريا تستعمل السحر الأسود والذي حُظِرَ حاليًا في
أفريقيا بناء على تعاليم (عشيرة الساحرات) والقوانين القديمة في عالمهم
حيث إن (السحر الأسود لا يُقْتَرَب منه إلا في الحالات الطارئة فقط..
عندما يكون المجتمع بأكمله عُرضة للخطر، مخالفة ذلك يعرضها للنبد
كما حدث سابقًا، ولديها الآن فرصة لن تضيّعها).

هنالك شيء غريب في عالمهم.. رغم أنهم يعتزلون المذنب منهم ولا
يعترفون به لكن ما إن يُصيبه الضرر من جهات خارجية حتى يتوحدوا
لحمايته فهو رغم كل شيء ساحر مثلهم فالساحر في هذه العشيرة كالفرد
من العائلة، وإن كان فاسدًا، ما إن يُصاب بأذى حتى تركض إليه حاميًا
وهذا ما جعل نواريا حتى هذه اللحظة بأمان تام من الجميع.

عادت للجلوس مكانها رغم الغضب الواضح على وجهها وهمست
بكلمات بالكاد تسمع للأخريات:

- سأنتقم ذات يوم.

ابتسمت أرورا ونهضت من مكانها لتصعد على صخرة مُرتفعة بعض
الشو، وقالت:

بما أن الجميع هنا عدا ريفا ذات الحظ السيئ سنبأهم اسم
الاحتمال بنجاحنا وتماسكنا لسنوات طويلة في هذه العشرة.

رفعت كوباً مليئاً بالسائل الأحمر وأشارت للجميع ليُمسكوا أكوابهم
والتي وُضعت قبل لحظات من صعودها وبدأت المعازف وأصواتهم
تعلو في المكان نتيجة السعادة. كانت نواريا تنظر للجميع بازدياد
وترتشف من الكوب ذي السائل الأسود والموضوع خصيصاً لها كنوع
من عدم الترحيب، ورغم مرارته ما زالت ترتشف منه حتى انتهى تماماً
لترحل من المكان بصمت نحو قرية أدغشتری.



فتحت نواريا باب منزل كاساندر لتجد أمامها باراد واقفاً ينتظرها
بهدهوء. قال بصوت خافت، ولكنه ثابت:

- أنا جاهز للترحيل.

تحولت ملاحظتها الغاضبة إلى ابتسامة ساخرة ثم أجابت:

- جيد، يبدو أنك مُتحمس لعبوديتك يا باراد.

تقدمت خطوة إلى الأمام ودفعته بيدها لتدخل المنزل. إلا أنها توقفت
فجأة عندما سمعته يقول:

- لكن عديني أولاً، عديني أن تتركي إخوتي وترحلي بعيداً عنهم
بعد رحيلي.

التفتت إليه ثم اقتربت منه ببطء، حتى شعر بأنفاسها على أذنه
ومهمت:

- لا تخف يا عزيزي، سيكون إخوتك بأفضل حال إذا كنت شخصاً
جيداً إلى النهاية.

ابتعدت قليلاً وأكملت بلهجة لا تخلو من البرود:

- جهّز نفسك، سيأتون هذه الليلة لأخذك.

غابت نواريا عن أنظاره، وسرعان ما تساقطت دمعة ساخنة على خدّه
باراد، فقد كان الخوف يعتصر قلبه الصّغير. لم يكن يعلم ماذا يتظره،
فالمجهول دائماً ما يُثير الرّعب في نفوسنا مهما كانت شجاعتنا. كيف بطفل
في الحادية عشرة من عمره؟

لم يأخذ معه شيئاً سوى ذلك اللوح الذي نُقِشت عليه رسمة لوجه
أته وأبيه والذي كان إلى جوار فراش جونائين، توجّه نحو الشاطع كما
أمرته نواريا. هناك، وجد ثلاثة رجال يرتدون قبعات ورداء أسود

مزخرقاً بلغة غريبة. كانوا واقفين إلى جانب نواريا التي لم تتردد في القول فور رؤيتها له:

- ها هو الطفل بصحة جيدة.

اقرب منه الأكبر سنًا من بين الرجال الثلاثة وبدأ يفحصه بدقة، يمينًا ويسارًا، وفتح فمه رغماً عنه ليتفحص أسنانه، ثم قال بتقدير جاف:

- ثلاث قطع نقدية.

تغيرت ملامح نواريا إلى الامتعاض وسألت بانزعاج:

- لماذا علي إعطاؤك الطفل بهذا الثمن الزهيد؟

ردّ الرجل ببرود:

- تعلمين أن الكثير من العائلات تبيع أبناءها بنصف السعر، ونستطيع أيضًا التعامل مع القراصنة حيث يخطفون الأطفال ويقدموهم لنا برُبع هذا الثمن.

صمّمت نواريا لبرهة، متأملة باراد والغرباء الثلاثة، ثم قالت بحسم:

- اتفقنا. أعطني المبلغ الآن وخذ الطفل قبل أن يستيقظ أهل القرية.

ابتسم الرجل بخُبت وهو يخرج من جيبه ثلاث قطع نقدية ملفوفة
بكيس أسود اللون وألقاها باتجاهها. بعد ذلك، توجه الرجال الثلاثة
نحو القارب الصغير المكون على الشاطئ، ونادوا على باراد:
- ماذا تنتظر؟ اتبعنا.

ركب باراد القارب، وبدأ رجل ذو بشرة داكنة بالتجديف بينما ظلت
عيناه تراقب القرية، وبالأخص منزل عائلته. حاول جاهداً كَبَتَ دموعه،
لكنها كانت تتساقط ببطء مع اختفاء ملامح القرية من الأفق، لتُضح
أمامه سفينة أكبر واقفة في منتصف البحر بانتظارهم. صعدها مع الثلاثة
الآخرين بينما عاد صاحب القارب الصغير إلى طريقه.

ظهرَ قبطان السفينة بملاحه القاسية وسأل:

- إلى أين تُريدون التوجه الآن؟

أجاب الرجل الأكبر سنًا من بين الثلاثة:

- نحو اليونان، فقد انتهت رحلتنا وجمعنا العَدَد المطلوب من
العبيد.

نظر القبطان إلى باراد وقال متفحصًا:

- إذا فهذا آخر طفل لاكتمال مجموعتكم؟

لم يرد الرجل العجوز، بل انغمس في قراءة كتاب قديم كان يحمله،
متجاهلاً القبطان الذي بدت عليه معالم الغضب. لكنه، بدلا من الرد،
قال بلهجة متعالية:

- لا يهم ما دمت تمتلك المال أيها العجوز.

ثم صرخَ باسم "هامان"، ليظهر طفل في عمر باراد تقريبا. أمره
القبطان بلهجة صارمة:

- خذ هذا الطفل إلى الأسفل، حيث الآخرون.

نظر هامان نحو باراد نظرة فهم منها الأخير أنه يجب عليه اللحاق به.
سار خلفه بلا تردّد نحو أسفل السفينة، حيث وجد العشرات من
الأطفال في مثل عمره جالسين باستسلام تام، ينتظرون مصيرهم. وجّه
هامان كلامه إلى باراد وقال:

- ابحث عن مكان فارغ لتتخذة مكانًا لك.

ثم أغلق الباب خلفه بإحكام ورحل.

تجوّل باراد بنظره في المكان، يبحث عن زاوية فارغة يمكن أن يجلس
فيها، لكنه لم يجد شيئًا. فقد كانت الأماكن المتاحة تملوءة بالأمّعة التي
منعت أي فرصة للجلوس. شعر بالحيرة والارتباك، فهو ليس في حال
يسمح له بمنازعة أحد على مكان.

وبينما كان واقفاً، حائراً، سمع صوت فتاة تُنادي عليه بهدوء:

- تعال هنا بجانبني.

التفتَ باراد باتجاه الصوت ليرى فتاة في مثل عمره، سمراء البشرة،
بعينين بلون حشائش الأرض. لم يعلم لماذا تذكّر والدته في تلك اللحظة؛
صفاتهما كانت تشبه صفات والدته، عدا أنها كانت ممتلئة قليلاً.

اقترب منها باراد ببطء، ورآها تبعد بعض الأمتعة التي كانت
موضوعة بجانبها، وترت على أرض السفينة بيدها لتقول بلُطف:

- اجلس.

جلس باراد بجانبها، وقد شعر ببعض الراحة من هذه اللقطة
الصغيرة. بعد لحظة صمت قال:

- إلى أين نحن متجهون هل لديك فكرة يا...؟

قاطعته بابتسامة خفيفة وقالت:

- اسمي راجام، ثم إنني لا أعلم إلى أين سنتجه. لكن والدتي أخبرتني
أنني سأكون في مكان أفضل حالاً من منزلنا.

ردّ باراد بصوت خافت:

- هل باعتك عائلتك؟

أومات راجام برأسها وقالت بنبرة حزن:

- أخي الأكبر، راهيل، مريض. لم نستطع تحمّل تكلفّة علاجه، ولهذا السبب والدتي فضّلت التخلّي عني مقابل الحفاظ على حياة أخي الأكبر. لم يجد باراد ما يقوله، فوضع يده على ظهرها بلطف وقال بصوت مليء بالأمل:

- لا تقلقي، الآن نحن معا. قد يكون المستقبل أجمل لنا، وقد نعود مجدداً وبيدنا مليئة بالنقود يا راجام، لنعيش حياة هائلة برفقة عائلتنا. ابتسمت راجام له، رغم أن عينيها امتلأتا بالدموع. ولكنها لم تُعلّق على كلامه، فقد حلّ الصمت بينهما. ذهب كل منهما في خياله الطفولي إلى أبعد نقطة موحّشة قد يصل إليها طريقه.

(9)

في قرية أدغشترى وبالتحديد في منزل كاسانادر
كانت جونائش تبحث عن باراد في كل أرجاء المنزل
حتى نهض جميع الأخوة وقد فزعوا من عدم وجوده.
فهذا اليوم يُعد يوم عطلة لكل أهل القرية ولا يمكن أن
يكون قد ذهب لعمل شيء ما فجميع الأماكن مُغلقة.
نهضت نواريا على أصوات أبناء أخيها بينما هم منهمكون في
البحث عن أخيهم وقالت بصوتٍ غاضب:

- ما الذي يحدث

هنا.. ما كل هذا

الإزعاج أيها

الأطفال؟

بدأ الخوف يتضح على وجوههم، ولكن جونائش قالت ببراءة بعد أن
توجّهت نحوها:

- أيتها العمّة نواريا لقد اختفى باراد وقد بحثت عنه في كل مكان،
ولكن لا أثر له هل تستطيعين العثور عليه بواسطة سحر ك؟

أمسكت ريتا بيد أختها وأبعدتها سريعا عنها وقالت:

- اعتذري جونائش ونعتذر على كل هذا الضجيج سنذهب خارجا
للبحث عنه.

توجّهت نواريا نحو إحدى المقاعد ووضعت قدما فوق أخرى
وقالت:

- في كلّ الأحوال لن نستطيعوا إيجاد باراد لقد رحل.

قال مارو برعب:

- أين ذهب، أتقصدين أن لديه عمل قام به دون إخباري لمساعدته؟

ضحكت كضحكات الشياطين وقالت:

- أيتها الغبي، لا أعلم لماذا لم تستطيعوا أن تراثوا مني كل هذا الذكاء
الذي أملكه، يبدو أن جينات جونا قد أثرت على نسل أخي.

صرخت ريتا:

- أخبرينا أيتها الساحرة ماذا فعلت بأخي وأين ذهبت به؟

أشهره الفرحك، ولكن هذه المرة قالت:

أخيراً، هناك شخص ذكي في هذه العائلة.. في الواقع يا عزيزتي
أردت أخيك ليكون عبداً خادماً طوال حياته في مكان بعيد جداً عن
هنا وهو الآن كما تُخبرني الشياطين في عمق البحر، في طريقه نحو ماواه
الأندي.

نوجهت ريتا نحو نواريا لتصفعها، ولكنها أمسكت يدها بكل قوتها
ورنك الثعابين ظهرت لتلتفت نحو جسد ريتا استعداداً للهجوم. عيناها
نحرتنا بالكامل إلى اللون الأسود وقالت بصوت رجولي مُرعب:

- لا تتجرتني على العبت معي وإلا سيصيبك غضبي.

ثم قذفت بها بعيداً لتصرخ ريتا عالياً من شدة الألم الذي أصابها فجأة
وقد ركض نحوها مارو حيث بدأ مُشوشاً لا يعلم ماذا يفعل بينما أخته
تتنوى من الألم، في زاوية المكان كانت جونايشن تنظر نحو نواريا بحقد،
لم تتحرك ولم تُبدي أي ردّة فعل على عكس شخصيتها الحنونة رغم
صراخ أختها، بل ظلت تنظر نحو نواريا وملاعها تعبر عن كل ما عانوه
من هذه المرأة.

انتهت نواريا إلى جونايشن لتعود عيناها إلى لونها الطبيعي وتقول:

- حسناً إذا سأنتهي هذا الأمر، ولكن إياك أن تفعلها مرة أخرى.

ذهب الألم من جسد ريتا كأنه لم يكن ليعم الصمت المكان وبقيت
ريتا مُمددة في أرضية المكان تنظر للسقف والدموع تنهمر لتُغرَق وجهها
ولم تنطق سوى بهذه الجملة بصوت خافت جدا:
- أرغب بالموت، لقد يئست من هذه الحياة.

كان مارو يُمسك بيديها ولم يُقاوم كل هذا الحزن ليكي هو الآخر
تعبيرا عن اليأس في داخله.

لم تكن جونائش تتحرّك رغم كل هذا كانت تنظر إلى نواريا بصمت
وكأنها تمثال لا يشعر وهذا ما أربك نواريا كثيرا وجعلها تبتعد عن
المكان، لا تعلم لماذا، ولكن شيئا في داخلها يخبرها أن هذه الطفلة قد
تكون خطرا عليها، شعور غريب، بل شعور مُضحك أن تكون الطفلة
البريئة جونائش مصدر تهديد لا تعلم من الأساس كيف شعرت به.

بعد رحيل نواريا تكوّمت جونائش في زاوية المكان وظلت تنظر
للفراغ بصمت، صمت قاتل دون أن تنطق حرفا واحدا.

تلك اللحظات كانت كالجحيم للثلاثة، غيرت شخصياتهم بطريقة
غريبة حيث لم تعد ريتا تلك الحاملة ولم يعد مارو ذلك الساذج الذي يهوى
اللعب ولم تعد كذلك جونائش تلك المرحّة وكان شخصياتهم قد عكست
تماما من شدة شعورهم بالحزن والفراق في تلك اللحظة.

مع مرور الأيام، أصاب قلوب الأطفال شعاع من التوادد بسبب
أفعال نواريا. رغم كل التغيرات المأساوية في حياتهم، لم يكن بإمكان أي
مرد من أهل القرية أن يتدخل. نواريا كانت صاحبة السلطة المطلقة،
والقوانين التي تحكمهم كانت تصب في صالحها، ولا أحد يجري على
معارضتها، لأن اللعنة التي كتبت في كتب أسلافهم ستنزل على من يتجرأ
على مخالفتها.

بعد فترة من بيع باراد، جاء دور مارو وهذه المرة في وضخ النهار،
وأمام أعين الجميع، كان يُباع إلى فرقة سيرك إنجليزية تبحث عن طفل
لتدريبه على العروض الخطيرة. حاولت جوننايش وريتا التمسك بأخيها،
لكنهما قوبلتا بالصدّ والزجر، تساقطت دموع ريتا، وجرت نحو نواريا،
راكعة بكلّ خضوع، وتوسلت إليها:

- أرجوك، يا عمّتي، لا تفعلي بنا هكذا. أتوسل إليك أن تخلصينا من

هذا المصير!

نواريا، وقد رُسم الحزن على وجهها، جلست لتلتقي بوجه ريتا
وتحدثت بصوت عالٍ ليصل إلى الجميع في المكان:

- يا عزيزتي، كم كنت أقول بأنك ذكية جدًا وتفهمين أن ما أقوم به
لمصلحتكم. كيف لي أن أصرف عليكم إن لم أرسل بعضكم للعمل
بعيدًا؟

ردّت نونرا بسُرعة:

-- ليس عليك أن تفعلي هذا. نحن نستطيع توفير العمل لهم في الجزيرة، ولذلك لم تقومي بهذا الأمر لمصلحتهم، بل لإرضاء الشرور في داخلك.

تجلى الغضب على وجه نواريا، وقالت بنبرة تهديد:

- إذا نطقت بكلمة أخرى، أيتها العجوز العاقر، سأقتلك وأقتلع رَحِمك التالف لأجعله طعامًا للأفاعي.

حاولت نونرا الرد، لكن زوجها قاطعها وأغلق فمها بيده، قائلاً بصوت مرتفع مملوء بالخوف:

- نحن لا دخل لنا بما تفعله. فهم أبناء أخيك، فلتفعلِي بهم ما تُريدين. وإن أردتُّ ميتارو وسانجونِي أيضًا، فلتأخذيها.

تمسكت زوجته بكل قوتها بالطفلين، محاولة منع نواريا من أخذهما، فهما منذ وفاة جونا وكاساندر كانا في رعايتها، ولم تهتم نواريا بالمطالبة بهما خلال هذه الفترة. ابتسمت نواريا وقالت:

- أشكرك عرضك، ولكن ليس الآن.

ثم أبعَدت ريتا بقدمها اليسرى، وقالت لمالك السيرك الذي كان يُمسك مارو من عنقه:

- أعطني المال الذي اتفقنا عليه وارحل.

أخرج الرجل من جيبه قطعتين من الذهب، ووضعهما في يد نواريا
التي ردت بغضب:

- الطفل يستحق أكثر من ذلك. ليس هذا ما اتفقنا عليه.

نظر الرجل بدقة نحو مارو، وقال بعد فترة من التمعُّن:

- الطفل ضعيف جدًا ولا يمتلك بُنية جيّدة. في نظري، لا يستحق
أكثر من هذا المبلغ. تَسْتَطِيعِينَ قبول المال أو خُذِي الولد، لا رغبة لي به.

حاولت نواريا تَمَأَلِكُ نفسها، ونظرت إلى قطع الذهب في يدها، ثم
قالت ببرود:

- لا يهم. خذه، المهم أنني سأحرق قلب والديه وهما ينظران إلينا
من الجحيم.

قال مارو:

- أتمنى أن تنالي ما تستحقينه يومًا ما.

ضحكت نواريا بسخرية، وقالت:

- لا يهم. أنا أنتظر بشوق ما سيحدث لي. الآن توجه نحو قَدْرِكَ،
الذي أعلم جيدًا أنه سيكون كالكابوس لك.

سُحِبَ مارو، فركضت جونائش وريتاً نحوه، لكن نواريا منعتهما
وكبّلت أقدامهما بواسطة تعويذة سحرية، فثبّتتا مكانها تنظران إليه
نظرات أخيرة قبل أن يختفي داخل القارب ويغيب عن ناظريهما. شعرت
جونائش أن قلبها لم يعد يحتمل كل هذا، فسقطت مغشياً عليها وبدأ أنفها
ينزف بشدّة. ركض الجميع نحوها لنقلها إلى غرفة الطبيب بون، بينما
نواريا نظرت إليهم ببرود شديد، وتوجّهت في طريقها نحو كهفها
الخاص.

مرّت الأيام، وبيعت ريتا أيضاً لعائلة ثرية من بريطانيا جاءت
خصيصاً للبحث عن فتاة بمواصفات معينة، فكانت ريتا هي المناسبة
لهم. لم تكن جونائش موجودة عند رحيل ريتا؛ كانت بعيدة عن القرية
كأنها تحاول الهروب من قدرها ولحظات الوداع والحزن.

كان الألم عميقاً في قلبيهما، رغم اختلاف أماكنهما. كأن حجراً بحجم
الأرض استقرّ داخل قلوبهم، ولم يعودوا قادرين على المقاومة أو حتى
إطلاق العنان لأنفسهم بالبكاء. نظرت ريتا في كل الاتجاهات بحثاً عن
جونائش، لكنها لم تجدها، فنظرت بأسى نحو الزوجين اللذين كانا
يبتسمان لها. وجوههم بيضاء كقطع الثلج، وعيناها زرقاء كالسما،
وشعرهما أشقر من أشعة الشمس. كانوا مختلفين تماماً عن مواصفات
ريتا، التي ظلّت تُقارن بينها وبينهم بنظراتها كلما سنحت لها الفرصة.

قالت نواريا للزوجين:

- ريتا لديها مواصفات ممتازة بالمقارنة بالفتيات في هذا المكان. فهي
دكية ونجيد القراءة ومُحبة للمعرفة، بالإضافة إلى أنها مدبرة منزل.

خرجت من ريتا ابتسامة سُخرية، وقد لاحظتها الزوجة سارة،
لكنها لم تعلق، فقد كانت مُتشبّهة بها للغاية ومستعدة لدفع كل ما تملك
ندحصول عليها.

قال بيتر، الزوج، بعد أن أخرج من حقيبتِه ثلاثة أكياس مليئة بقطع
الذهب:

- أعتقد أن هذا أكثر من كافٍ، سيدة نواريا.

بدأت نواريا بعد القطع حتى ابتسمت، كاشفة عن أسنانها النَّخِرَة
الملوَّنة، وقالت:

- صحيح، أشكر كرمك، والآن هي لك. افعل بها ما تريد.

تساقطت دموع من عين ريتا، حاولت جاهدة منعها، ولكنها لم
تستطع. ثم ولّت راحلة كأخويها بعد حُصنها ووداعها لميتارو
وسانجوني، اللذان كانا طفلين لا يُدركان شيئًا بعد عن سواد الأرض
ومن فيها.

في مكان آخر، حيث تغطي أعشاب الغابة المكان، كانت جونائش
ترتكز بظهرها على جِذاع شجرة، تنظر إلى السماء وتُحدثها:

ماذا افعل، كل شيء منأ. رحباكما؟

هبت في ذلك المكان حتى امتلأ الأفق بالسواد بسبب غروب
الشمس. رغم خوفها من الظلام، كان خوفها من العودة إلى منزلها
الغريب، الذي لا يحتوي سوى ذكريات عائلتها وشياطين عمّتها نواريا،
أكثر رعبًا لها من وحشة الغابة وظلامها.

في تلك اللحظة، شعرت بشخص يقترب منها. ظنّت أنّه نونرا،
تبحث عنها، فهي تخاف عليها وعلى إختوتها كثيرًا. لكن قوانين القرية
منعتها من الاعتناء بهم دون إذن نواريا، التي رفضت رغم توسّلها.
سمحت ببقاء ميتارو وسانجونى لبضع سنين بين يديها حتى تقرّر في
أوقت المناسب أخذهما منها.

فور اقتراب الشخص منها ووقوفه أمام جسدها الهزيل، بدأت
بالبكاء كالأطفال تمامًا، وقالت بصوت متقطع من الألم:

- لقد رحلت، أيتها العمّة نونرا، أليس كذلك؟ لقد رحلت ريتا
باراد ومارو.

خرج الصوت من الطرف الآخر، لكنه لم يكن صوت نونرا، بل كان
صوت نواريا، التي ضحكت بشخيرة شديدة، مما جعل جونائش تتسع

عينها من شدة الرعب. في الواقع، لم تكن ملامح نواريا واضحة بسبب الظلام، ولكن صوت ضحكها وتلك الكتلة التي كانت تقف أمام جونايشن كانت كفيلة بدب الرعب في داخلها. لم يكن الصوت أثوياً، بل كان صوت شيطانها، صاحب الخاتم، الذي كانت جونايشن تخاف منه عند ظهوره متلبساً بتلك العمة.

قال الصوت:

- يا لك من مُثيرة للشفقة، جونايشن. كم أخشى عليك من الموت
حسرةً يوماً ما لتلتحقي بوالديك.

ثم قلّد صوت نونرا بشخرية:

- لتصبحي نجمة في السماء. هل تصدّقين ذلك، أيتها الغبية؟
الأرواح، إن رحلت، سيكون مصيرها أحد مكانين، إما النعيم الأبدي
أو الجحيم. وأنا متأكد تماماً أن الجحيم هو مكان والديك.

رفعت جونايشن يديها إلى أذنيها وصاحت بأعلى صوتها:

- لا تتحدّثي عن والدي هكذا، ارحلي بعيداً عني، أرجوك!

لكن دون جدوى، لم يكن بإمكانها إغلاق أذنيها عن همسات نواريا
الشيطانية، فقد جلست نواريا بالقرب منها، وهمست في أذنها اليمنى
بكلمات مُرعبة:

- أتعلمين لماذا يعتبر مكان والديك في الجحيم؟ لسبب واحد فقط:
أنها تخلياً عن أطفالها لِيَنشَغِلَا بالحب الذي جلب الشقاء لعائلتهما. لم
كانا راضيين بها قدمته لهما الحياة، لكن الإنسان عدو ما يجبهله، كان المال
هو الهدف، يُريدان الكمال ولأجل هذه الأنانية أصبحتم أنتم في مازق لا
تُحسدون عليه.

تسارع نبض قلب جونائش من شدة الرعب، واحتبست أنفاسها،
وكل ما أرادته هو الهرب بعيداً. لكن قدميها كانتا مُجمدة في مكانها، بينما
اقتربت نواريا أكثر فأكثر حتى شمّت الطفلة رائحة أنفاس عمّتها اللينة.
واصلت نواريا بجيلة شيطانية:

- يُمكننا أن نتفق، أنا وأنتِ. خذي الخاتم من يدي وضعيه في
إصبعك الأيمن، سأكون ملكاً لك، وستستطيعين العيش بسلام بعيداً
عن هذه العمّة الحقودة.

مدت يدها بتردد نحو الخاتم، ولكن حين لمست الخاتم، أضاء بلون
أحمر ناصع، وكشفت عيون نواريا عن سواد كامل، نتيجة استحواذ
الروح الشيطانية على جسدها. شعرت جونائش باندفاع مُفاجئ، فدفعت
نواريا عنها بكل قوتها وركضت بعيداً، عائدةً إلى منزل نونرا وكأنها تهرب
من كابوس.

طرقت الباب بعنف، ففتح لها مومو وسأل:

- جونائش، أين كنتِ ١٩

ثم تطلّع خلفها في تَوَتَّر مواصلا:

- وما الذي أتى بك الآن؟

لم تستطع النطق من هَول ما مرَّ بها، بل ارتجفت من الخوف حتى ظهرت نورا من الداخل. ركضت جوناين نحوها، وضمتها بقوة، ويكَّت بحرقه، لم تقاطع نورا تلك اللحظات، فهي عرفت تمامًا أن ما عانته الطفلة كان شيئًا يفوق قدرتها على الاحتمال، وأن هذه الدموع كانت ضرورية للتخفيف من ألمها.

بعدها توقفت جوناين عن البكاء، جلست نورا لتكون بنفس طولها تقريبًا وقالت بحنان:

- عزيزتي، أعلم أن بُؤسك يزداد يوما بعد يوم. ربما لا أستطيع التخفيف عنك كما فعلت عند رحيل والديك، لكن كل ما أستطيع قوله هو أن الله يعلم كل شيء، وسيأتي اليوم الذي ستشعرين فيه بالرضا عن حياتك بكل ما فيها.

بصوتٍ مملوء بالانكسار بعد محاولتها تمالك نفسها، قالت جوناين:

- لقد رحل الجميع وبقيتُ وحدي وأواجه شيئًا لا أفهمه. تلك العمة تُخيفني، وكلما هربت منها أجدها أمامي. أرجوك، خُذيني معك مثل ميثارو وسانجون، لا تتركيني معها.

شعرت نونرا بحزن عميق على حال جوننايشن بسبب قوانين لا تؤمن بها هي نفسها، ولكن رئيس قرية آدغشتری، هُبتان، لم يكن يرغب في انتهاك أي قانون خوفاً من لعنة السماء.

قالت نونرا بصعف:

- إذا سمحت عمّتك ببقائك هنا، فسوف نكون أنا وزوجي سعيدين جداً وسنعاملك كابنة لنا، ولكنني أعلم أنها لن توافق. أخشى أن تأخذ الأطفال أيضاً.

- أرجوك، افعلي أي شيء، لا تتركيني معها. أنا أخشى هذه المرأة الشيطانة.

نظرت نونرا إلى مومو الذي قال بخوف:

- لا يمكننا فعل ذلك، تعلمين القوانين.

ردت نونرا بإصرار:

- لن نتركها تعيش معنا، سأرسلها إلى أختي في مدينة سنانجون وسأرسل معها الطفلين ميتارو وسانجونو.

تجلى على وجه مومو حيرة وخوف، وقال:

- أخشى اللعنة التي قد تُصيبنا، والأكثر من ذلك، غضب الساحرة

وشيطانها.

رَدَّتْ نونرا بصَلَابَة:

- سَنَوا جِهاها، وما سوف يُصِيننا سِيكون قَدَرنا في نِهاية المَطاف.

تَوَجَّه مومو نَحو قارب خشبي مَتروك على الجِهة اليسرى من القرية، كان مَرَبوطا بحبل يَتصل بمجموعة من الأخشاب التي شكَّلت جِسراً قصيراً إلى البحر. كان القارب مُغطى بقطعة قماش بيضاء، وقد تغيَّر لونها بسبب الزمن. أزاح الغطاء، فتطاير الغبار، مما جعله يغلق أنفَه ويتراجَع قليلاً.

ركب مومو القارب بسرعة وحرك مجاديفَه نحوَ جهة البحر، حيث كانت نونرا تنتظره برفقة الطَّفَلين ميتارو وسانجونى المِغطين بوشاح أحمر، نائمين بسلام على كتفها، وجونايشن التي كانت تُمسك بِرِداء نونرا وتلتفت بِقلقٍ خوفاً من ظهور نواريا فجأة.

عندما وصل مومو إلى اليابسة، حرك يديه باتجاه القارب، قالت نونرا بِسُرعة:

- هيا، جونايشن، دعينا نتحرك.

بينما كانوا يقطعون المياه للوصول إلى القارب، صرخَ شخص من خلفهم، فشعرت جونايشن بتصلب قدميها على الأرض، وتحولت مياه البحر المحيطة بها إلى حجر أسود. نظرت للوراء، لتجد نواريا تقف هناك، عيونها تتلألأ بالسواد، والغضب يكسو وجهها.

فجأة، وجدوا أنفسهم على اليابسة، والقارب يبتعد بعيدا بمفرده، مما زاد من توتر مومو وخوف نونرا. بينما جوننايشن شعرت وكأن نهايتها قد اقتربت.

صرخ الصوت الرجولي من جسد نواریا:

- كيف تجرؤون على ذلك؟

قال مومو بتردد، وقد ارتجف من الخوف:

- أردنا فقط أن نأخذ نزهة في البحر برفقة المتبقي من أبناء أخيك كاساندر.

اقتربت نواریا رويدًا من مومو حتى لم يعد يفصل بينهما سوى بضع بوصات. عندها صرخ مومو برعب:

- ابتعد عني، أيها الشيطان!

ابتسمت نواریا ابتسامة شريرة، وكشفت عن أسنانها متعددة الألوان، ثم قالت بصوتها الأنثوي:

- ما دمتُ خائفًا إلى هذا الحد، فلماذا تُريد عصياني!

وفي تلك اللحظة، حاولت نونرا بكل قوتها إبعاد نواریا عن زوجها، وهي تصرخ:

- لا تقتربي من زوجي، أيها الساحرة!

لكن بحركة واحدة من يد نواريا، قدّفت نونرا بعيدًا، لترتطم بأحد الصخور، وسال الدّم من رأسها، لتغرق في سُبّات عميق. صرّخ مومو برُعب، وركض نحو زوجته مُحاولا إفاقتها دون جدوى، بينما جونناين كانت تشاهد المشهد المُروّع، تارة تنظر إلى نواريا وأخرى إلى ميتارو وسانجونى، الأطفال الأبرياء الذين لا يعرفون شيئًا عن قسوة هذه الأرض.

شعرت جونناين وكأن قواها قد سُلبت، وأتت ترعّب في الاستسلام، مستسلمةً لمواجهة مصيرها المظلم. قالت بصوتٍ مُنهك:

- افعل بي ما تريد.

أجابّت نواريا بدهشة:

- هل استسلمت أخيرًا؟

نظرت جونناين إليها برأس مائل بمعنى "نعم"، فبتبتسم نواريا مجدداً وتقول:

- حسنًا، إذًا، استعدّي، لأن اليوم سيكون آخر يوم لك في هذه القرية.

ثم رحلت، حاملةً ميتارو وسانجونى، اللذان كانا يضحكان ببراءة، دون شعور بأن هذه المرأة ستكون سبب هلاكهما الأبدي.



(10)

كانت تلك الليلة كابوسًا

مرعبًا لجميع سكان القرية، حيث عمّت
الفوضى والحزن أرجاء المكان. نونرا، التي
نالت نصيبها من الغيوبة، بقيت مُستسلمة
لحالتها رغم جهود الطبيب بون الذي بذل
كل ما في وسعه في صومعته لعلاجها. أم
جوننايشن، فقد ذهبت إلى البحر، المكان الذي
أمرتها نواريا بالانتظار فيه. لم يكن معها سوى



بضع قطع تذكارية تخص كل فرد من أفراد عائلتها ووشاح أحمر كانت
والدتها جوننا تستخدمه لتريط به شعرها العجزي ليلا.

لم يكن أحد ليتفقد جوننايشن أو يودّعها كما فعلوا مع إختوها عند
رحيلهم. كان الجميع مشغولين بالاهتمام بحالة نونرا وتقديم المواساة
لمومو، في الوقت الذي كان فيه خوفهم من نواريا يمنهم حتى من
الاقتراب من جوننايشن. زاد هذا الخوف بوجه واضح بعد رؤية ما حدث
لنونرا، التي كانت ممددة على الأرض في غيوبة عميقة.

وقفتْ جونايشن أمام البحر، وقد تأملته بعمق. يداها محملة بتذكارات سبعة، كل منها يحمل ذكرى فرد من عائلتها، وكان وشاح والدتها يُرفرف حول رقبتها. كان البحر هادئا، لكنه في عيني جونايشن بدا كبَحر من الألم. لم يكن لديها القوة لمواجهة عمقتها أو شيطانها، وكان شعورها بالضعف يُثقل قلبها.

ثم، ظهرتْ نواريا وهي تتقدم نحوها ببطء، مبديةً ابتسامتها الشريرة. وراءها، كان ميتارو وسانجوني، شاحيين وينظران إلى نواريا بعيون مليئة بالرعب. بدتْ جونايشن في تلك اللحظة وكأنها تشعرُ بالثقل الذي يُجثم على صدرها، وشعرت أن والدتها في مكان ما في السماء ينظران إليها بعبوس وغضب، نتيجة ضعفها وعدم قدرتها على حماية إخوتها.

سقطتْ دمعة واحدة من عيني جونايشن، لفتتح بذلك السد أمام سيل من الدموع التي انهمرتْ كالنهر الجاري. شعرت بداخلها بثقل عميق، وكان كل سواد الحزن والضعف يتراكم إلى حد أنه يسبب لها الغثيان. حاولت أن تجدَ مهربًا من هذا الشعور المظلم، لكن كل ما كان داخلها أصبح أكبر وأثقل عن ذي قبل، وابتسمت نواريا بابتسامة مشوية بالشر.

ثم قالت:

- أخبرتك أنني أستطيع فعل ما أريد في الوقت الذي اخترته، أيتها المشيرة للشفقة. كم كنت أتمنى أن يرى كاساندر الآن كيف أن كل ما فعله من أجل أبنائه ذهب سُدى بفضّل نواريا.

لم تستطع جونائش الرد، بل كانت تمسح دموعها المترققة وتنظر إلى الأرض بخوف شديد. في كل مرة كانت ترفع نظرها، كانت تلتقط نظرات الوداع من أخويها ميتارو وسانجوني، اللذان جلسا على الأرض كالأصنام، وعيناهما ما زالتا مُتحدجتين أمام نواريا، تُعبّران عن الخوف والرعب بوضوح شديد.

في تلك الأثناء، اقترب قارب متوسط الحجم عليه ثلاثة أشخاص، رجلين وامرأة، لم تتضح معالمهم لجونائش، لكن مع مرور الوقت ويقربهم، برزت تفاصيلهم بوضوح.

كانت المرأة ترتدي فستاناً أزرق طويلاً، وشعرها مرفوعاً بوجهٍ عشوائي، لكنها كانت تتمتع بجمال واضح. أما الرجلان، فقد كانا يُشبهان بعضهما كثيراً لدرجة أن التفرقة بينهما كانت صعبة. أحدهما كان يتسم ببراءة، بينما الآخر كان عابساً وحادّ النظرات، يُراقب جونائش بطريقة مريبة زادت من شعورها بالخوف والتوتر، مما جعلها تُعيد النظر إلى الأرض بتوجس.

قال الشخص ذو النظرات الحادة، بنبرة جافة:

- هل هذه هي الفتاة التي أخبرت زوجتي هدى عنها؟

أجابت نواريا:

- نعم، هي التي كنتم تبحثون عنها. تتوافق تمامًا مع المواصفات التي طلبتموها، جميلة وصوتها عذب. ستسحر الجميع عندما تكبر، يا خالد.

استغرت هذه الإجابة خالد، الذي تساءل بدهشة:

- تعلمين اسمي رغم أن زوجتي لم تُخبرك به من قبل، على حدّ علمي؟

ضحكت نواريا، ضحكة مليئة بالعموض، قائلة:

- صحيح، فأنا أعلم كل شيء.

تجاهل خالد نواريا واقترب من جوناين، التي كانت ترتعش من الخوف، ورفع وجهها بقوة ليوأجه عينها عن كُتب. همس بصوت منخفض:

- جميلة، وسأراها يُضيف إلى جاذبيتها.

ثم رفع صوته، وقال:

- لكنني لم أسمع صوتها بعد.

أشارت نواريا إلى جونايشن، قائلة:

- غَنِّي، يا ابنة أخي. أبهريهم بصوتك الجميل.

ظلت جونايشن صامتة، ترتجف بقلق شديد، عيونها ما زالت ملتصقة بالأرض. خالد، الذي شعر باليأس، ضربها بقوة، فسقطت على الأرض، وقال:

- يبدو يا هدى أننا جئنا للشخص الخطأ.

تقدم الآخر، الذي كان يقف صامتاً طوال الوقت، نحو جونايشن، محاولاً مساعدتها للنهوض. لكن خالد أمره:

- اتركها يا ناظم. لا شأن لك بها.

قال ناظم بصوت مُتردد:

- لكنها طفلة، ويبدو أنها تتألم جداً بسبب ما فعلته بها.

اقرب خالد من ناظم وصفعه بقوة على وجهه، قائلاً بغضب:

- إلى متى ستبقى هكذا، أيها المختل الضعيف؟ كن قوياً وشجاعاً وصلباً كأخيك. كم أخجل من كونك أخي!

في تلك اللحظة، بدأت جونايشن بالغناء، ليأسر صوتها الملائكي الجميع. تناسى الجميع كل شيء، وأصبح صوتها هو محور الاهتمام. بدا جلياً أنها ستكون شيئاً كبيراً في المستقبل.

عندما انتهت جونايشن من غنائها، وعلى الرغم من الدموع التي كانت تتساقط من عينيها، سأل خالد:

- كم ثمنها؟

ابتسمت نواريا، قائلة:

- بقدر عذوبة صوتها، أي أربعة أكياس من الذهب، سيد خالد.

أجاب خالد، محاولاً تهدئة نفسه:

- هذا كثير جداً.

لتقول نواريا بسرعة:

- أعلم أنك ستستفيد من هذه الطفلة جيّداً وستُخرج منها عشرات أضعاف هذا المبلغ. صدّقني، هذا المبلغ قليل جداً عليها.

قالت هدى، زوجة خالد:

- لا بأس، دعنا ندفع المبلغ. أنا متأكدة أنها ستكون ممتازة وسترفع مُستوى مسرحنا إلى آفاق جديدة.

صمت خالد لحظة ثم قال:

- حسناً، ادفعي لها ما تُريده.

قبل أن يتوجه إلى القارب الصغير، نظر خالد إلى أخيه ناظم، وقال:

- اجلبها معنا.

دون تردد، توجه ناظم نحو جونايشن ومدّ يده لها. نظرت جونايشن إلى يده بقلب متسارع الدقات من الخوف والحزن. في الجهة الأخرى، كانت نواريا تُراقب المشهد بفرح وسعادة لا توصف. لقد تخلّصت أخيراً من أبناء كاساندر وجونا. نظرت إلى بقية أطفالهم، ميتارو وسانجوني، اللذين مازالا يحدّقان إليها بعيون مليئة بالرعب. ابتسمت نواريا بخُبث، وهي تفكّر في المصير الذي ينتظرهما في الأيام القادمة.

أمسكت جونايشن بيد ناظم، وقبل أن تنفصل عن أخويها، توجهت إليهما، واحتضنت ميتارو وسانجوني بكل قوة، محاولة إدخالهما في روحها لحمايتهما من عمّتها الشريرة. تساقطت الدموع من عينيها، بينما كان أخوها ينظران إليها بنظرات خوف تتجاوز كل ما عاشوه. لكنها كانت تعرف أنها لا تستطيع حمايتهما في هذه اللحظة، ثم تحركت ببطء نحو القارب، وقد أعطت ظهرها لقرية أدغشتری.

دفعت هدى النقود إلى نواريا، وركبت بجانب زوجها، بينما جلس ناظم بالقرب من جونايشن. قالت هدى لجونايشن:

- سعيدة جداً أنك ستكونين ضمن فريقنا.

لم ترد جونائشن، بل ظلّت تنظر إلى البحر، بينما كان ناظم يُجَدِّف
للوصول بالقارب إلى السفينة. التي جاءت بهم بينما قال خالد لزوجته:
- لا تُعطي العبيد قيمة. كما ترين، عندما أعطيتها قيمة أعلى من
قيمتها، تجاهلتك.

همست هدى، بصوتٍ خافتٍ لا يسمعه سواهما:

- اهدأ قليلاً، عزيزي. فهي ما تزال طفلة.

نظر خالد إلى جونائشن، التي تجاهلت الجميع وتطلّعت إلى البحر،
وقال:

- الطفلة ستكبر، وإن لم يُعلمها سيدها مكانتها منذ الآن، لن نستطيع
التحكّم بها مُستقبلاً.

وصل القارب إلى السفينة وصعدَ الجميع عليها، لتبدأ السفينة في
التحرّك نحو مصر، بينما بدأت تتلاشى تدريجياً عن أنظار نواريا. كانت
تُراقب رحيل ابنة أخيها بسعادة غامرة. سمعت صوت خطوات خلفها،
التفت لتجد مومو وناراوا يرْكُضان بأقصى ما يمكنهما، لكنهما توقفا فجأة
عندما أدركا أن جونائشن قد رحلت وأن السفينة اختفت تماماً عن
الأنظار. كان ناراوا يحمل كيساً مليئاً بالنقود المحلية، الذي سقط منه
عندما أدرك أنه لم يعد له جدوى.

قالت نواريا ببر ود قاسي، وهي تراقب مومو وناراوا من على بعد:

- لقد رحلت، تأخرتم.

ارتعش مومو، وهو يذرف الدموع، وقال بصوتٍ مملوء بالحزن:

- كنا نجمع ما نستطيع جمعه من سكان القرية لشراء جونابشن منك

أطلقت نواريا ضحكة ساخرة، ثم رفعت يدها لتعرض أكياس الذهب التي كانت تحملها، والتي تعادل أضعاف ما جمعه. نظرت إليه بنظرة متعجرفة وقالت:

- في كل الأحوال، لن أبيعها لكم. أريد منها أن تُقابل الوجه الآخر للعالم، وسأنتظر بشوق لرؤية مصيرها.

صاح مومو بكل ما أوتي من قوة، صرخته تعبر عن غضبٍ عارم:

- يا لك من ساحرة خبيثة ذات قلب أسود. هؤلاء الأطفال الذين تفعلين بهم ما تفعلينه هم أبناء أخيك الوحيد، الذي دافع عنك بكل قوته وكم أراد أن تعودني إلى وِعيك، ولكن روحك التي أصابها السواد لا يمكن لها أن تعود.

ابتسمت نواريا بابتسامة هادئة، وقالت:

- سأعتبر أنني لم أسمع أيًا من هذا تقديرًا لحزنك، لكن إياك أن تتحدث إلي بهذه الطريقة مرة أخرى. صدقني، سأقتلع عينيك الجاحظتين هذه وأجعلها طعامًا لأفاعي.

فور انتهاء جملتها، ظهرت أفعى سوداء اللون من بين خصلات شعرها، وبدأت في الاقتراب من مومو، حتى ارتفعت أمام عينيه، وكأنها تنتظر الإذن من نواريا للهجوم. تقدّم ناروا نحو رفيقه مومو، وقال بانكيسار:

- دعه وشأنه، لن نقرب منك أبدا.

تحركت يدا نواريا بسرعة، فتحوّلت الأفعى إلى رملٍ أسود اللون، تناثر على الأرض واختلط بالتراب كما لو لم يكن هناك شيء. قالت نواريا:

- لا تتدخلوا في شيء لا تستطيعون مواجهته. هذه نصيحتي لكم.

ثم اختفت نواريا من المكان، ورافقها اختفاء التوأم ميتارو وسانجوني، تاركين خلفهم مشهدًا من القوضى والحزن.



(11)

على سطح السفينة المرمية
بالتجار وبضائعهم التي
تساوي ثروات هائلة إن
بيعت في الأسواق، كان
الجو مشحوناً بالترقب
والخوف. هذه السفينة لم
تكن مخصصة لنقل العبيد أو
للسفريات الترفيهية بين
الدول، بل كانت إحدى
السفن التجارية التي



تجوب البحار بحثاً عن الثروة. لم يكن هناك أطفال سوى
جوناثان، الفتاة الصغيرة الوحيدة على متن السفينة. كانت نظراتها
البيضاء تنجول بين الوجوه المتجهمة.

في تلك اللحظة، اشتعل نقاش بين أحد التجار ومسؤول من طاقم
السفينة. التاجر كان جلاً طاعناً في السن، ذا جسد ممتلئ، يده اليمنى
تتكى على عصا مزخرفة بالفضة. بصوت ممتلئ بالغضب والقلق، قال:

- لماذا لا أرى حماية حولنا؟ كيف تجرؤون على الإبحار دون عقود
حماية لبضائعنا من القراصنة؟

كانت عيناه تلمعان بالقلق، فهو يعلم أن هذه المياه كانت مرتعاً
للقراصنة الذين لا يهابون شيئاً، يقتحمون السفن، يجردونها من كنوزها
دون رحمة، أجاب المسؤول بصوت مُرتعش:

- كل شيء سيكون على ما يرام، لقد تفحصنا الطريق جيداً.
القراصنة لا يهتمون بهذا المجرى.

لكن تلك الكلمات لم تُطمئن التاجر، بل زادت من غضبه. ارتفع
صوته حتى أصبح صدى يصم الأذان:

- لقد دفعتُ ثمناً باهظاً لأجل الحماية، والآن تُخبرني بأنه لا وجود
لها؟ هل فقدت عقلك؟ بضاعتي ليست مجرد بضائع عادية، إنها
مجوهرات نادرة، لو سُرقَت سأفلس، بل ستكون نهايتي!

عاد المسؤول لتهدئة الرجل، ولكن كلماته جاءت كالنار في الهشيم،
تثير غضب التاجر بدلاً من تهدئته. بابتسامة متكلفة حاول أن يُبرّر قائلاً:

- في الحقيقة، طلب جماعة من القراصنة نصف قيمة البضائع التي
نحملها مقابل الحماية. كان ذلك السبب في رفضنا، لكن لا تقلق، سنعيد
للجميع مبلغ الحماية عند وصولنا إلى مصر.

بتلك اللحظة، نهض خالد من كرسيه، حيث كان يُراقب هذا الجمال،
بجانب زوجته وأخيه، ببرود شديد.

لكن ما لفت انتباهه وأشعل شرارة في عقله كانت آخر كلمات تفرغ
بها المسؤول الأحمق. فتحت تلك الكلمات باباً للتساؤلات التي لم يكن
من السهل إغلاقها. قاطع خالد الجدال بنبرة هادئة لكنها مُحَمَّلة
بالشكوك:

- هل قلت إنك تحدثت مع بعض القراصنة بشأن هذه الرحلة؟ هل
يعلمون مسار السفينة وموعد إبحارها وما على متنها؟

كان يعلم أن مثل هذه المعلومات في أيدي القراصنة تعني الكارثة.
القراصنة ليسوا مجرد مغامرين يعترضون السفن على حين غرة، بل هم
خبراء في فن التخطيط والتلاعب بالمعلومات. إذا كان لديهم علم مسبق
بمسار السفينة وموعد إبحارها، فهذا يعني أنهم قد جهّزوا أنفسهم جيداً،
وربما كانوا الآن يُراقبون من بعيد، ينتظرون اللحظة المثالية للانقضاض.
بالنسبة لخالد، كانت كلمات المسؤول بمثابة صافرة إنذار، تُحذّر من أن
العدو قد يكون أقرب مما يتخيلون، وأن الخطر لم يعد احتمالاً بعيداً، بل
واقعاً وشيكاً.

في تلك اللحظة، ارتسمت على وجه المسؤول ملامح الخوف والندم،
كأنها أدرك فجأة فظاعة ما قاموا به. كان تعبيره أشبه باعتراف غير مُعلن،

أكد لخالد أسوأ مخاوفه: القراصنة يعرفون كل شيء. لم تكن هناك حاجة لمزيد من الكلمات، فقد قالت نظرات المسؤول ما لم تستطع شفتاه النطق به.

بتلك اللحظة ظهرت سفينة متوسطة، سريعة جدا من خلفهم، وعلى شراعها علامة القراصنة بلونٍ أحمرٍ قانٍ، حيث إنها لم تُخفي نفسها لِعلمها، أن الهدف أمامهم سهل للغاية.

الجميع دون استثناء توجه نحو حواف السفينة للنظر إلى تلك التي خلفهم بهلج، عندها صرخ أحد طاقم السفينة من أعلى قمة فيها:

- المدافع، وجّهوا المدافع باتجاههم قبل اقترابهم منا.

سرعان ما امتلأ المكان بصراخ الفزع وتشتت الجميع في محاولة منهم للاختباء في أنحاء هذه السفينة الضخمة. كانت القوضى تعم كل زاوية، بينما كان قلب جونايثن ينبض بسرعة، بفعل الخوف والجهل بما يدور حولها.

في تلك اللحظة، أمسك كاظم بجونايثن بقوة، وسحبها بعنف إلى عمق السفينة، حيث كان المشهد مليئا بالفوضى والارتباك. التحركات كانت غير منظمة، والطاقم في حالة من الدُعر المتصاعد. بينما كانت عينا كاظم تنتقل بسرعة بحثًا عن ملاذ آمن، كان خالد وزوجته هدى ينتقلان

بصعوبة عبر الزحام، حيث كان ثقل رداثها يجعل حركتها بطيئة وغير مريحة، مما يزيد من تعقيد الموقف.

وقبل أن يتمكن طاقم السفينة من إطلاق الهجوم بالبارود على سفينة القراصنة، خرج بعض الرجال الذين كانوا يتنكرون داخل سفينة الشحن، وهم من الأساس من قراصنة تلك السفينة التي تلاحقهم. أخرج هؤلاء الرجال أسلحة كانت مُخبأة بعناية خلف صناديق المتون، وبدؤوا في إطلاق عدّة طلقات في الهواء.

بينما كانت الطلقات تَعْلُو، ارتفعت صرخات تهديد واضحة:

- الجميع، على الأرض دون مُقاومة!

ولم تمر سوى لحظات قليلة حتى تحوّل الوضع من الفوضى إلى السيطرة الكاملة للقراصنة. انضمت مجموعة أخرى منهم إلى السفينة، قادمة من سفينتهم القريبة عبر قوارب صغيرة.

جلس الجميع، من التجار والطاقم، على الأرض في مشهد يبعث على الرعب، يرفعون أيديهم فوق رؤوسهم كرمز للاستسلام التام. في هذا المشهد المتسارع، كانت عائلة خالد و جونايش ضمن المحصورين، حيث بدأت جونايش ترجف بشدة، وعيناها ملتصقتين بالسطح الموحش للسفينة، تراقب تحركات أقدامهم.

انتبه كاظم الذي كان جالسا بجانبها لارتجافها وشعر بتوترها، مما دفعه لإنزال يده في محاولة منه بوضعها على كتفها لتهدئتها.

تصرفه جعل أحد القراصنة يظن بأنها محاولة منه للبحث عن سلاح مُخبأ في جيبه. بدون تردد، قرر هذا القرصان، الذي كان يقف على أهبة الاستعداد لمراقبة كل حركة، اتخاذ إجراء حاسم. أطلق النار بسرعة، دون أن يمنح كاظم فرصة للتوضيح أو الدفاع عن نفسه. جاء الصوت المدوي للرصاصة كعقوبة سريعة، أرداه قتيلا بجانب جونايشن.

في تلك اللحظة، اهتزت السيطرة على السفينة بشدة، وارتفعت حالة الفوضى إلى مستوى جديد. نهض الجميع من أماكنهم، مصدومين ومرعوبين، وهرع بعضهم نحو البحر في محاولة يائسة للهروب من هول الموقف. كان الخوف يملأ الجميع، ويزيد من حدة الفوضى التي اجتاحت السفينة.

جونايشن، التي كانت تتقلص تحت وطأة الصدمة، تنظر بذهول إلى هذا الذي استقر بجانبها. دماؤه قد لامست رداءها، ملطخة إياه باللون الأحمر القاني، وعيناها كانتا مفتوحتين على مصراعيها، متجمدتين من شدة الصدمة.

بينما كان خالد يزحف نحو جثة أخيه، ملامحه مشوهة بالهلع وعدم التصديق. في حالة من الجنون واليأس، كان خالد يصرخ بقوة، صوته يرتجف من الألم والحزن:

- كاظم، كاظم، أرجوك لا تمُت يا أخي! لا يمكن لك ان تموت هـ،
وتترُكني!

كانت صرخاته تجذب انتباه القراصنة، الذين كانوا يراقبون من بعيد.
الفوضى التي أحدثوها.

في ذات اللحظة، كانت زوجته هدى تُحاول يبأس تهدئته، خوفاً من
أن ينتهي به الحال كمصير أخيه. يبيدين مُرتعشتين، كانت تُحاول أن
تسحب خالد بعيداً عن جثة كاظم، قائلة بصوت مهزوز ومُرتعش:

- خالد، تمالك نفسك، أرجوك يا خالد، اهدأ.

في تلك اللحظة، وبين الصرخات المدوية ومحاولات التجار اليائسة
للهرب من السفينة، رغم أنهم في قلب المحيط الواسع، حيث لا أمل في
النجاة إن سقطوا في البحر الهائج، برزَ رجلٌ من القراصنة من بين
الفوضى. كان منظره مهيباً، يلفت الأنظار إليه فوراً. بهدوء قاتل، رفع
سلاحه وأطلق عدّة طلقات في الهواء، كانت تلك الطلقات بمثابة صفارة
إنذار أخيرة لكل من كان على وشك المُجازفة بحياته. صرخ بصوت
جمهوري، عذراً بلغة إنجليزية زكيّة:

- إن لم تعودوا إلى أماكنكم فوراً، سأطلق النار عشوائياً عليكم
جميعاً!

رغم تهديده الصريح، اندفع أحد التجار، مدفوعاً بذهره غير القادر على كبحه، نحوَ سياج السفينة في محاولة أخيرة للهروب من هذا الكابوس.

لِيُطْلَقَ القرصان، النار بالقرب من جسده. توقف التاجر في مكانه، تجمّدت أطرافه وسقطَ على ركبتيه، ثم جلس بجسده مُرتجفٍ على سطح السفينة، يبكي كطفل.

هذه الحركة البسيطة والمدروسة، أعاد القائد السيطرة التي كادت أن تتفكك من بين يديه بسبب تهوّر أحد أفراد طاقمه.

كان القائد يدور بين الجميع بخطوات واثقة، عيناه تنفحص كل وجه بصرامة، كأنه كان يبحث عن شيء مُحدّد أو يختبر الخوف المُتغلغل في قلوبهم. مرّت عيناه بسرعة فوق التجار والطاقم، لكنه توقف قليلاً عندما وقعت عيناه على تلك الطفلة الجالسة بجوار جثة كاظم. كان في نظرتها شيء شدّ انتباهه، شيء أشبه باليأس المُطلق، المُمزوج بصدمة عميقة.

بعد لحظة من الصمت، رفع صوته ببرود وقال:

- كل ما تُريده هو البضائع المُخزّنة في أسفل السفينة. ما حدث للتوّ، والذي أدى إلى مقتل هذا المسافر، كان حادثاً مؤسفاً سيُحاسب مُرتكبهُ لاحقاً.

ثم التفت إلى رجاله وأمرهم ببدء تحميل البضائع من أسفل السفينة ونقلها إلى سفينتهم بواسطة القوارب الصغيرة التي كانت مستعدة لهذا الغرض. كان كل شيء يتم بتنظيم شديد وسُرعة، وكأنهم فعلوا هذا عشرات المرات من قبل، دون أي ارتباك أو تردد.

ظلَّ القائد واقفًا على مَقْرَبَةٍ من جونايشن، متأملًا ارتعاش جسدها بعيون باردة. ثم بعد وقت طويل من بداية نقل تلك البضائع. توجه القرصان القائد نحو التاجر البدين، والذي كان جسده يرتجف بشدَّة تحت وَطْأة الرَّعب. جلس القائد أمامه ببطء، متلذذًا بملامح الخوف التي كانت تزداد وضوحًا على وجهه في كل لحظة تمرُّ. لُبْرهة، لم ينس بينت شقَّة، مستمتعًا بالصمت الموحش الذي لم يقطعه سوى صوت أنفاس التاجر البدين اللاهثة.

ثم بهدوء، نطق:

- سيجارا!

لم يفهم التاجر المترعب في البداية ما الذي يريد، فخرج صوته متلعثمًا:

- لم... لم أفهمك.

ابتسمَ القائد ابتسامة صفراء باردة، كانت تحمل في طياتها وعدًا خفيًا بالموت، ما جعل التاجر البدين يشعر أن نهايته قد اقتربت لا محالة. ثم أعاد القائد طلبه بصيغة أكثر وضوحًا، لكن بنبرة لا تقبل التأخير:

- هل لديك سيجار؟

ارتجفت يدا التاجر وهو يحاول بسرعة البحث في جيوبه، حتى أخرج علبة السيجار الفاخرة، يُرافقها قدّاحة مزخرفة بنقوش نساء شبه عاريات من الذهب الخالص. ناولها للتاجر بيدين ترتجفان، مُحاولاً أن يخفي خوفه قدر الإمكان وقال بصوت مكسور:

- تفضل يا سيدي.

سرعان ما تصاعدت الضحكات الساخرة بين أفراد الطاقم، ترددت أصداؤها في أرجاء السفينة الموحشة، وكأنها تستهزئ بالخوف المتغلغل في قلوب الجميع. وسط تلك الضحكات، صاح القرصان، بنبرة من السخرية:

- هل سمعتم؟ الأبيض الجبان يُناديني بسيدي! بينما عندما يشعرون بالأمان، لا يترددون في وصفنا بالجرذان المُشردين!

تعالت ضحكات زُمرة القراصنة في المكان، بينما القائد يُشعل السيجار الذي أخذه من التاجر المترعد، وأخذ منه نفسًا طويلًا، مستمتعًا بطعمه وكأنه لا يعيش وسط هذا المشهد المروع. دخان السيجار تلاشى

بيطء في الهواء، بينما عيناها تركّزتا مجددًا على الطفلة الصّغيرة جونائين، التي كانت تجلس بجانب جثة كاظم الباردة. لم يُعبر بكاء خالد المتواصل على أخيه أي اهتمام، لكن تلك اللحظة التي كانت تبدو له أشبه بلحظة تأمل هادئة، قُطعت بصوت أحد أفراد طاقمه الذي جاء ليقدم تقريره:

-- أيها القائد، لقد انتهينا من نقل الحمل الثمين من الذهب والبضائع.

لم يلتفت القائد على الفور، بل استمر في مراقبة الطفلة لبضع لحظات أخرى، وكأنها كان يرى فيها شيئًا يتجاوز كل ما سرّقه من السفينة. بعدها، أخذ نفسًا آخر من السيجار قبل أن ينظر بهدوء نحو رجليه المُخلّص، وقال ببرود:

- اتركوا ما تبقى، لعلهم يتفجعون به في طريقهم إلى ديارهم.

بدأ القراصنة في النزول نحو قواربهم الصغيرة، بعد أن أخذوا بعض المدافع الموجودة على متن السفينة وألقوا البقية في البحر، تحسبًا لأي محاولة غدر من الطاقم اليائس. كانت خطواتهم ثقيلة على الخشب المتهاالك. تصدر أصواتًا تزداد توترًا في الهواء المشحون بالخوف.

في تلك اللحظة، توجه القائد نحو جونائين، التي كان ارتعاشها يتزايد مع كل خطوة يفتة ب بها نحوها. كانت تشعر وكأن الأرض نفسها تهتز تحتها، وجسدها الصغير يكاد لا يحتمل هذا الرعب الساحق. عيناها

المتسعتين ترصُدان حركته بحذر، وهي عاجزة تمامًا عن الهروب أو حتى البكاء.

عندما وصل إليها، رفع القائد نظره نحو خالد وزوجته هدى، اللذان كانا يُحدقان فيه بقلوب مشتعلة بالغضب والخوف معًا. بكلمات ثقيلة، حملة بلهجة إنجليزية متكسرة يعرف القليل منها، قال القائد بصوت مُنخفض لكنه قوي:

- تعازي لك، هذا قدره.

كانت كلماته تحمل تناقضًا غريبًا، بين التعاطف الزائف والقسوة التي لا تعرف الرحمة. شعر خالد بتلك اللحظة بمرارة تَحْتَق صدره، وتملأه رغبة جامحة في قتل هذا الرجل الذي يقف أمامه، يتلاعب بألمه وكأنها يعبث بلعبة بين يديه.

لكن شيئًا ما منعه، ربما كانت نظرات زوجته هدى المتوسلة، التي كانت تُدرك تمامًا ما الذي يفكر فيه. كانت تعرف أنه إذا تحرك ولو بخطوة واحدة نحو القائد، فإن انتقام القراصنة سيكون سريعًا وداميًا، ولن يترك لهم أي فرصة للنجاة. هكذا، بقي خالد متجمدًا في مكانه، محبوسًا بين رغبته في الانتقام والخوف على حياته وحياته زوجته، مكتفيًا بابتلاع خضبه، بينما القائد ينظر إليه نظرة طويلة، ثم يعود ليلتفت نحو الطفلة المترجفة، ويسألها:

- ما اسمك؟

في تلك اللحظة، خرج صوت جونايشن المرتعش، مملوءاً بالخوف:

- جو... جونايشن.

كانت كلمتها متعثرة، بالكاد استطاعت النطق باسمها من شدة الرعب الذي شل أطرافها الصغيرة.

لكن القائد، الذي بدت عليه لمحة من السخرية المغلفة بابتسامة خفيفة، ما إن أدار ظهره لها بعدما تعرّف على اسمها. حتى أمر بصوت هادئ، إحدى أفراد طاقمه:

- اجلبها.

على الفور، توجه أحد أفراد الطاقم نحو جونايشن، كان هذا القرصان بمنظره القبيح وجسده الضخم أشبه بالغيلان. حمل جونايشن بين ذراعيه بسهولة وكأنها لا تزن أكثر من ريشة، فبدأت بالبكاء.

ثم بصوت يائس، توصلت الطفلة إلى الجميع لإنقاذها، بعينين بريئتين تبحثان عن مُنقذ بين الوجوه التي كانت تحدق فيها بلا حول ولا قوة. لكن الموجودين ظلوا مُتجمدين في أماكنهم، صامتين كأصنام بلا حياة، بحيث لم يجرؤ أحد على التحرك لإنقاذها.

سرعان ما وجدت جونايشن نفسها مُحاصرة في وسط القارب الصغير، حيث كانت تجلس بين القائد والقرصان الضخم. كان القارب

و هو على رطوح الماء، مدفوعاً بقوة المجاديف التي تحركها أيدي
بحر الضخم، متجهين بها نحو سفينتهم.

ثم جاء صوت ذلك القائد، قائلاً بيننا عيناه تتأمل النجوم المتلألئة في
هجر الليل:

- جوننايش، اسم جميل.

لم تستطع جوننايش أن تجذّ كلمات لتردّ بها، كل ما فعلته هو أن نظرت
إليه بعينيه المملوءتين بالخوف. ابتسم القائد، ابتسامة لطيفة خالية من
المكر، لم يعتدّها منه ذلك الرجل الذي يُجذّف أمامه، ثم مدّ يده نحوها
رغبة في مُصافحتها. بينا صوته كان مليئاً بنبْرة من التّفاخر وهو يقدّم
نفسه:

- أنا جوفار مالال. ستكون حياتك معنا مليئة بالمُعامرة، يا
جوننايش.

لم تُصافحه، بل كل ما قامت به بتلك اللحظة هو إبعاد عينيه عنه،
والتحكّم على نفسها من شدّة الخوف.



(12)

مرّت اثنا عشر عاما منذ أن
تحوّلت آدغشترى إلى مكان
يسكنه السواد، حيث تصاعدت
ظواهر الرّعب على نطاق واسع.
تعمقت عمّة الأيام، وشهدت
القرى المجاورة لآدغشترى تدفّقا
مروعا للغرباء من كلّ حدب
وصوب، الذين جاءوا ليسرقوا الأطفال من أحضان



أمهاتهم، لبيعهم في أسواق العالم الواسع. لم تكن هذه السرقة مجرد عمل
عابر، بل كانت عملية منظّمة تملأ السفن بعشرات الأطفال المختطفين،
بينما يُختار القلّة فقط من بينهم ليُباعوا بأسعار باهظة لأفراد يُعتبرون من
النخبة.

في هذا المشهد المأساوي، حيث باتت الأم تبكي على طفلها الذي
كان يلهو على شاطئ البحر قبل لحظات مضت، والأب يرثي ابنته التي
خطفها القراصنة، ساد الحزن والبؤس في كل مكان، وما زاد الطين بلة أن
المنطقة قد اجتاحتها الأوبئة القاتلة، حيث اعتقد الكهنة، الذين يُطلق
عليهم "سدنة الأرواح"، أن الحزن والقلق الذي اجتاحتهم كان السبب

و انذار الطاعون. وكرّد فعل على هذا، اطلقوا حملة دموية ضدّ من
وقدروا اطفالهم، حيث حُرق مائة وخمسون رجلاً وامرأة ممن فقدوا
حدهم، باعتبار أن معاناتهم كانت عقاباً على حزنهم.

كانت هذه الحملة تعدّ بمثابة عار ثقيل، حيث يُعاقب من يحزن على
ذيه، ويُحرقون أحياء كقرايين للأرواح التي يُزعم أنها ستحميهم. حاول
انكثيرون الاعتراض على هذه الفظائع، من بينهم مومو وناراوا، اللذان
توجّها إلى رئيس قرية آدغشتری، بُهتان، محاولين إيقاف ما وصفوه
بالمهزلة التي تهدّد بالفناء على السكان جميعاً.

جلس بُهتان على كرسيه، ينفث الدخان من قصبه مُلتوية، متجاهلاً
نداءاتهم ثم يبرود:

- تعلم جيّداً يا ناراوا أننا نتبع "سدنة الأرواح" ونثق بهم. أولئك
الذين حُرقوا استسلموا لمصيرهم بإرادتهم، وقد قبلوا هلاكهم كجزء من
عقيدتهم.

غضب مومو، وكانت ملاحه تعكس غضبه العميق. صرخ بصوت
عالي، مُحمّلاً رئيس القرية كل ما يحدث من تجاوزات:

- لا أعلم كيف تسمي نفسك سيّدا هذه القرية وأنت لم تفعل شيئاً
يحمي شعبك من الهلاك، إنك تصدّق الخرافات وتقتل الأبرياء منذ عشرة
أعوام لم نر لك عزماً على شيء!!

ثم واصل في حُرقة:

- قبل عشر سنوات تخليت عن أطفال كاسندر وجونا لأنك خائف
من تلك الساحرة المشؤومة..

ثم لَوَّح بيديه في انفعال مُتصاعد:

- أسهل طريقة عندك للتهرّب من المسؤولية هي تصديق خرافات
السحرة والكهنة، إن وباء قريتنا الحقيقي هو أنت وكهنتك وتلك
الساحرة اللعينة!

حاول ناروا تهدئة صديقه:

- أعتذر عما قاله مومو، لقد فقد عقله بعد موت زوجته. نَسْتَأذَنُكَ،
يبدو أنك مَشْغول.

لكن مومو لم يتوقف، وصرخ قائلاً:

- دعني أخرج ما بداخلي قبل أن أموت، على الأقل!

نهض بُهتان من كرسيه، وقد امتلأ وجهه بالغضب، وقال بصوت

مرتفع:

- مومو، يبدو أنك فقدت عقلك ومعه حكمتك فعلاً، لا بد أن

تُعاقب على جُرأتك هذه.

رَكَعَ نَارًا وَعَلَى رُكْبَتَيْهِ مُتَوَسِّلًا، مُعْتَذِرًا عَنِ كَلَامِ مَوْمُو.

ظَلَّ يَعْتَذِرُ وَيَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ، حَتَّى أَجَابَ بُهْتَانُ طَلْبِهِ بِصَوْتِ مَلِيءٍ
بِالْفُرُورِ:

- سَأَغْفِرُ لَهُ إِنْ سَجَدَ وَعْتَذَرَ لِي وَلِـ "سَدَنَةِ الْأَرْوَاحِ"

بِصَوْتِ غَارِقٍ بِالْمَرَارَةِ رَدَّ مَوْمُو:

- وَمَنْ يَعْتَذِرُ لِأَوْلَادِكَ الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ هِيَ
أَرْوَاحُ أَسْلَافِهِمْ؟ مَنْ يَعْتَذِرُ لَهُمْ عَلَى جَهْلِهِمْ وَثِقَتِهِمُ الْعَمِيَاءَ بِكَ
وَشَيْطَانِيكَ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكَهْنَةِ الَّذِينَ يُسَهِّلُونَ ذَبْحَ بَنِي جَنْسِهِمْ أَوْ
بِيعَهُمْ لِلْعَبُودِيَّةِ لِيَجْنُوا الْأَمْوَالَ!

قَالَ مَوْمُو عِبَارَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ كَالْعَاصِفَةِ إِلَى السَّاحَةِ أَمَامَ مَنْزِلِ قَائِدِ
الْعَشِيرَةِ صَارِخًا:

- إِنْ بَلَاءُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَسِوَاهَا هُمْ كَهْنَةٌ وَشَيْطَانِينَ يَتَحَكَّمُونَ بِسَادَةِ
عَشَائِرِ، جَهْلَةً يَطْمَعُونَ بِالْمَالِ وَالثَّرَاءِ وَيَبِيعُونَ بَنِي جَنْسِهِمْ لِلْعَبُودِيَّةِ
وَالْمَوْتِ، إِيَّاكُمْ وَتَصَدِيقِ "سَدَنَةِ الْأَرْوَاحِ" فَإِنَّ الْمَوْتَى لَا يَعُودُونَ،
وَالْفَرْحَ لَا يُبْعَدُ الطَّاعُونَ.

ثم اشتعلت عباراته أكثر عندما تجتمع سكان القرية:

- إن الأمراض تُعالج بالأعشاب وما يُخرجه تراب الأرض من
الغذاء والنعمة، ألا ترون أنكم كلما صدقتكم خرافات بُهتان وكَهْتِه
زادت الأمراض واختفى أطفالكم؟! ألا ترون حالته من الرَغْد والنعمة
والثراء وأولاده جميعًا في المدينة وعلى سفن التجارة والصيد وأنتم
أولادكم للعبودية أو الموت؟! أين عقولكم!

تَوَثَّر بُهتان عندما تجتمع أهل القرية وبدأت نظراتهم والهمهمات بينهم
وأغلبهم يهزّون رؤوسهم موافقين على كلام مومو.

هنا سار إلى أتباعه الذين أحاطوا بالحكيم مومو وكبلوه وهو يتملّص
منهم بصعوبة ليكمل كلامه وبُهتان يقول في توتر:

- الحكيم مومو قد فقد عقله نتيجة موت زوجته.

تعالّت بعض الأصوات مُؤيِّدة لزعيم القرية، كانوا أتباعه المُتَدَسِّون
بين الجموع:

- صحيح، يظنّ أن جميع الكهنة سَحْرَة مثل الشيطانة نواريا.

ثم تلاه صوتٌ آخر:

- إنه يسمّي أرواح أحبائنا بالشياطين، لا بد أن يُعاقب.

زعالى صوت آخر:

- حتى إن كان بلا عقل يجب أن يموت.

عاود بهتان الابتسام قائلاً في خُبث يُخاطب ناراً:

- صدقني إنني أحب مومو كثيراً.

ثم أضاف وابتسامته تزداد خُبثاً:

- لكن يبدو أن حزنه قد أعماه، فقدان العقل شيء والحزن شيء آخر

تماماً.

ثم التفت ناحية مومو الذي كبّله رجاله وقيدوه بالحبال:

- فقدان العقل داء لا شفاء منه، كالطاعون تماماً صاحبه محكوم عليه

بالموت.

حاول ناراً أن يُنقذ الموقف، فتحدّث بسرعة:

- سأداويه وأفعل ما يلزم لإعادة عقله له، أرجوك لا تقتله، أيها

الزعيم. لقد تغلب الحزنُ عليه فقط.

ردّ بهتان بخُبث:

- إذا، فالحزن قد طنّى عليه مثلما فعل بمن جلبوا الطاعون لنا. في

هذه الحالة، سيكون قتله واجباً علينا

ارتاع نارواو وبُهتان يواصل في تشفُّ:

- إنه أمر الكهنة⁽¹⁾ وسدنة أرواح أسلافنا الصالحين.

بُت مومو بقوة على شجرة قديمة، بينما كانت كل محاولات نارواو لتغيير رأي بُهتان عديمة الجدوى. لم يتوقف نارواو عن محاولة التحدّث مع مومو، ولكن مع كل خطوة يقترّب بها من الشجرة، كان يجد نفسه محاطاً بحشود من الأشخاص البؤساء، الذين كانوا يلتصقون ببعضهم البعض، يثنون تحت وطأة الحزن والألم، لدرجة أن مومو لم يعد يظهر بوضوح. حاول نارواو إبعادهم باستخدام عكّازته، لكنه لم ينجح. كانوا كالصنم، لا يتحركون.

عندما استطاع أخيراً أن يسمع صوت مومو فوق الزحام، كان صوته يناديه بقوة وإصرار:

- لا تقلق علي يا نارواو، كن قويا وسعيدا ما حييت.

(1) الكهنة بالنسبة إلى أدغشترى والقرى المحيطة بها يختلفون عن السحرة تماما، فالكهنة هم (وسطاء الأسلاف الصالحين) حيث الكاهن مهمته إيصال صوت الروح الطاهرة وأوامرها للشعب بينما السحرة هم من يتعاملون بالسحر ويفعلون المحرّمات كالقودو وجلب الحبيب والانتقام وغيرها من الأمور المحرّمة بالنسبة لهم..

سقطت دموع ناروا، وصرخ:

- لم يتبقَّ لي أحد سواك. أرجوك، ابقَ أو خذني معك. الحياة أصبحت قاسية جدًا علي.

أجابه مومو بصوت خافت لكنه مليء بالأمل:

- ابقَ يا ناروا، فهؤلاء الجهلة يحتاجون إليك كثيرًا. عليك أن تُعيد إحياء عقولهم لعلهم يفقهون ما يرتكبونه بحق أنفسهم وأبنائهم.

ثم أكمل في لهجة مرتاحة رغم الموقف:

- لم أكن لأستطيع العيش بدون نونرا. لا أعلم كيف عشت اثنا عشر عامًا بدونها، والآن أنا متلهف لأن أكون نجمًا بالقرب من نجمها اللامع إلى الأبد. اعتنِ بنفسك.

في هذه اللحظة، قُدِّفَ أول عُصْنٍ مُلْتَهَبٍ نحو مومو والعشرات من البؤساء القاعدين بجانبه. رغم أنهم كانوا يستطيعون الهروب، إلا أنهم ظلُّوا مستسلمين، يردِّدون بصوت واحد:

- أجسادنا فداء لأرواح الصالحين منّا.

- أجسادنا فداء لأرواح الصالحين منّا.

لم يكن هناك من يصرخ سوى مومو، الذي ظلَّ يُناجي السماء لترحمه وتأخذ روحه في هذه اللحظة. كانت الكاهنة "شرق" تدور حول

الأجساد البائسة، تلو كلمات شيطانية بنبرة متعجبة، ثم ما إن أُنشدت دورتها كاملة، حتى قاذفت ببعض المياه المذمومة في مَنَاسِكِهم فذبح عليهم.

كان ناروا يستمع برُعب لهمساتها، التي كانت بالنسبة إليه همسات الشياطين. في ذات اللحظة، ذبل قلبه تحت وطأة سماع ممرجات سدفة مومو. مرّ الوقت ببطء، وصوت الصرخات والتراويل بدأ يتلاشى تدريجيًّا حتى لم يتبق سوى صوت الكاهنة شرق، وهي تلو نغمات

أخيرًا، هدأت الأصوات تمامًا، ووجد ناروا نفسه مُحاطًا بحُث مُتحرقة، سوداء اللون، لا يُمكن تمييزها عن بعضها. كان يعلم جيدًا أن ما حدث لمومو ومن قبله في هذه القرية قد تكرر في القرى المجاورة، لكنه يمكن قادرًا على فعل شيء. كل شيء انتهى، وصديقه رحل فعلا.

بخطوات مُثاقلة مشى نحو الجُثث، وأخذ ينظر بحسرة إلى لوس المتراكم. الأجساد قد اختلطت، وتلاشت الفروق بين بعضها لبعض بعد رحيل الأرواح منها. همس، بصوت مملوء بالحزن والأسى:

- ساجني، أرجوك.

تقدّمت الكاهنة شرق نحو ناروا، وقد ارتكزت على عكازتها في خطواتها المتأثية، بينما نظراتها مليئة بالحقد والكراهية لناروا. وقالت

- ما يجعلك جديرًا بالاهتمام رغم بؤسك هو حكمتك التي قد تُفيدنا كثيرًا، إن فتحت أبوابك نحو أرواح أسلافنا الصالحين.

صرخ ناروا في وجهها، وعيناه مُشتعلة بالغضب:

- أولئك الذين تدّعين أنهم أرواح الأسلاف ليسوا سوى شياطينك، لن أكون أداة بيد السحرة حتى وإن سمّوا أنفسهم بالكهنة كذبًا وزورا.

ابتسمت شرق في سُخرية ثم قالت:

- في كل الأحوال، لقد أوصلت رسالتهم إليك وما عليك سوى أن تفتح باب أعماقك لهم.

كانت تمشي ببطء، مُستندة على عُكَّازتها، بينما ظلّ ينظر إليها ناروا بحقد شديد، متمنيا لو يستطيع القضاء عليها وعلى كل السحرة في إفريقيا، بما فيهم نواريا، التي كانت تعتكف في كهفها مع أبنّي أخيها ميتارو وسانجونى. لقد أصبح الوصول إلى كهف نواريا مُستحيلًا، وكل من يحاول الاقتراب من ذلك الكهف ينتهي به الحال إلى الجنون أو الانتحار في الطريق.

تقدم بُهتان نحو ناروا، وقال له بصوت هادئ:

- تقبّل الأمر، فقد ذهب مومو، وستكون الآن الحكيم الوحيد في هذه القرية، لا منافس لك.

لم يكن لدى ناروا القوّة أو الرّغبة في الجدال مع أي شخص في تلك اللحظة. كان يشعر بالحزن والقهر. نهَض بصعوبة، مُتمسكًا بعكازاته، وعاد إلى منزله، حيث كان يبحث عن الراحة في حُضن زوجته سولي، التي كانت السند الوحيد له بعد رحيل كل من يجب. تجاهل تمامًا ما قاله بُهتان، وكان كلماته لم تكن.

في تلك الأثناء، ارتفعت أصوات نحيب أهل الموتى إلى السماء. رجع أنهم كانوا هم من قدّفوا الأخشاب المشتعلة عليهم قبل خطوات. صرخت الكاهنة شرق بصوت عالٍ ومُتقتر:

- ثلاثة أيام فقط يُسمح لكم بالبكاء عليهم، ولكن من يظهر الحزن بعد ذلك سيكون مصيره كمصيرهم.

ثم رحلت، تاركة إياهم في أحزانهم، يُحاولون إفراغها بأسرع ما يُمكن...



في عمق البحر الأبيض المتوسط، حيث يتلاطم البحر بهدوء تحت أشعة شمس الظهرية، كانت سفينة شراعية كبيرة تشق طريقها برشاقة نحو جزيرة كريت، متجاوزة جزيرة صقلية التي كانت قد تركتها خلفها ببضع ساعات. السفينة، التي تُبحر بثقة في مياه هذا البحر العريق، كانت تحمل على متنها حُمولة، من المواد الغذائية والفواكه، اختيرت بعناية لتلبية

مطلّبات أصحاب المطاعم والحانات الفاخرة المنتشرة في ميناء هيراكليون.

كانت رائحة التوابل والزيوت العطرية تعبّق في الهواء، ممزوجة مع نسيم البحر المالح. على سطح السفينة، كان الطاقم يعملون بجِدّ لضمان سلامة الشحنة، لأجل إيصالها دون أن تفسدها رحلة البحر الطويلة.

في الأفق، بدأت ملامح كريت تظهر: بطء، جزيرة كبيرة تتسم بتضاريسها الوعرة وساحلها الطويل.

ولكن قبل وصول السفينة إلى ميناء هيراكليون، ظهرت فجأة على بُعد غير بعيد سفينة قراصنة، تعلوها راية العظام والأجمجمة.

عند رؤية السفينة، علا صراخ الذعر بين أفراد الطاقم، وانتشر الرعب في أرجاء السفينة، حيث كان الطاقم في حالة من الفوضى:

- إنها سفينة القرصان جارو! استعدّوا للدفاع عن السفينة!

كان القبطان، الذي اعتاد على مواجهة مثل هذه الأزمات، يتحرّك بسرعة غير متوقعة. تسارعت خطواته نحو عَجَلَة القيادة، عازماً على دفع السفينة إلى أقصى سرعة ممكنة في محاولة يائسة للهروب من المهاجمين. صرخ إلى مُساعده الصغير، الذي كان في أولى تجاربه البحرية، ونحلت ملامح وجهه إلى مزيج من الذعر والقلق.

مع كل دقيقة تمر، كانت السفينة تقترب أكثر من قرومى القراصنة. السفينة المهاجمة، برغم مظهرها المخيف، كانت تسير بثقة. على متنها، كان القرصان جارو، المعروف بقسوته وجراته، يتخذ موقعه كقائد. للمعركة القادمة، بينما كان الطاقم على استعداد للانقضاض على السفينة التجارية.

كل ذلك يحدث بينما السفينة التجارية تُكافح لتفادي المحاصرة، وكل خطوة يقوم بها القبطان وتوجيهاته إلى طاقمه تجعل الفارق بين الهروب أو التدمير أصغر بكثير. كان هناك أمل بسيط في قدرة الطاقم على النجاة، ولكن الواقع كان يعكس احتمالاً قائماً، حيث كانت السفينة تُواجه واحدة من أكثر اللحظات حرجاً في رحلتها.

لم تمض سوى لحظات قليلة حتى اقتربت سفينة جارو، التي كانت تعكس صورة مُرعبة على الماء، لتصبح بجانب السفينة التجارية. السفينة التي تحمل شعار الجمجمة النارية كانت تهزّ أمواج البحر بقوة. عندئذٍ، ارتفعت صرخات الفزع بين أفراد الطاقم، الذين كانوا يتسابقون في كل اتجاه بحثاً عن الأسلحة والدخائر، يواجهون موقفاً لم يتوقعوه في أحلامهم الأكثر كآبة.

أحد أفراد الطاقم في السفينة التجارية، صرخ بأعلى صوته فوق صرخات الفوضى:

- أطلقوا المدافع...

لكن قبل أن تكتمل صرخته، ارتطم وجهه بأرضية السفينة عندما نزلت فجأة من بين الحبال المتدلية من سفينة القراصنة فتاة، ترتدي زي القراصنة المميز وشعرها الأسود العجريّ المجعد يتهايل مع الهواء، هبطت بكل قوة وبراعة إلى سطح السفينة التجارية. بعد أن وقع الرجل مغشياً عليه من قوة الضربة التي هوت على رأسه.

الفتاة، ذات الحضور القوي والملامح الشجاعة بعينيها الخضراوين كحشائش الأرض، استقرت على سطح السفينة بكل رشاقة، وما إن هبطت على سطح السفينة التجارية، حتى التفتت إليها أنظار الطاقم، الذين بدا عليهم الارتباك والخوف. هؤلاء الرجال، الذين كانوا قد بدؤوا في إخراج أسلحتهم بحذر، كانوا على استعداد لقتال أي تهديد ينشأ على متن سفيتهم.

بابتسامة هادئة واثقة، أظهرت الفتاة شيئاً من التهكم المتعمد، وكأنها تستمتع بمشهد الخوف الذي يرسم على وجوههم. هذه الابتسامة لم تكن مجرد تعبير عن الفرح بالمعركة المقبلة، بل كانت رسالتها الواضحة لهم: أنها ليست مجرد قرصانة عادية، بل هي خصم لا يُستهان به.

أخرجت سيفها من غمده بتلك الأناقة التي تعكس خبرتها الطويلة في فنون القتال. ثم بدأت في الهجوم، حيث تحركت كظل سريع بين أفراد الطاقم الذين كانوا يحيطون بها، مُظهرة براعتها في القتال من خلال كل

تساقط أفراد الطاقم تحت ضربات سيفها المثقنة. لم يكن القتال مجرد صراع عضلي، بل كان عرضاً فنياً من التكتيك والمهارة. ضرباتها كانت مدروسة بدقة، تُصيب الأهداف الحيوية وتُسقط خصومها بوجه مُتسلسل. تحركت بخفة ورشاقة، مستفيدة من كل زاوية وتضاريس سطح السفينة لصالحها.

بالرغم من محاولاتهم اليائسة للرد، إلا أن سرعتها ومهارتها الفائقة جعلت منها خصماً لا يُقهر. كل حركة من حركاتها كانت مزيجاً من القوة والدقة، مما جعل من المستحيل على الطاقم التصدي لها. في غضون دقائق بينما كانت السفينة التجارية تتنّ تحت وطأة الهجوم، كان القراصنة يتدفقون إلى متنها عبر الحبال والخطافات التي ثبتت بإحكام في جوانب السفينة. كانت أيديهم تنزلق على الحبال بنعومة، مستغلين كل حركة في صعودهم لتسهيل عملية الهجوم. صرخاتهم في المعركة كانت تعو و فوي صرخات ضحاياهم، مؤذنة بالمزيد من الدماء على متن السفينة التجارية.

في هذه الأثناء، وقف القائد جارو في أعلى نقطة على سطح سفينة الخاصة "عش الغراب"، أضواء القمر كانت تلمع على وجهه القوي، فيما كان يعمل بين يديه غليونه الفاخر المصنوع من خشب شجر البلوط. كانت سحبات الدخان تتصاعد ببطء من الغليون، تشكل دوائر من الدخان تنسجم مع البرودة الشديدة للبحر ليلاً.

جارو، بملاحة الجاذة والهادئة، كان يُراقب المشهد بكل برود، مُحاطاً بأحواء من التهكم والرضا. لم يكن لديه ما يشغل باله سوى التأمل في عرض القوة الذي يقدمه طاقمه، وكأنه كان يعرف أن كل شيء يسير وفقاً لخطة المرسومة. ثقته بطاقمه كانت مطلقة، فقد درّبهم وكلّفهم بكل المهام المطلوبة منهم بمهارة لا تُضاهى.

رغم أنه كان يفضل أن يكون في قلب المعركة ليمارس قدراته كقائد، إلا أن هذا العرض من التفوق والكفاءة لطواقمه كان يكفيهِ. جارو كان يعلم أن القتال الذي يدور أمام عينيه ليس مجرد اقتحام، بل هو إعلان لهيبة وسمعة القراصنة التي أصبحت أسطورة في أرجاء البحر الأبيض المتوسط.

تلك الفتاة في زُمرته، كانت من بين أفضل المقاتلين في الطاقم، وأثبتت مهارتها الفائقة في هذه اللحظة الحاسمة.

سطح السفينة التجارية امتلاً بجُثث الضحايا، والقتال انتهى بسقوط آخر مقاوم، جريحاً ومثلاً على قدمي الفتاة. بعد أن أعادت سيفها إلى غمداه بهدوء، وقفت ببرود وسط الفوضى، حيث أظهرت هالة من القسوة والتفوق، غير مُكرّثة بها خلفته من دمار، كأن كل شيء هو مجرد جزء من روتين عملها اليومي.

وسط هذا المشهد الفوضوي، ارتفع صوت أحد القراصنة الأشداء، الذي كان في أواخر الثلاثينيات من عمره. كان الرجل ذا مظهر مهيب، بملامح قوية، إلا أن إحدى عينيّه كانت مفقودة، مما أعطى وجهه طابعًا من القوة المشؤومة. وقف وسط الساحة، حيث تحولت الدماء على سطح السفينة إلى بُقعة من الدّماء، وصرخ بكل قوة:

- كم أشعر بالسعادة، هذه المعارك تُثير فيّ نشوة لا مثيل لها.

ثم ضحك في شراسة مُواصلًا:

- أريد المزيد، المزيد!

عند انتهاء المعركة، حيث كان سطح السفينة التجارية قد انتشرت فوقه الجثث والدمار، اخترقَ التصفيقُ صوت الفوضى، قادمًا من سفينة القراصنة حيث وقف القائد جارو. كان القائد جارو، ذو الملامح القاسية، يصفقُ بيّطء وبسمة فاترة على شفّتيه، تعكس إعجابه القاسي.

قال بصوت هادئ لكن مليء بالتقدير:

- أحسّتم، وخاصّة أنتِ، جونائش... لقد أثرتِ إعجابي.

تحوّلت ملامح جونائش، التي كانت تتسم بالبرود والتجرّد من المشاعر، إلى ابتسامة خفيفة ملؤها الخجل. كانت هذه المعركة الأولى لها، وعلى الرغم من أنها كانت مُحاطة بخبرة قراصنة آخرين، فإن القائد جارو

سمح لها بالمشاركة، بعد أن كان يتجنّب إشراكها في المعارك بسبب صغر سنّها. لكن، بما أن طاقم السفينة التجارية كان ضعيفاً، رأى القائد أن الوقت قد حان لاختبار مهاراتها، وقد نجحت بهذا الاختبار بكل جدارة.

على ظهر السفينة، وبعد أن نُقلت جميع البضائع الغذائية لسفينة القراصنة، كانت جونائش، في خضمّ رسم شعار سفينة جارو على سطح السفينة المنهوبة، كعلامة على سَطوهم عليها.

راقبها المساعد الذي أوقعته في أول الهجوم والمكبّل على أحد أعمدة السفينة، بعجَب، كان مزيّجاً من الصدمة والإعجاب يملأ ملامحه بينما تتلاعب جونائش بفرشاتها وكأنها ترسم على قماش حيّ.

عندما انتهت جونائش عملها، نظرت إلى المساعد بنظرة ساخرة قبل أن تتقدم نحوه. اقتربت وهمست له بصوت مُنخفض وحاد، تحمل نغمة تحدّ واضحة:

- لتختَر طاقماً أكثر قوة في المرّة القادمة.

في تلك اللحظة، صرخ أحد أفراد طاقمها من بعيد:

- هيا، جونائش، علينا الرحيل.

تأمّلت العدد القليل المتبقي من طاقم السفينة التجارية والذي لم يتجاوز ثلاثة بخّارة معهم صبيّ مُراهق "المساعد" أخرجت من جيبتها

خنجرًا صغيرًا مصقولًا، ووضعت بجانب المساعد، بدت علامات
الدّهشة على وجهه، بينما تبادل الطاقم النظرات المتعجّبة، غمّزت
جونايثن للصبيّ، ثم استدارت والتحقّت بطاقمها.

ما لبثت سفينة جارو أن أبحرت بسرعة، تاركة خلفها آثار ضوء
القمر الذي كان يسطع على أعمدة السفينة. في تلك اللحظات القليلة،
كان الصبيّ يجلس صامتًا، يتأمل الخنجر الصغير بجانبه، وعقله يُعيد
صدى اسم الفتاة كمن يحاول تخليده في ذهنه:

- جونايثن...

بعد أن ابتعدت سفينة جارو عن محيط جزيرة كريت وغابت في أعماق
المحيط، استقبلت الأمواج السفينة بالاهتزازات المهددة، بينما كانت
قناديلها تتلألأ في ظلام الليل. داخل جوف السفينة، كانت أجواء
الاحتفال في أوجها. طاقم جارو، الذي غالبًا ما كان يرتبط بالمعارك
والمخاطر، كان قد نزع عنه ثياب القتال وارتدى ملابس احتفالية ملوثة.

تمتدّ على الطاولات الطويلة مجموعة متنوعة من الولايم التي تبعث
الروائح الشهية، تملأ المكان بأجواء من الفخامة والحياة. النبيذ، الذي
سرقوه من سفينة إنجليزية، كان يتدفق في كؤوس فاخرة، هي الأخرى
غنيمة من ذات السفينة، كانت هناك فواكه نادرة وغريبة لا يعرف طاقم

السفينة أسماها، ولكن طعمها الفريد قد أضفى لمسة سحرية على
الستهم.

كانت الأحاديث والضحكات تتعالى وسط صخب القراصنة، بعد
يوم طويل من الترسد والإبحار الصامت ثم المعارك والنهب، كانوا
يستقبلون اللحظات الخفيفة بالمرح. تتخلل احتفالاتهم القصص المثيرة
والمزاح الذي يتبادلونه، مما يُضيف لمسة من الصداقة القوية التي تربط
بينهم.

جونائش، التي كانت قد أنهت مهمتها بنجاح، جلست على إحدى
درجات سطح السفينة، وبجانبيها أوراقها وقلمها الوحيد، تستخدمه في
رسم كل ما تلمحه عيناها.

تقدم القائد جارو نحوها، ليجلس بجانبها على السلام. كانت
ملامح وجهه الصارمة قد انفرجت قليلاً ليُظهر ابتسامة دافئة، وهي من
لحظاته النادرة حيث لا يرى عادةً هذا الجانب البشري من القراصنة. بيده
اليمنى، كان يحمل قطعتين من التفاح اللامع، واختار واحدة منها
ليقدمها لجونائش.

- هل أنت سعيدة معنا، جونائش؟

سأل القائد جارو بصوت مملوء بالاهتمام.

نظرت جونائش إلى التفاحة التي قامها لها القائد. جارو، وتاملت
بتمعن كيف كان القائد. جارو، رغم تجاعبها. الزمن التي تُزِين زوايا هينيه،
لا يزال يحتفظ بوسامته الرجولية وهيبته القوية. كانت ملامحه تُظهر
تجارب سنوات عديدة في البحر والمغامرات، ورغم صرامتها، إلا أنها
تحمل مزيجًا من اللطف أيضا.

أخذت جونائش التفاحة من يده ببطء، لتقلبها بين أصابعها. ثم
رفعت عينيها إلى وجه القائد، لتقول بعدها:

- لو أنك لم تستحوذ على تلك السفينة قبل اثنا عشر عامًا، لربما كنت
الآن في بلاد العرب، أغنيهم وأعيش لحظات استمتاعهم بي. وأنت
تعلم، يا جارو، أنني أكره العرب أكثر من كرهني للإنجليز الذين سرقوا
أرضنا.

استمع القائد جارو إلى كلمات جونائش بتركيز، وعينه تنفخ
تعبيرات الجادة بدقة. كانت كلماتها تعبر عن صراع داخلي وتضارب في
المشاعر بين حياتها السابقة وتحديات حياتها الحالية كقراصنة في طاقمه...
برفق، مدّ يده ووضعها على رأس جونائش. كانت لمستته تعكس
تعبيرًا صادقًا عن مكانتها في قلبه. نظر إليها بابتسامة دافئة، قائلاً:

- لا تعلمين مقدار سعادتي بوجودك هنا بجانبتي. كأنك الكثر
الوحيد الذي حصلت عليه من تلك السفينة الضخمة، رغم المجوهرات
التي استحوذنا عليها كنت أنتِ جوهرتي، يا جونائش.

لم تقل شيئاً بعدها جوننايش، فقد شعرت بالخجل من كلمات القائد،
و كأنها تحاول امتياع عمق المشاعر التي عبر عنها.

و تلك اللحظة، قطع صمتها صوت عميق وقوي ينتمي لأحد أفراد
انطاقه الذي كان يُشبه الغيلان في حجمه:

- أيها القبطان، آنسة جوننايش، ألا تنضمّان إلينا؟

أمسك القائد جارو بيد جوننايش، وسحبها بلطف نحو المجموعة،
حيث كان الطاقم يجتمع حول طاولة كبيرة، وأضواء القناديل تراقص
على الوجوه. امتزجت أصوات القراصنة، التي كانت تحمل نغمات من
انسخرية والمرح، مع الموسيقى التي يعزفها أحد أفراد الطاقم الماهرين
على آلة الهارمونيكا التقليدية. كانت الألحان تعزف بإيقاع سريع ومبتهج،
تملاً الجو بالحوية والطاقة. ثم بدأت جوننايش بالغناء وسط أنظار الجميع.

ما إن انقضى الليل وتلاشت أصوات الاحتفال تدريجياً، حتى بدأ
القراصنة يتوجهون إلى مقصوراتهم في الأسفل للنوم. كانت أقدامهم
المثقلة تضرب الأرضية الخشبية بينما كانوا يتبادلون التحيات الأخيرة،
ويحضون نحو أماكن راحتهم. كل واحد منهم يحمل على كتفيه إرهاباً
يوم طويل من المغامرة والاحتفال، وكانوا يعلمون أن يوماً جديداً يحمل
مغامرات أخرى في انتظارهم.

بينما غرق الجميع في نوم عميق تحت سطح السفينة، بقيت جونائش
في مكانها على سطح السفينة، تحيط بها سماء الليل الهادئة التي بدأت
تتلاشى ببطء مع اقتراب الفجر. كانت الرياح الباردة تُداعب شعرها
الطويل، بينما كانت تراقب الأفق، حيث بدأت أولى خيوط الضوء تحترق
ظلام الليل، معلنةً عن شروق الشمس.

كانت عيناها تُراقبان الأمواج المتلاطمة التي تحيط بها من كل جانب
من فوق سطح السفينة، في حين كانت أصابعها منهمة برسم تلك
المشاهد على ورق قديم مائل للصفرة، تسجل كل تفاصيل البحر
الواسع، من تدرجات الألوان في الأفق إلى حركة الطيور في كل رحلة،
وكانها تحاول أن تلتقط اللحظة برقبتها وهدونها على الرغم من فوضى
الأمواج المحيطة بها.

كانت تجِد في هذا الوقت من اليوم مَلاذها الخاص، تلك اللحظات
التي تسبق شروق الشمس بلحظات بسيطة، حيث يسود الهدوء، ويغرق
الطاقم بأكمله في نوم عميق بعد ليلة من السُّكر الصاخب.

ظهر صوت من قُمرة القبطان، عميقاً، قائلاً:

- جونائش، تعالي هنا للّحظات.

لم تتردد لحظة، فقد كانت تعرف أن نداء القبطان جوفار لا يُهمل.
تركت أوراقها وسرعان ما تقدمت نحو الكابينة، حيث كان القبطان،

رجل طويل القامة ذو شعر رمادي وعينين ضيّقتين تلمعان بالحذر،
جالسًا خلف مكتبه الخشبي. كانت يده مشغولة بعدسة مكبّرة، يقلّب بين
أصابعه خريطة قديمة. ما إن دخلت حتى قالت بنبرة رسميّة:

- تفضل، ماذا تريد؟

لم يلتفت إليها فوراً، فقد كان تركيزه مُنصباً كلياً على الخريطة التي
يحملها. رد أخيراً، بنبرة مليئة بالصّجر:

- هذه الخريطة حصلت عليها من مزاد في جزيرة مالطا قبل عامين.
كانت واحدة من أندر الخرائط التي عُرضت في ذلك المزاد. ولكن منذ
ذلك الحين، أشعر أن هناك خطباً ما فيها. انظري، هل تلاحظين شيئاً
غريباً؟

وقفت للحظة وهي تدرس تلك النقوش، ثم رفعت عينيها نحو
جارو، الذي كان يراقبها.

بهدوء وثقة، وضعت جونائين الخريطة مجدداً على الطاولة وقالت:

- هذه الخريطة مُزوّرة. من المفترض أن ترسم المحيط الأطلسي،
والبحر الأبيض المتوسط بالكامل، بما فيهم من جزر، مضائق، وتيارات
بحرية. هذه الدقة المُحرّطة تجعلها معقّدة وصعبة الفهم، أليس كذلك؟

أوما جارو برأسه موافقا، وهو يراقبها بعينين ممتلئتين بالإعجاب
والفخر. لم يكن هناك أحد في الطاقم يعرف المحيط كما تعرفه هي، رغم
أنهم قد تجولوا في أنحائه معا، بل إن أقل شخص من الطاقم خبرة يتفوق
عليها بعدد السنوات التي قضاها بين أحضان البحر.

استمرت قائلة:

- خلال سنواتي معكم، جُبننا المحيط الأطلسي والبحر الأبيض
المتوسط مرات لا تُحصى. لقد حفظت كل منطقة وأرخبيل فيهما
ورسمت تفاصيلهما في عقلي. الآن، انظر إلى هذا المجرى.

أشارت بإصبعها إلى جزء من الخريطة حيث رُسمت سهام تشير إلى
مجرى معين.

- هذا هو تيار الكناري.

تابعت جونائش:

- لقد عبرنا من خلاله مرات عديدة. إنه جزء من دورة التيارات في
المحيط الأطلسي، يمتد باتجاه الجنوب. الغربي على طول الساحل الشمالي
الغربي لإفريقيا. لكنه هنا...

أضافت وهي تُشير إلى ذات الموقع على الخريطة:

- مرسوم بطريقة عشوائية بالقرب من جزر الباهاما والتي من
الأساس تقع بعيدا جدا عن قارة إفريقيا، هناك من رسم الخريطة بطريقة

عشوائية وأي شخص يختص بالخرائط لا بد أن يدرك أن هنالك خطأ فيها.

جارو نظر بتركيز إلى الخريطة، ثم حرّك عينيه نحو جوناشين، وعلى وجهه ابتسامة، بينما عيناه مليئة بالإعجاب تجاهها، ليصفق بيده، قائلاً وسط تعجبها:

- لقد تجاوزت الاختبار، وتستحقين لقب ملاحه السفينة.

- ماذا، أليست مزورة!

تحرك نحو خزائنه، وأخرج الأصلية منها ثم قال:

- لقد زورنا نسخة منها عند مُكوثنا في جزيرة بالماء، لم أغيّر الكثير وظننت أنك لن تستطيعي اكتشاف الخطأ، ففعلت.. هذا الأمر المبهّر.

في العادة ملاحوا السفن لا يصلون لهذه المرتبة إلا بعد سنوات طويلة جداً من الإبحار ورسم الخرائط، قد يشيب شعر الشخص قبل بلوغه هذه الرتبة، ولكن جارو أعطاها تلك الوظيفة رغم أنها لم تتجاوز السابعة عشرة بعد.

لتقول بصوت مليء بالخجل:

- ولكن ماذا عن لوفان، أليس هو الملاح في هذه السفينة!

عندها جلس على كرسيه، وأشعل غليونه ثم قال:

- لوفان عجوز، على مشارف الموت، ولأجل هذا عليك استغلال الفرصة بالحصول على كل ما يعرفه قبل موته..

قالها ضاحكا، بينما لم تجد ما تقوله في تلك اللحظة، كل ما استطاعت فعله هو الإيماء برأسها موافقة، لم تعلم إن كان القبطان قد لاحظ لمحمة التردد على وجهها، لكنه أوما برأسه، ثم أكمل:

- سنبحر غداً نحو جزيرة كورسيكا.

كانت تعرف أن القبطان لا يتجه نحو اليابسة عبثاً؛ فهو ليس بالرجل الذي يخاطر بسهولة، خاصة بعد أن كانت سفينتهم، المليئة بالغنائم، تسبح في أمان وسط أمواج البحر المفتوح. ما الذي يمكن أن يستدعيه إلى تلك الجزيرة الصخرية.

سألت وهي تحاول إخفاء قلقها خلف قناع من الهدوء:

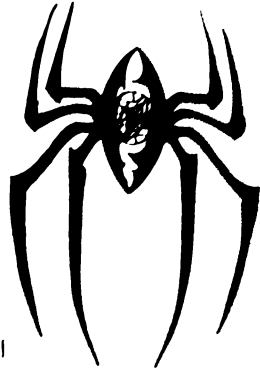
- هل هناك شيء سنفعله هناك؟

أجابها بنبرة عابثة وهو يقذف بالخريطة المزورة نحو سلة المهملات:

- نحتاج إلى البارود، وهناك شخص سأبحث عنه في تلك الجزيرة.



(13)



كانت جزيرة كورسيكا تُعد
واحدة من تلك الجزر التي تجمَع
بين الجمال الطبيعي والغُموض
القاتل. تقع في قلب البحر الأبيض
المتوسط، كان يُنظر إليها كأرض

قاسية، مليئة بالتضاريس الوعرة والجبال الشاهقة التي تبدو كأنها تُراقب
البحر من بعيد، وكأنها عيون تنتظر قدوم سفن القراصنة.

كورسيكا تُعتبر خارج نطاق السيطرة الكاملة لأيّ قوة بحرية، مما
جعلها مركزًا مثاليًا للقراصنة الذين يبحثون عن مكان بعيد عن متناول
السلطات. لم يكن من النادر أن تكون هناك تحالفات بين زعماء القراصنة
المحليين وأمراء الحرب أو القادة الذين حكموا تلك الأراضي بقبضة من
حديد. كان كل من يدخل كورسيكا يعلم أنه يدخل أرضًا حيث القوة
هي القانون، وحيث يمكن أن تكون الخيانة مجرد جزء من الصّفقة.

بدأت ملامح جزيرة كورسيكا ترسم أمام طاقم السفينة، الذين
أمضوا شهرًا يجوبون المحيطات حتى نأقت نفوسهم لأن تلمس

أقدامهم اليابسة، البحر كان صديقهم وعدوهم في آن واحد؛ صديقهم في هدوئه وغنائه، وعدوهم في هيجانه وعواصفه العاتية.

بدأ القبطان يصدر الأوامر، والطاقم يستعد؛ البعض كانوا يشحذون سيوفهم، والبعض يتفقدون أسلحتهم النارية، وآخرون كانوا يتحققون من المعدات التي قد يحتاجونها.

ما إن رست سفيتهم عند ميناء كالفي، حتى بدأ النشاط يحتم الأجواء. كانت أمواج البحر تتلاعب برفق بالسفينة التي رست على مشارف الميناء، حيث لاحت ملامح الجزيرة بوضوح تحت ضوء الشمس الساطع. نزل القبطان من على ظهر السفينة، يحمل بيده قطعة قماشية كان قد أخرجها من جيبه قبل لحظات.

اجتمع الطاقم حول قائدهم، بينما كان ينزع القماش ويكشف عن قطع معدودة من الفضة.

أخذ القبطان جaro القطع الفضية ووزعها بين أفراد الطاقم، كل واحد منهم تلقى قطعتين. كانت العيون تتلألأ بفرح وحماس، حيث يمكنهم شراء كل ما يرغبون به من أسلحة فاخرة إلى سلع نادرة.

بصوت عميق ومهيب، قال القبطان جaro وهو ينظر إلى رجاله بجدية:

- افعلوا ما تريدون، ولكن تذكروا بأننا سنبحر بعد يوم واحد، عودوا إلى السفينة قبل الموعد.

بينما تفرقت خطوات الطاقم في السوق الصاخب لجزيرة كورسيكا.
تحرّكت جونايشن بدورها دون أن تعلم عن وجهة عددة تتّجه إليها. لكن
جارو أوقفها بقوله:

- جونايشن، انتظري.

ما إن ابتعد الجميع، عدا خمسة من الطاقم مهمتهم الحراسة، أخرج
من جيبه عشر قطع فضية وناولها إياها وسط دهشتها، حيث قالت
مُعرضة:

- ولكن القطعتين تكفياني كالبقية.

ابتسم جارو برفق، وقال:

- بقاؤك بيننا لا يمنعك من شراء ما ترغب به كل النساء في هذا
العالم، من الملابس والحرير وأدوات الزينة.

قبل أن تسنح لها الفرصة للردّ، ربت جارو على كتفها بلطف، قائلاً:

- استمتعي ولا تعرّضي نفسك للخطر.

قال عبارته ومضى، ليختفي بين الحشود المتدفقة، تاركًا جونايشن
مبتسمة في امتنان.

كان اثنان من أفراد طاقم الحراسة الخمسة، يراقبان الموقف عن كُتب
من على سطح السفينة.

أحد الحراس، الذي بدت على وجهه تجاعيد من مشاق الحياة البحرية، نظر إلى زميله بملامح مملوءة بالاستياء، وقال بصوت منخفض:

- هذه الفتاة، منذ مجيئها، سرقت عقل القبطان.

أجابته الآخر، الذي كان يُوازن بين القلق والاحتجاج:

- وأصبح يميّزها عنا، سمح لها بالحصول على منصب الملاح رغم أن ماران يرغب به منذ سنوات ويتنظر موت بافي بفارغ الصبر للحصول عليه، والآن يعطيها أضعاف النقود التي أعطاها لنا.

بينما كانا يتحدثان، كانت نظراتها مليئة بالغيرة. لم يكن من السهل تجاهل التغيرات التي طرأت على حياتهم البحرية منذ وصول جونايشن. فقد أصبح واضحًا أن جارو، الذي كان يُعرف بصرامته واهتمامه بمصلحة طاقمه، قد منح جونايشن مكانة خاصة تتفوق عليهم جميعًا.

بينما كانت شمس الظهر تسطع على شوارع وأزقة ميناء كالفي، انطلقت جونايشن بثقة نحو السوق، ممسكةً بين يديها ورقة متهالكة قليلاً، كانت الورقة عبارة عن قائمة مفصلة بكل ما تحتاجه.

أدوات الرسم التي كانت تستخدمها قد بدأت تُشارف على نهايتها، وكانت في حاجة ماسة لتجديد مستلزماتها للتمكن من رسم الخرائط لكل منطقة تتوجّه إليها.

تجمّلت بين الحوانيت التي كانت تعرض مجموعة متنوعة من السلع، وبينما كانت تبتعد عن المشغولات الفنية المكلفة، توجهت نحو حائوت صغير يخصّ تجهيزات الملاحين. كان الحائوت عبارة عن مكان مليء بالأدوات التي يستخدمها البحارة والملاحون في رحلاتهم عبر البحار، وكان يعتبر مقصدًا أساسيًا لأولئك الذين يسعون لتجهيز سفنهم واستعدادهم للمغامرات المقبلة.

عند دخولها إلى الحائوت، استقبلتها رائحة خشب قديم ونفحات من الحجير. كان الحائوت يعجّ بالأدوات التي تحتاجها. بينما كانت تبحث بين الرفوف، استعرضت مجموعة من الخرائط البحرية التي كانت تُظهر تفاصيل دقيقة للممرات البحرية والجزر، تفاصيل شاملة عن مناطق لم تُستكشف بعد، وهي التي كانت أساسية للإحقة الأفق وتجنّب العواقب البحرية.

بينما تابعت بحثها، وجدت مجموعة من الأقلام والأحبار، التي كانت تُستخدم لرسم الخرائط وتدوين الملاحظات. الأقلام، مصنوعة من الريش والمعدن، كانت تُستخدم لتحديد المعالم بدقة، بينما كانت الأحبار تضيف الألوان والزخارف الضرورية على الخرائط.

لاحقاً، توقفت عند قسم مخصّص للبراميل والأفلام الجعافة، وهي أدوات تُستخدم لتدوين الملاحظات المؤقتة التي يمكن مسحها وإعادة استخدامها، إضافة إلى البراميل التي تُستخدم ملء الأحبار وتخزينها.

ثم انتقلت إلى قسم أدوات الرسم الدقيقة، حيث وجدت الفرجار والمسطرة البحرية، أدوات ضرورية لرسم الدوائر وتحديد المسافات على الخرائط. كانت المنقلة أيضاً جزءاً من هذه الأدوات، وهي الأداة التي تُستخدم لقياس الزوايا بدقة وتحديد الاتجاهات على الخرائط البحرية.

أخيراً، وقفت أمام قسم الأدوات المساحية، الذي كان يحتوي على أدوات مثل السدس والرباعي، التي تُستخدم في تحديد المواقع البحرية عبر حسابات فلكية دقيقة. كانت المساطر، المستخدمة لقياس الأبعاد وتحديد المسافات، جزءاً من هذا القسم.

أخيراً، بعد أن تأكّدت من أنها عثرت على كل ما تحتاجه، اتّجهت إلى صاحبة الحانوت، بينما كان هناك رجل عليه هيئة القراصنة، يراقبها منذ دخولها. قالت للمرأة:

- كم تكلفني كل هذه الأدوات؟

أجابتها المرأة بابتسامة مليئة بالفخر:

- إذا، ملاحه أليس كذلك؟

أُتجِبها بابتسامة لطيفة:

لبس بعد، مساندرب على هذا الأمر إلى أن يجين الوقت على يد
الطراح الحالي.

بدأت المرأة في حساب كل شيء، لتقول بعدها:

- في العادة أبيع هذه الأدوات بخمسٍ قطع فضية، ولكن بسبب أنك
أول فتاة تدخل متجرني منذ زمن بعيد، سأعطيها لك بثلاث قطع.

كان القرصان الحاضر في المحل على مقربة منها، يستمع للحوار
باهتمام شديد.

شكرتها جونائين، وقد ارتسم الحجل على وجهها الملائكي، ثم
أخرجت من حقيبتها ثلاث قطع من العملة الفضية، وناولتها للسيدة.

ظل القرصان يتابع جونائين بنظراته حتى تلاشت بين الحشود،
ليقطع نظراته صوت امرأة خلفه. كانت صاحبة المحل قد عادت لتتنظر
إليه بابتسامة رتيبة، محاولة جذب انتباهه. قالت:

- هل هناك شيء محدد ترغب به؟

التفت القرصان نحوها بسرعة، وكأنه استيقظ من حلم. أخذ لحظة
ليلقي نظرة سريعة على ما يحمله بين يديه، كان حبراً أسود.

بصوت منخفض، قال:

- لا شيء غير هذا الخبر... كم تكلفته؟

ثم ما إن دفع ثمنه حتى سأل بابتسامة لطيفة:

- هل تعلمين أين أجد ملح النترون في هذا السوق يا آنسة؟

احمرّت وجنتاها بسبب مُناداته لها بأنسة، لتُجيب:

- بالتأكيد، لتذهب يمينا ثم ستجده في آخر حانوت على يسارك.

داخل حانة صغيرة تقع في إحدى زوايا ميناء كالفي، كانت الأجواء مشحونة بالتوتر والتوقعات. الحانة، التي عُرفت بين القراصنة بكونها مكانًا لاجتماعات سرية وتبادل الاتفاقات الخطيرة، كانت مُحوشة بأضوائها الخافتة وجدرانها المغطاة بطبقات من الأوساخ والعرق. طاولاتها الخشبية المتآكلة قد شهدت مئات الاتفاقات التي غالبًا ما تلتها معارك شرسة أو عمليات نهب جريئة.

في أحد أركان الحانة، كان القائد جارو يجلس بمفرده، يتأمل كأسه الممتلئ ببنيد محلي رخيص الثمن.

إلى أن جلس بالمقعد المقابل له، ذات الرجل الذي كان يراقب
جونائثن في حانوت الملاحين. ما إن جلس ولَفَتَ نظر جارو حتى قال:

- هل تأخرت عليك يا جارو!

تأمل جارو الرجل الجالس أمامه بعينين ضيقَتين، وكأنه يحاول سبر
أغوار ملامحه التي لم تتغير كثيرًا رغم مرور الزمن. لم يكن الواقف أمامه
بهذه اللحظة مجرد قرصان عادي في نظر جارو، بل كان أحد أولئك الذين
يُحِبُّون المكائد وينسجون الخِطَط كما تُنَسِّجُ شباك الصيد، بإحكام ودقّة.
وبعد لحظة من الصمت المحمّل بالتوقّعات، ارتسمت على وجه جارو
ابتسامة واسعة تكشف عن خليط من الاحترام والحذر، وقال بنبرة تحمل
في طياتها أكثر من مجرد نحيب:

- مرت سنوات طويلة منذ آخر مرة التقينا فيها، أندرياس دراقن.
ومع ذلك، أرسلت إليّ عبر الرسل الذين يجوبون البحار، لتُعيدنا إلى هذه
اللحظة، أشكرك.

ردّ أندرياس بابتسامة مُشابهة:

- كنت أعتقد أن الرسول قد يفشل في العثور عليك، ووجودي هنا
كان لأرى إن كانت رسالتي ستصل أم ستضيع في الأمواج. لكن ها أنت
أمامي، وهذا يعني أن كلماتي قد شقّت طريقها إليك عبر كل تلك
المسافات.

كانت الكلمات تتطاير بينهما مثل سيوفٍ في مبارزة. لم تكن مجرد عبارات مجاملة، بل كانت تحمل في طياتها تاريخًا من الانفاقات السرية، التحالفات المعقدة، والخيانة التي كانت دائمًا جزءًا من حياة القراصنة. كان جارو يدرك تمامًا أن أندرياس لم يرسل تلك الرسالة إلا لأمر مهم، فهما لم يكونا صديقين ليشتاق إليه. فالرسل الذين يجوبون البحار لم يكونوا مجرد بحارة عاديين، بل كانوا قراصنة صغارًا يحملون على عاتقهم مسؤولية نقل أسرار خطيرة وسط محيطات مليئة بالمخاطر، وكثير منهم يُفشون هذا الأمر للسلطات مقابل القليل من الدويكات، وهذا ما يجعل أمر الاستعانة بهم غير شائع في عالم القراصنة، ولا يحدث إلا لأمر هام جدا.

- لم يكن من السهل أن أجدك، وهذا ما جعلني أستعين بالرسل.

أضف أندرياس وهو يميل برأسه قليلا:

- فالأساطيل البحرية تزداد جُرأة، والرياح ليست دائمًا في صالحنا. لكن الرسل الذين تتعامل معهم يعرفون كيف يتسللون عبر تلك الخطوط التي لا يمكن لغيرهم أن يعبرها. أنت تعرف كيف هو الحال... في هذا العالم حاليًا.

كان جارو يستمع باهتمام، يعرف تمامًا أن خلف هذه الكلمات يكمن عرضٌ قد تكون مكافأته عظيمة أو عواقبه وخيمة.

في عالم القراصنة، كانت الثقة عملة نادرة، تُكتسب بمشقة وتُفقد بسهولة.

- لقد قطعت رحلتي من أجلك.

قال جارو أخيراً، وعيناه تلمعان بهيوق خطر:

- لأنني أعلم أن لديك ما يستحق المغامرة.

أندرياس، الذي لم يظهر أي تردد، أو مأ برأسه ببطء وقال:

- أنت تعرفني جيداً، جارو. نحن لا نلعب ألعاباً صغيرة. هناك كنز يتظرنا، وربما أكثر من مجرد ذهب. شيء قد يُعيد كتابة التاريخ... إن كنا مستعدين لدفع الثمن.

في تلك اللحظة، كان كل منهما يعرف أن الطريق أمامهما مخفوف بالمخاطر، لكن كلاهما كان على استعداد لمواجهةها. ففي عالم القراصنة، لم يكن النجاح يُقاس فقط بالذهب الذي تجمعه، بل بالأسرار التي تكشفها، والأعداء الذين تهزمهم، والأصدقاء الذين تُحافظ عليهم... حتى لو كانوا مثل أندرياس دراغن، الذي لا يمكنك أن تثق به تماماً، لكنك لا تستطيع الاستغناء عنه.

أخرج أندرياس دراغن من جيبه شيئاً أثار فضول جارو، ورقة قديمة جداً عليها رسمه لخاتم أسود بنقوش معقدة. كانت هناك ثعابين منحوتة على سطحه بأحجار حمراء كلون الروبي.

رفع دراقن رسم الخاتم ليكشف تفاصيله الدقيقة، وتابع حديثه بصوت يختلط فيه اليأس والأمل:

- سنوات طويلة، طويلة جدًا أمضاها والذي للحصول على هذا الخاتم. لم يكن الأمر سهلاً، بل كانت رحلة مليئة بالتحديات والمخاطر، ورغم كل ذلك، لم يتوقف، كاد أن يحصل عليه قبل سنوات من الآن، ولكن ما إن كاد أن يضع يديه عليه حتى اختفى مجدداً من أمام عينيه.

في تلك اللحظة، أخرج أندرياس دراقن من جيبه قطعة أخرى أثارت دهشة جارو. كانت عبارة عن بوصلة قديمة، مزينة بنقوش الجمجمة والعظام المتقاطعة، رمز يُشير إلى قوى الظلام والخطر في عالم القراصنة.

بينما كانت أضواء الحانة الخافتة تنعكس على اللّمعان المعدني للبوصلة، نظر جارو إليها بانّهار. قلبه ينبض بسرعة، وعيناه تلمعان بالتعجب، كما لو أنه يشهد شيئاً يفوق تصوّره. كان صوته يحمل نبرة من عدم التصديق:

- هل هذه... أيعقل أنها...!!

قاطعته دراقن بجديّة، مُكملاً ما بدأه جارو، بينما يده لا تزال ممدودة حاملةً البوصلة:

- صحيح، إنها بوصلة القرصان الراحل أوليفا باريام. لقد أورتني إياها والذي بومبا دراقن قبل موته.

أوليفا باربام، الذي عُرف بجُراته وبراعته في البحر، كان قد صمّم هذه البوصلة لتكون لها قدرة خاصة في إرشاده إلى الكنوز والأماكن السرية التي كان يُجتمى بها كل ما يحصل عليه طوال مسيرته في أعماق البحر.

جارو، الذي كان يمدّق في البوصلة بتركيز، كان يعرف أن الحصول على مثل هذه الأداة يعني الاقتراب من حلّ الألغاز التي كانت تحيط بكنوز باربام. فالبوصلة كانت مرتبطة برؤية القراصنة التقليدية للعثور على الكنوز والاختباء من الأعداء، وأصبح من الواضح لجارو أن دراقن يمتلك مفاتيح هذا الكنز.

- اعتقد أننا على وشك الدخول في مغامرة لا تُصدق.

قال جارو، وعينه تتلألأ بالبريق الذي لا يُخطئه أحد.

- مع هذه البوصلة، قد نكون على أعتاب كشف أعظم أسرار القراصنة.

بينما كان جارو غارقاً في أحلامه حول كنوز وأسرار الراحل باربام، بوجه جدّي وصوت خافت، قائلاً:

- لكن، دون الخاتم، تُصبح هذه البوصلة مجرد أداة عادية بلا قيمة. لأنها بحاجة إلى الخاتم لتعمل كما أخبرني والدي. فقط عند إدخال الخاتم داخلها، ستبدأ البوصلة في إظهار مسارات وأماكن لا يمكن لأي بوصلة أخرى الوصول إليها، مسارات كنز باربام.

أوليفيا باريام كان أحد أعظم القراصنة في القرن السادس عشر، وقد عُرف بأسلوبه الفريد في جمع الغنائم وترك الأسرار حول مكان دفن كنوزها. كانت بوصلته تحتوي على أدلة معقدة وخرائط غامضة داخلها تزدي إلى ثروات عظيمة. لقد تعقبها العديد من القراصنة والمغامرين على مر السنين، لكن لم يتمكن أحد من الوصول إلى الكنز الذي أخفاه باريام بعناية.

- الخاتم ليس مجرد قطعة من الذهب أو الجواهر..

تابع دراقن:

- بل هو مفتاح لسرّ عظيم. لقد كان لدي حلم، ومثل والدي، كانت رغبتنا أن نكتشف الكنز الذي تركه باريام.

جلس جارو على طرف المقعد، وعيناه مركزة على دراقن الذي كان يبدو أكثر حماسة مما كان عليه من قبل. جاء دراقن إليه ليس فقط ليكشف عن أسرار البوصلة والخاتم، بل لي طرح أمامه فرصة نادرة. كانت كلمات دراقن تحمل أكثر من مجرد عرض، بل كانت تعبيراً عن استعداد حقيقي للتعاون ومشاركة الثروات التي قد يُعثر عليها.

أصبح جارو واضحاً أنه لو كان العثور على الخاتم سهلاً، لكان دراقن قد احتفظ بالسرّ لنفسه. فالقراصنة، عادةً، يشتهرون بحذرهم

وعدم رغبتهم في تقاسم الغنائم. لكن دراقن، الذي كان يُعَدُّ من الأعداء،
فراراً من عصره، أظهر عرضاً مختلفاً.

قال دراقن بصوت عميق مليء بالصدق، ليؤكد ما يراه بعقل حاد:

- إذا كنت تظنّ أن العثور على الخاتم سيكون سهلاً، فانت مخطئ
لقد قضيت سنوات في البحث، وواجهت العديد من الأخطار. الخسي
هنا لا يكون صريحاً: إذا تمكنا من العثور عليه، فإن كل كنوز باربام ستكون
لنا لتقسيمها. سيكون من الخطأ أن أحتفظ بكل شيء لنفسي.

رغم أنه في عالم القرصنة، حيث الولاء غالباً ما يكون مشبوهاً والثقة
نادرة، كان عرض دراقن بمثابة جسرٍ مُتهالك لا يُبْتَه شيء سوى وعد
دراقن الذي غالباً ما يتفرض وعده.

بينما كان جارو يستمع بعناية لكل كلمة نطق بها أندرياس، بدأت
عيناه تلمعان ببريق مختلف. أدرك أنه أمام فرصة نادرة، شيء يخرج به من
دوامة الروتين التي أغرقت سنوات حياته كقرصان. هذه المغامرة، التي
تحمل في طياتها مخاطر غير متوقعة، كانت بالضبط ما يحتاجه ليشعل حماس
طاقمه الذي بدأ يتجرب مع الوقت.

ابتسم جارو ابتسامة خفيفة، وبتأنٍ نطق:

- الآن أفهم تماماً سبب مجيئك إليّ، أردت مني أن أحمّل مخاطرة
التوجه إلى جزيرة الساحرات بدلاً منك، وكل ذلك بسبب الوشم الذي
تحمله على يدك.

أندرياس، الذي كان يحاول أن يخفي اضطرابه، ألقى نظرة على
على يده. هناك، تحت الضوء الخافت، برزَ ختمٌ على شكل عنكبوت على
ظهره نقش لعين شريفة، كان هذا الختم لعنة ساحرات جزيرة غوم. كان
الذين خدعهم أندرياس في إحدى المهمات التي ساعدوه فيها. كانت
النتيجة أن أصبح ملعونًا منذ تلك اللحظة، وقد طاردته هذه اللعنة
هوَادةً.

قطعَ دراقن الصمت الذي خيم على المكان، وقال بنبوة مُبررة:

- أنت تعرف جيدًا، نحن قراصنة، لم يكن يومًا من عاداتنا الوفاء
بوعودنا. لقد صرفتُ كل ما كسبته من تلك الصفقة، ولا أملك الآن ما
أزيل به هذه اللعنة، جارو.

كان جارو يستمع وهو يزن كل كلمة بعناية، ثم ارتسمت على وجهه
ابتسامة تخللها مزيج من الحذر والتحدي. قال ببطء، وكأنه يستدرج
أندرياس للكشف عن المزيد:

- تريد مني أن أتحمّل مخاطرة التوجّه إلى غوريه والسؤال عن مكان
هذا الخاتم. لكنك تعلم جيدًا أنني قد أحصل على ذات اللعنة التي
تطاردك الآن. السؤال هو، ما هو دورك في هذه المغامرة؟

صمتَ أندرياس هُنيهةً، بدا وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة. ثم
بطيءً، أخرج خريطة قديمة، تناثرت حوافها بفعل الزمن. فتحها على
انطاولة أمام جارو وقال بصوت منخفض:

- منطقة بوما... تعرف الأسطورة المرتبطة بها، أليس كذلك؟ دماء
مخلوقات المٌتحوّلون، شياطين البحر، من المعروف أنها تضعف الشياطين
الأخرى. سأخوض هذه المغامرة المستحيلة للحصول على تلك الدماء،
بينما تتولّى أنت مهمّتك في غوريه. هذا هو العرض.

كانت لحظة مليئة بالتوتر، تتقاطع فيها نظرات الرجلين، وكأنها
يقيسان قوة وعزم كل منهما. ثم، دون تردد، ارتفع صوت جارو مليئاً
بالحماس الذي قلّمها يظهر:

- اتّفقنا إذا... لكن تذكر، إذا حاولت خداعي كما فعلت مع
الساحرات، فلن تكون لعتهم سوى البداية...

عندها خرج صوت فّهقة من أندرياس الذي قال بعدها:

- أبدأ، لا يمكن أن أفعلها يا صديقي.



نوجهت جونابشن بخطوات ثابتة نحو السفينة بعد أن انتهت من شراء كافة مستلزماتها. كانت الشمس قد بدأت تغيب خلف الأفق، فمضى على السماء مسحةً من الظلال البرتقالية الداكنة.

في تلك الجزيرة، كان الليل يجلب معه نوعًا مختلفًا من الحياة، مليئة بالأخطار. فقد كانت الطرقات الضيقة تتحول بسرعة إلى مناطق تسكنها الفوضى والعنف، حيث السكارى يتعثرون في طريقهم والعاشرات يملأن الأزقة الضيقة بحثًا عن زبائن.

بينما كانت جونابشن في طريقها عائدة إلى السفينة، كانت تحاول قدر الإمكان تجنب كل من قد يثير المتاعب. لكن القدر كان له رأي آخر، إذ اصطدمت فجأة بقرصان مخمور، تتمايل خطواته يمينًا ويسارًا كالبطريق، كان يجزّ بيده فتاة صغيرة، ربما في عمرها تقريبا، لكنها كانت ترتدي ملابس الموسسات، رغم أن البراءة لم تفارق ملامح وجهها الطفولي.

شعرت جونابشن بالضيق والاشمئزاز في آن واحد، لكنها كانت تعلم أن أي تصرف خاطئ قد يجلب لها ما لا تحمد عقباه. فقد أوصاها جارو بالحذر والابتعاد عن المشاكل، ولذلك حاولت الابتعاد بسرعة، متجنبًا الاحتكاك بهذا القرصان الذي تفوح منه رائحة الخمر.

ولكن قبل أن تتمكن من الابتعاد، صرخ القرصان بصوت عالٍ،
مُحاولا إيقافها:

- انتظري!

كان صوته خشناً كخُوار نُور. وقفت أمامه مباشرة، وقال لي: ..
واكن بصلافة:

- ماذا تريد؟

كانت كلماتها قليلة، لكنها تحمل في طياتها ثقة لا يتوقعها من فتاة في
عمرها.

ظَلَّ القرصان يُحدِّق فيها بعينيهِ المُترنَّحتين، كأنه يحاول فهم كيف أن
هذه الفتاة لم ترتعب من تهديده. بدأ في الضحك بصوت عالٍ، وهو يقول:

- أنتِ شجاعة، لكنكِ لا تعرفين ما قد يحدث هنا، يا صغيرة.

ابتسمت جونايشن للقرصان بسخرية باردة، وكأنها تستهزئ به
ويتهديداته الفارغة، ثم قالت بصوت هادئ، ولكنه مليء بالقوة:

- امضي في سبيلك أيها الخريت السكران، فلست أريد المتاعب.

يبدو أن الخمر قد عصفت برأس ذلك القرصان، فلقد أفلت الفتاة
التي وقعت أرضاً ثم بعد أن استوعبت الموقف نهضت هاربة، بينما
المخمور يستل سيفه من غمده هادراً:

- سأقطع لسانك أيها العاهرة وأصنع منه حساءً لطاقم درافن.

قالت جونايشن بتفاد صبر:

- لا تدفعني لقتلك.

كانت تعلم أنها قادرة على فعل ذلك بكل سهولة، فقد تدرّبت على القتال منذ صغرها، وكانت تمتلك من المهارات ما يجعلها تهزم هذا القرصان المَخمور دون عناء.

في تلك اللحظة، تحوّل القرصان من مجرد تهديد غير مؤذٍ إلى وحش مستعد للقتل. جوناشن، التي نظرت إلى السيف اللامع بيده، وهي تدرك أن هذا المخمور، رغم ضعفه الظاهر، قد يجرّها إلى قتال لم تكن ترغب فيه.

كانت تعلم أن عليها إنهاء هذا الموقف بسرعة وبدون إحداث فوضى تلفت الأنظار إليها.

تقدّمت بخطوة واحدة، وتحدّثت بصوت هادئ لكنه مليء بالتحذير:

- لن تكون أوّل من حاول، ولن تكون آخر من فشل.

كان هناك شيء في نبرة صوتها، في وقفتها، في الطريقة التي نظرت بها إلى القرصان، جعل الرجل المخمور يتردّد. ولكن، كما هو الحال مع كل مُتهورٍ يعميه الغضب، لم يكن مُستعدًا للإنصات إلى بقايا عقله وانتصرت غريزته.

اندفع القرصان نحو جوناشن، رافعًا سيفه بعشوائية، لكن قبل أن يقترب منها بما يكفي، كانت قد أخرجت سيفها بخفّة ودقّة. ثم بحركة

سرّبعة، لم تكن بحاجة إلى بذل جهد كبير، استدارت وضرّبت المقبض المعدنّ لسيفها على رأسه بقوة، توقف الزمن للحظة، وكان العالم بأسره بحسّ أنفاسه، ثم سقط القرصان أرضاً، مغشياً عليه، والسيف ينزلق من يده ليسقط على الأرض تحت قدميه.

وبينما كانت تُعيد سيفها إلى غمده، سمعت صوت تصفيق بطيء، ومترن، يكسر سكون الأزقة. التفتت بحدة نحو مصدر الصوت، لتجد نفسها وجهاً لوجه مع أندرياس دراغن، القرصان الذي قابلته في الحانوت، والذي كان مع جارو بعد ذلك.

كان متكئاً على أحد الجدران، عيناه تلمعان بمزيج من الاهتمام والتسلية، وكأنه كان يُراقب ما يحدث منذ البداية دون أن تنتبه لوجوده.

بابتسامة خفيفة قال بصوت هادئ:

- ضربة جميلة، لم أتوقع أقل من ذلك.

كان صوته يحمل نبرة غريبة، وكأنها يعرف عنها أكثر مما تبدو عليه الأمور. وقف مستقيماً وتقدم نحوها بضع خطوات، مستمراً في حديثه:

- ولأول مرة منذ زمن طويل، أجد نفسي أقف مبهوراً بفتاة.

جونايشن كانت تراقب تحركات دراقن بحذر، رغم مظهره الهادئ
والمريح. داخليًا كانت تتوقع أي خطر قد يأتي منه. وفي تلك اللحظة،
تردّد صوت جارو يُناديها من نهاية الممرّ:

- جونايشن!

دون تردد، التفتت سريعًا نحو جارو، متجاهلة دراقن وكأنها لم
تسمع كلماته الأخيرة. بدأت تركض باتجاهه، تاركة خلفها تلك المواجهة
التي كانت تحمّل في طبّاتها الكثير من التوتر. جارو كان واقفًا هناك، ينظر
إلى دراقن بنظرة حادة مليئة بالتحذير، وكأنها رسالة صامتة بين القراصنة،
فهمها دراقن على الفور.

بهدوء مشوب باللامبالاة، انحنى دراقن وهمل الجسد المخمور الذي
طرحته جونايشن أرضًا، وكان هذا الوزن لم يكن يعني له شيئًا. ثم استدار
وبدأ بالابتعاد في الاتجاه المعاكس.

ما إن اقتربت جونايشن من جارو حتى قالت بنبرة عادية، محاولة
إخفاء توترها:

- لقد اشتريتُ كل ما أحتاجه، ثم تجوّلت في أنحاء السوق، وهذا ما
تسبّب في تأخري.

لم تكن تعلم أن جارو قد لاحظ كل شيء، وبدأه بأنه نجاهل نهاية
مشاعره بإشغال غلبونه. أخذ نفسًا عميقًا منه، مماه لأن السطح دحائها
تزدكس شيئًا من الغيرة التي كانت تتقد في داخله، لكنه أدرك أنه
ذلك غير مجد. بنظرة هادئة، أخفى وراءها الكثير من غضبه، قال صوت
منخفض:

- هل فعل ذلك الساقط أرضًا شيئًا يستحق أن يضرب من أجله؟

كانت كلماته محملة بمعنى أعمق مما بدا على السطح. لم يكن يسأل
فقط عن الرجل المخمور الذي طرحته أرضًا، بل عن كل ما قد يكون
جری في تلك اللحظات التي لم يكن حاضرًا فيها.

لم تزد على أن قالت:

- لقد كان مثيرًا للإزعاج قليلًا، فظننت أنه قد يحتاج لنوم هادئ، لا
أكثر.

- وماذا قال لك القرصان الآخر بعد أن صفق؟

كانت الكلمات تخرج منه بهدوء خفيف، لكن عيناه، تلك العيون التي
أبداها تشتعل بالغضب، كانت تحدق بها بوجوه جعلها تشعر بالتوتر
يعتريها.

لم تعلم ما عليها قوله. الكلمات بدت وكأنها تهرب من عقلها كما تهرب الرمال من بين الأصابع.

نظرات القبطان كانت تقول الكثير؛ كان يريد إجابة صريحة، مباشرة، دون أي تلاعب. أما هي، فقد كانت تعرف أن جارو لا يتحمل الأكاذيب، وفي هذه اللحظة، كان عليها أن تختار كلماتها بعناية فائقة.

أخذت نفسًا عميقًا، محاولة استجماع كل شجاعته، وأخيرًا قالت، بنبرة حاولت أن تجعلها ثابتة قدر الإمكان:

- قال لي أن...

ولكنها توقفت فجأة عندما شعرت بيده القوية تمسك بمعصمها بلطف لا يتناسب مع سُمعة القراصنة القاسية. نظرت إلى وجهه لتجد تلك الابتسامة التي اعتادت عليها منه، ابتسامة لم يكن يُظهرها إلا لها، وكأنها كانت تعني السرّ الوحيد الذي يتشاركه معها دون غيرها من أفراد الطاقم.

لم يكن القبطان مثل الآخرين. صحيح أنه كان صارمًا ولا يرحم في المعارك، لكن هناك جانبًا آخر فيه، جانبًا مخفيًا تحت طبقات من الصلابة والقسوة التي فرضتها عليه حياة البحر والقراصنة.

- لا عليك...

قالها بصوت مُنخفض، وكأنه يريد طمأننتها. كان يعلم جيدًا أن الجو قد تغير، ليس فقط بسبب البرودة التي بدأت تتسلل عبر الهواء المالح، ولكن بسبب التوتر الذي شعر به بينها.

- لتتوجّه إلى السفينة، فالجوّ قد أصبح باردًا.



ما إن وصلا إلى السفينة، حيث كانت أنوارها تتلألأ في ظلام الليل، حتى شعرت بأنها قد نزلت من عوالم معقّدة إلى عالم آخر. يداها، التي كانت لا تزال تحت قبضة القبطان، افترقنا عندما دخلا إلى السطح، لكن نظرات جميع أفراد الطاقم الذين كانوا داخل السفينة لم تُفارقهما. كانت نظراتهم مليئة بالشك، وكأنهم يتساءلون عن سرّ تلك العلاقة التي بدت وكأنها تخرج عن المألوف في عالمهم الصّارم، ولكن لم ينطق أحد منهم بشيء.

توجّهت جونايشن، بخطى مُتسارعة، نحو غرفتها الخاصة، تلك التي خصصها القبطان لها بعيدًا عن أعين الطاقم. كانت الغرفة في أحد أركان السفينة، تحيط بها جدران خشبية محصّنة وأثاث بسيط، ولكنه مُريح. في قلب هذا الملاذ البسيط، حاولت جونايشن أن تهدئ من روعها، لكن ذهنها كان مشغولًا بمراجعة كل ما حدث لها منذ اللحظة التي اقتبّدت فيها من على متن السفينة التجارية المتّجهة إلى مصر.

كان ذلك اليوم الذي اختطفت فيه من السفينة التجارية يحمل في طياته الكثير من الذكريات. التهديدات والتوترات التي ملأت الجو حينها، كان يبدو أن كل شيء يهدف إلى إثارة الرعب. ولكن القبطان، رغم طريقة اختطافه التي كانت غير متوقعة، أظهر جانبًا غير متوقع أيضًا. معاملته لها، رغم صرامته، كانت مليئة بلطف غير مُعتاد في عالمهم القاسي. لقد كان يعاملها بحذر واهتمام، وكأنها جزء من مملكة صغيرة خاصة به.

ومع ذلك، كانت جونائش تعرف أن هذه المعاملة لم تكن بدون ثمن. كان هناك ثمن كان يجب دفعه، وهذا الثمن كان يأتي على حساب سحق الطاقم وتدميرهم. في عالم القراصنة، حيث لا يُغفر التمييز، كان واضحًا أن كل تمييز يمنحها إياه القبطان كان يخلق مشاعر الاستياء بين أفراد الطاقم. في عيونهم، كانت جونائش تُعتبر ضيفة غير مرحّب بها، أو ربما تهديدًا لهيبة القبطان.

تأملت في كيفية تعامل القبطان معها كأحد القراصنة المميزين، دون أن يظهر أي نوع من التفضيل المبالغ فيه. كان قاسيًا بما يكفي ليُقيها في حذر، لكنه لطيف بما يكفي ليمنحها بعض الأمان في عالم مملوء بالخداع والتهديدات والمخاطر. هذه التناقضات كانت تشكل جزءًا من هذا العالم الغريب، حيث تتداخل الأهواء والشخصيات لتخلق شبكة معقدة من الولاءات والعداوات.

في هذا الوقت، كانت جونايثن تفكر في كل هذه الأمور، متأملة في صراعاتها الداخلية والخارجية، وفي المستقبل الغامض الذي ينتظرها في عالم القراصنة. كل نظرة من الطاقم، كل كلمة نطق بها القبطان، وكل حركة من تلك التي جرّت خلال الأيام الماضية كانت تملأ ذهنها بالتساؤلات.



بمجرد دخول جارو قمرته على سطح السفينة، واختفى خلف تلك الجدران الخشبية، حتى بدأت الهمسات تتعالى بين أفراد الطاقم، محملة بكمّ هائل من الغضب مع مزيج من القلق والتذمر، حيث تجمع القراصنة في مجموعات صغيرة، يتبادلون الأحاديث بسرية وحذر. كانت تلك اللحظات من الثرثرة تمثل مزيجاً من الشك والخوف من التمييز الذي يراه البعض كتهديد مباشر لسلامتهم واستقرارهم.

الأجواء كانت متوترة، وكان الحديث يدور حول العلاقة الغامضة بين قائدهم وجونايثن. القبطان جارو، الذي كان يُعرف بصرامته وشدته في التعامل، لم يكن ليصبح محور حديثهم لولا وجود تباين واضح بين معاملته لجونايثن ومعاملته لبقية الطاقم. لم يكن أحد يجرؤ على تحدّي القبطان مباشرة، لكن خلف الأبواب المغلقة، كانت الشكوك والتساؤلات تتناثر كالشّرر.

بينما كانت الهمسات تتعالى في أرجاء السفينة، وتحمل معها نسمات من السخبط والغضب، ارتفعت أصوات النقاشات بوجه ملحوظ. وسط تلك الهمسات والتوترات، انطلقت جملة حادة من بين الأفراد الذين كانوا يتجمعون في ظل الأضواء الخافتة. كان ماران، أحد أفراد الطاقم الذي يحمل في قلبه ضغينة تجاه جوننايشن منذ اللحظة التي أخذت فيها مكانه كملاح في المستقبل، جمع شجاعته ليقول بوضوح:

- لا بد أن هذه الفتاة قد سلبت عقله.

كانت الكلمات التي تفوه بها ماران مثل الشرارة التي أثارها المزيد من الغضب والجدل. كان له سبب مُقنع للمرارة التي يشعر بها. فقد كانت جوننايشن، التي أخذت من حياة عادية إلى حياة القراصنة، قد صعدت بسرعة في سلم الطاقم لترشح للوظيفة التي كان يتظرها طوال حياته في البحر، ليدافع بافي، الملاح العجوز ذو الخبرة الطويلة، والذي كان يحمل لقب "الملاح العجوز"، عن القبطان. كان بافي يمتلك سمعة بكونه نزيهاً في أحكامه في الأمور الداخلية للسفينة، ومعرفته العميقة بعالم القراصنة جعلته يرى الأمور من منظور مختلف. قال بصوت هادئ ومتعقل:

- لا يمكن أن يُغرم القائد بجوننايشن، فعمرها صغير جداً بالنسبة إليه. لا بد أنه يعتبرها كابته وهذا سبب معاملته اللطيفة لها..

بينما كانت السفينة تراقص على أمواج البحر في تلك الليلة الباردة، كانت الأحاديث الساخنة التي دارت بين أفراد الطاقم تتخذ مُنحني أكثر حدة. كانت تلك الأحاديث تُركّز بوجهٍ خاص على التوزيع غير المتوازن للعنائم، وهي مسألة تعتبر من أكثر المواضيع حساسية في عالم القراصنة.

أشعل أحد القراصنة، الذي كان أحد المسؤولين الخمسة عن مراقبة السفينة أثناء رحيلهم، النار في الجدَل بقوله:

- لقد شاهدناه يُقدّم لها عشر قطع فضية من أموالنا التي سرقناها بكل جهد، بينما أعطى لكل فرد منا قطعتين فقط.

كانت تلك الكلمات بمثابة جرس إنذار للطاقم الذي كان قد بدأ يتساءل عن عدالة التوزيع. حيث إنّ التوزيع العادل للعنائم هو أساس الولاء والاحترام داخل الطاقم. تلك القطع الفضية العشرة التي قدّمها القبطان لجوناثن كانت تبدو كإشارة واضحة للانحياز، وخلقت في الوقت ذاته شعورًا بالظلم بين من اعتادوا على قسوة البحر والقتال من أجل كل ذرة من ثرواتهم.

نطقَ شخص آخر بصوت مرتفع وبعينيه المتقدتين بالنيران:

- هذا الأمر غير عادل، يبدو أن جارو قد فقد عقله.

لم يستطع ذلك الملاح المعجوز الدفاع عنه بعد ذلك، ليبقى صامتًا يُراقب ما يُدار بحِياد.



(14)

في صباح اليوم
التالي، عندما بدأت
أشعة الشمس تتسلل
عبر النوافذ الصغيرة في
غرفة جوناين، كان صوت
الأمواج الذي يرافق تحركات
السفينة هو أول ما لفت
انتباهها. استيقظت ببطء،



مشدودة من النوم إلى عالم يتسم بالصخب المستمر الذي لا يتفك عن
إيقاع البحر.

توجهت نحو السطح لتكشف عن السفينة التي كانت تتحرك
بسلاسة، وكان الهواء مملوءًا برائحة الملح ونسيم البحر الذي لا يتوقف
عن التلاعب بأشعرتها. كانت السفينة، قد ابتعدت عن الجزيرة، وبدأت
تعود إلى أعماق البحر.

مع تلك الأفكار تعجّبت من إبحارهم بسرعة حيث قال جارو أنهم
سيبقون يوما كاملا، تناسّت تلك الأفكار وهي تشعر بنسيم البحر البارد

يلامس وجهها بلطف. استنشقت الهواء بعمق، وأغلقت عينيها للحظة، تاركة نفسها تستمتع برائحة الملح المزوجة بالهواء. كانت تلك اللحظات تُعزّز شعورها بالانتماء إلى البحر وحياة القراصنة، حياة المغامرة التي لم تكن تخلو من مُتعة غير مفهومة.

ابتسمت وقالت بصوت يملؤه السرور:

- كم أعشق رائحة الملح المزوجة بالهواء.

ولكن مع فتحها لعينيها مجددًا، أدركت أن شيئًا ما بدا غريبًا. نظرات أفراد الطاقم كانت تترصدها بعيون غاضبة قاسية، تعبّر عن الشكّ والعداء، تلك النظرات لم تكن خفية، كانت واضحة ومباشرة، تُظهر أن الطاقم لم يكن راضيًا عن مكانتها الجديدة بينهم. لكن في خضمّ تلك التوترات، كان هناك شخص واحد فقط بدا مختلفًا..

الملاح العجوز، بافي. كان يقف على مقربة منها، وجهه يحمل ملامح هادئة وخالية من التحيز.

بصوت عميق، ولكنه ودود، قاطع بافي تلك النظرات المشحونة وقال وهو يتقدّم نحوها:

- هل أحضرتِ كل ما تحتاجينه للتدرّب على وظيفتك الجديدة؟

أومات برأسها.

اكتفى بإيلاء صغيرة تُعبر عن رضاه ثم أضاف:

- جيد، قابِليني بعد ساعة لبدء التّدريب. وأحضري معك الخرائط.

في تلك اللحظة، تقدم أحد القراصنة بخطوات حذرة نحوها. كان يُدعى بارثولوميو، وهو قرصان ذو ملامح قاسية وعَيْنين تشتعلان بالحقد. كان بارثولوميو معروفًا بين أفراد الطاقم بكونه جَشِعًا وطموحًا، ويبحث دائمًا عن فرص لإثبات نفسه وإظهار ولائه لجارو، رغم أن ذلك الولاء لم يكن نابعًا من احترام حقيقي بقدر ما كان من طموحًا لمصالح شخصية.

وقف بارثولوميو أمام جونائش، محددًا فيها بنظرات حادة بينما كان يلعب بقطعة فضية بين أصابعه. قال بصوت مرتفع حتى يصل للجميع في المكان، محمّلًا بالحُبث:

- القائد جارو يطلب منك الحضور إلى قُمرته، أخبريني جونائش، ما سبب طلبه الدائم لك؟

كان بارثولوميو يُدرك تمامًا أن هناك حديثًا يدور بين أفراد الطاقم حول علاقة جونائش بالقائد، وحول تلك القطع الفضية التي أثارت غضبهم وحقدهم. كان يعلم أن موقفه هذا هو فرصة له ليغذّي الشائعات والفتن.

أحاديته بصوت هادئ منخفض على عكس صوته، دون أن تُبدي أي اهتمام لسؤاله، وكأنها لم تسمعه:

حسناً، شكرًا لك.

لم تضيف كلمة أخرى، بل استدارت بخطوات ثابتة، تاركة إياه واقفاً في مكانه.

عندما دفعت جونايشن الباب لتدخل قمرة القائد جارو، كانت تشعرُ بثقل الجو المحيط بها. الغرفة كانت أشبه بملاذ سري للقائد، ملجأه من أعين الطاقم والمكان الوحيد الذي يحتفظ فيه بأسراره ومخططاته. الجدران كانت مزينة بخرائط قديمة، بعضها ممزق الأطراف من كثرة الاستخدام، بينما كانت الطاولة المركزية مغطاة بأدوات الملاحة المختلفة، كالبيوصلات وأقلام الريشة والحبر، وكلها مرتبة بعناية تدل على أن القبطان يأخذ كل تفاصيل رحلاته بجديّة مُطلقة.

رائحة الجلد والخشب القديم كانت تملأ المكان، تضيف إحساسًا بالقدم والعِراقة إلى الغرفة. القائد جارو كان واقفاً بجانب الطاولة، عيناه مركزة بحدة على إحدى الأوراق التي كان يدرسها بدقة، كما لو كانت تحمل سرًا خطيرًا أو مفتاحًا لرحلة مستقبلية.

شعرت جونايشن بالفضول يتسلل إلى نفسها. ماذا يمكن أن يكون في تلك الورقة التي تشغل عقل القائد إلى هذا الحد؟

ولكن احترامها له، وخوفها من أن تزعجه في لحظة تركيزه، جعلها تتجمد في مكانها، تكتفي بمراقبته بصمت. كانت تعلم أن القائد لا يجب أن يُقاطع عندما يكون غارقاً في أفكاره.

مرت بضع لحظات بدت وكأنها أطول من ذلك، حتى رفع جارو عينيه أخيراً نحوها. كان التعب جلياً في ملامحه، الهالات السوداء حول عينيه تكشف عن ليالٍ طويلة قضاها بدون نوم.

قال بصوت يحوّل أثراً من الإرهاق، ولكنه لم يخلُ من لُطفه المعتاد معها:

- لم أنتبه لقدمك، لماذا لم تقولي شيئاً؟

كانت كلماته بسيطة، لكنها تحمل خلفها نقل المسؤولية التي يشعر بها تجاه طاقمه وتجاهها هي بوجهٍ خاص، بالنسبة له، كانت جونايشن جزءاً مهماً من مخططاته، ليس فقط كعنصر في طاقمه، بل كواحدة يتوقع منها أن تتولّى مهاماً أكبر في المستقبل.

ردت جونايشن بهدوء واحترام:

- لم أرد أن أقطع تركيزك.

أمسك جارو بالورقة بحذر، كما لو كانت مصنوعة من زجاج هش، ورفعها نحو الضوء الذي تسلل من نافذة صغيرة في زاوية الغرفة.

ثم فآتم الورقة لها، قائلاً بصوت منخفض:

أراك أن نشاهدي هذه الرسمة، وتقولي لي ما رأيك بها.

جوناثن تقدّمت بخطوات بطيئة، لكنها أخذت الورقة بيدين
ذاتتيزن. بمجرد أن كُشفت الورقة أمام عينيها، اتّسعت حدقتهاها في
دُهرار، كأن الزمن قد توقف لوهلة. كانت الرسمة الموجودة أمامها،
مفصّليها الدقيقة، صورة طبق الأصل للخاتم الذي كانت ترتديه
عمّتها، تلك التي عُرفت بـ "ساحرة أدغشترى"

انغمّرت جوناثن في دوّامة من الذكريات والمشاعر، لتعود بها إلى
أيام الطفولة. وكان الماضي الذي حاولت نسيانه قد عاد ليلاحقها من
جديد.

لم تغب دهشتها عن عيني جارو الحادة، فقد لاحظ ترددها
واضطرابها بوضوح، كما لو أن ملامح وجهها كانت مرآة تعكس أفكارها
المضطربة. كان جارو يراقبها بصمت، يجمع بين الحكمة والحذر، حتى
قرر أن يقطع الصمت الذي خيّم على الغرفة قائلاً بصوت هادئ لكنه
يحمل بين طيّاته نبرة استيفهام:

- ما بك؟

رفعت جونايشن عينيها نحوه بيّطء، وكأنها تحاول انتقاء الكلمات المناسبة وسط دوامة الأفكار التي اجتاحتها. بدت وكأنها تبحث عن شيء تقوله ليخفي ما يعتَمِل في صدرها، لكن صوتها حين خرج، كان مشوبًا بالتردد والقلق، بالكاد تمكّنت من السيطرة على ارتعاشه:

- ما قصة هذا الخاتم؟

كانت الكلمات تخرج منها على مَضض، تشعر بثقلها وكأنها تحمل معها وزنا من الماضي، وتساءلت في نفسها ما إذا كانت ترغب حقًا في معرفة الإجابة.

لاحظ جارو ترددها، لكنه لم يعترض. استند على ظهره، ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يبدأ بسر ما حدث بينه وبين القرصان.

ثم قال:

- سنبحث نحن أيضًا عن هذا الخاتم، عن طريق عصبة الساحرات، أراد دراقن التوجّه إليهن، ولكن هنالك مشكلة قديمة بين الاثنين، لذا سنقوم نحن بهذه المهمة.

تلك الكلمات هزّت كيان جونايشن كما لو أن الأرض قد اهتزّت تحت قدميها. ذكر "الساحرات" كان كافيًا لإعادة كل ذكريات الماضي القائمة إلى السطح. تذكرت على الفور تلك البقعة الملعونة التي خرجت منها،

حيث الظلال والمخاوف تتسلل إلى النفس كما تتسلل الرياح إلى كوخ مهجور.

كان ذكر "الخاتم" كفيلاً بجعل قلبها يخفق بجنون. كان هذا الاسم وحده يحمل في طياته رهبة لا يمكن نسيانها، وأعاد إلى ذاكرتها كل الليالي التي قضتها تحت وطأة الخوف، مُحْتَبِثَةً من عَيْنَيْن لا تعرف الرحمة، عَيْنَيْن لم تكن تنتمي لعالم البشر.

ومع ذلك، لم تسمح لأي من تلك المشاعر أن تطفو على السطح. أَخَفَّتْ خوفها خلف قناع من الهدوء المصطنع، واختارت أن تفضل الصمت في تلك اللحظة. كانت تعلم أن القدر قد بدأ في نَسج خيوط مغامرة جديدة، وأنها ستكون جزءاً منها، سواء أرادت ذلك أم لا.

كانت الأفكار تتصارع في ذهنها، لكن شيئاً واحداً كان واضحاً لها: لا مفرّ من مواجهة ما يجتنبه القدر، حتى لو كان ذلك يعني العودة إلى أحلك زوايا ماضيها.

كل ما قالته وقتها:

- رائع، مغامرة شيقة، وكنت ينتظر اكتشافنا له.

ابتسم جارو لها بتلك الابتسامة الهادئة التي لطالما شاهدتها على وجهه. جونايشن، بالرغم من كل المشاعر المضطربة التي كانت تتصارع

داخلها، أجابته بابتسامة خفيفة، كمن يحاول التمسك بأخر خيط من القوة وسط عاصفة من الخوف.

ثم قالت بصوت منخفض:

- سأذهب إلى بافي. قال إنه سيُدريني على وظيفتي الجديدة.

أوماً جارو برأسه، موافقاً دون أن ينبسَ بينتِ شفةً، ثم راقبها بصمت وهي تستدير لتغادر.

ما إن أقفلت جونايش البوابة خلفها حتى توقفت فجأة، وكأن ثقل العالم قد سقط على كتفيها. استندت إلى الباب بظهرها، وامتدت يداها المترجفتان إلى قلبها، تحاول عبثاً تهدئة دقاته المتسارعة. كان الخوف يلتهمها من الداخل، خوفاً منه.. من شيطان الخاتم.



أبحروا نحو جزيرة غوريه، وجهتهم القادمة، تلك الجزيرة الصغيرة التي تعانق الساحل السنغالي قبالة مدينة داكار.

جونايش كانت واقفة على سطح السفينة، تحدق في الأفق حيث تلوح جزيرة غوريه بظلالها الغامضة. كانت تعلم أن هذه الجزيرة ليست كبقية الجزر التي مروا بها؛ فهي تشتهر بشيء يتجاوز التاريخ والمعمار، شيء يكمن في قلب أساطيرها الأكثر ظلاماً: الساحرات.

نظرت جونايثن إلى بافي، الذي كان يقف بجانبها، متأملاً الأفق
ودوراً، ثم سألت بصوت خافت، يكاد يختلط مع همس الرياح البحرية:

هل زرت هذه الجزيرة من قبل؟

لم يرد بافي على الفور، بل ظل صامتاً للحظة، وكأن السؤال قد أيقظ
ذكريات نائية من ماضيه. عيناه شرذتا بعيداً، كما لو كان يستعيد مشاهد
قديمة مَطمورة تحت طبقات من الزمن. ثم تنهد بصوت عميق، وقال
بصوت يحمل عبق السنين:

- قبل خمسين عاماً، أبحرتُ مع طاقمي إلى هذه الجزيرة، كنا نسمع
القصص القديمة عن الكنوز المدفونة في أحشاء غوريه، كنوز لم يمستها
أحد، (كنوز الساحرات)، واعتقدنا أننا سنكون أول من يصل إليها. كنا
طائشين حقاً، معتقدين أن قوتنا وحدها تكفي لمواجهة أي خطر. لكن
غوريه كانت شيئاً آخر، شيئاً لم نتوقعه. تلك الليلة المظلمة على الجزيرة
بدأت كما تبدأ أي مغامرة بالتحفُّز والترقب. كل شيء بدأ هادئاً ومعتاداً
في البداية، حتى شعرنا وكأننا على بعد خطوات من الذهب والمجد. لكن
مع كل خطوة نخطوها على أرضها، كان شيئاً غريباً يتسلل إلى أرواحنا.
لم تكن الأرض تنتمي لنا، بل كنا نحن من بدأنا ننتهي لتراب تلك
الجزيرة؛ كانت كيأنا حياً، ينظر إلينا ويراقبنا، يعرف مخاوفنا الأعماق.

توقف بافي لوهلة، وكان الكلمات تُثقل عليه، ثم استمر بصوت ملىء
بالانكسار:

- طاقمي، الرجال الذين وثقتُ بهم، بدؤوا يتفرقون كأوراق تتطاير
في عاصفة. كل واحد منهم واجه شيئاً لا يمكن وصفه، كابوساً ينبثق من
ظلام قلبه. كانت الجزيرة تسحبهم واحداً تلو الآخر، تُجردهم من قوتهم
وتُظهر لهم هشاشتهم. لم يكن هناك أعداء نراهم أو وحوش نقاتلها، مجرد
ساحرات ينظرنَ إلينا بابتسامة خبيثة، لتصنعَ شياطينهم معارك داخلية
ضدّ أنفسنا، معارك خسرتها جميعاً. عندما غادرنا غوريه، لم تكن نحن
من سرق الجزيرة، بل هي من سرقت منا. تركنا هناك أجزاءً من أنفسنا،
أحلامنا، وربما أرواحنا. خرجنا من تلك الأرض أقل عدداً، وأكثر
خسراً مما كنا نتصور. لم نعد خالي الوفاض فقط، بل عدنا ونحن نحمل
على أكتافنا عبء هزيمة لم نتوقعها. غوريه لم تكن كنزاً نبحث عنه، بل
كانت درساً قاسياً، ذكرى محفورة في قلوبنا، لن نُمحى مهما حاولنا نسيانها.
جونايث شعرت بوحزة من الخوف وهي تستمع للكلمات بافي. كانت
تعرف أن غوريه لم تكن مجرد جزيرة عادية، وكم كانت ممتلئة بالشياطين
وخدمهم من السحرة، ولكن ما قاله لها، لم تكن لتصوره أبداً.

ما إن وصلوا إلى ميناء جزيرة غوريه حتى ألقوا المرساة قرب
الأرصافة القديمة، حيث بدأت السفينة تهتز بلطف فوق مياه الميناء
المهدئة، وكأنها تنفس الصعداء بعد الرحلة الطويلة. كانت الشمس تغمر
الجزيرة بأشعتها الدافئة، مسلطة الضوء على المباني العتيقة في المكان.

في تلك اللحظة، قال جارو:

- ابقوا هنا وانتظروني، سأذهب بمفردي ولن أتاخر.

ما جعل أفراد الطاقم يُومنون برؤوسهم في انسجام، دون أن ينطقوا
بكلمة.

لكن جونايشن، لم تستطع إخفاء قلقها. بدا الخوف واضحًا في عينيها
الواسعتين وهي تقول بصوت مرتجف:

- لكن ماذا لو أصابك مكروه؟

ابتسم جارو برفقة، ثم بيده القوية، ربت على رأسها برفق:

- لا تقلقي

ولكن قبل أن يتعد، شعر بيدها الصغيرة تُمسك بمعصمه بقوة غير
متوقعة. رفعت جونايشن عينيها نحوه، وقالت بصوت يحمل ترددًا:

- هل... هل أستطيع الذهاب معك؟

توقف جارو للحظة، متفاجئًا بتحوّل مشاعرها. تلك النظرة التي كانت تفيض بالخوف والقلق قد اختفت تمامًا، وحلّ محلّها شيء آخر، ثقة عميقة، وشجاعة لم يكن يتوقعها منها بهذه اللحظة.

قال بعدها بلطف:

- هيا إذاً.

هبط جارو وجونايشن نحو الجزيرة، حيث لامست أقدامهم الأرض بثبات. كانت غوريه تنبض بالحياة، لكنها لم تكن حياة عادية كما عهدوها في الموانئ الأخرى. كانت الجزيرة كأنها تتنفس بسحرٍ قديم، مليئة بالكيانات الغامضة التي تتحرك في الظلال.

سحرة وساحرات يمارسون طقوسهم في زوايا خفية، وأرواحٌ قديمة تتربص بين الأشجار والمباني العتيقة.

في العصور القديمة، كانت ساحرات أفريقيا يُجسّدن حضورًا غامضًا ومهيّبًا، وكان شكلهنّ الخارجي يعكس هذا الجانب الخفيّ من شخصياتهنّ. تميّزت الساحرات بإطلالة غريبة ومرعبة أحيانًا، تتناسب مع القوى السحرية التي تمتلكنها.

كانت ملابسهن مصنوعة من جلود الحيوانات أو الأقمشة المنسوجة يدويًا، ومزينة بالرموز والنقوش التي تعكس انتماءهنّ إلى عالم السحر.

غالباً ما كانت هذه الملابس تتميز بألوان داكنة مثل الأسود والبني الداكن، وأحياناً تُزين بالريش أو العظام لإضفاء المزيد من الرهبة والهيبية على مظهرهن.

نحَرَكا بين الطَّرقات بخطوات واثقة، رؤوس مرفوعة، وأعين مثبتة أمامهم، كأنهما غير مباليين بالنظرات التي كانت تُلاحقهما من زوايا المنازل المظلمة. همسات خافتة انتشرت في الهواء كالمدخان، تقترب من آذانها، لكنها لم تُزعزع ثقتها لحظة واحدة.

- هل تشعر بهذا؟

همست جونايشن، بينما عيناها تُراقب الظلال المتحركة.

- نعم، إنهم يُحاولون استكشافنا، لكن دعينا لا نمنحهم أي رد فعل.
ردّ جارو، محافظاً على خطواته المتزنة.

على جانبي الطريق، كانت الحوانيت منتشرة على امتداد النظر، تعرض بضائع غريبة وأحياناً مخيفة.

جرعات بالوان زاهية، أعشاب مجففة تُقال إنها مليئة بالطاقة، وجلود حيوانات غير مألوفة. المنازل الصغيرة المحيطة بها، بُنيت من الخشب والحجر، لكنها لم تكن منازل عادية. كل واحد منها كان مُزيناً بلمسات غريبة؛ رموز محفورة على الأبواب والنوافذ، تُشع بريقاً خافتاً في الليل، كأنها أعين تُراقب الداخلين.

- انظري إلى تلك الرموز.

قال جارو، مشيراً إلى منزلٍ مغلقٍ.

- تلك العلامات تُستخدم للحماية من الداخل من الطاقات السلبية.

يبدو أنهم هنا لا يثقون بأحد، حتى بجيرانهم.

- أو ربما يحاولون إخفاء شيء ما بداخلها.

رذت جونايثن بقلقٍ، وواصلت السير دون توقف.

بعض المنازل كانت مغطاة بالأكاليل المتشابكة والأزهار السامة التي تنبض بالحياة، كأنها تحدّر من الاقتراب، بينما البعض الآخر يعلوه دخان أبيض يخرج من مداخنٍ مُنتوية، يُقال إنه يحمل تعاويذٍ قديمة.

- يبدو أن هذا المكان ليس فقط ملجأً للساحرات، بل مختبراً لعلوم السحر.

قالت جونايثن وهي تتفحص الدخان الأبيض المتصاعد...

- ليس غريباً أن نجد هنا كل هذا النوع من الأساليب والممارسات.

أجابها جارو ثم واصل:

- فكلّ واحدةٍ منهن تحمل تراثها وأسرارها الخاصة.

الطرف الضيقة المتعرجة بين المنازل كانت تُفرش بأوراق الأشجار
الخافتة، وتنساب عبرها الرياح محملة بهمهمات غير مفهومة، أصوات من
الماضي والحاضر تختلط في نسيم المساء.

- أشعر وكأنني أسمع قصصًا قديمة تحكيها الرياح.

همست جونايشن.

- إنها أصوات الأرواح التي تجولُ هنا.

أجابها جارو وأردف:

- عليك أن تتجاهلها وإلا ستجذبك نحو المجهول.

في منتصف المنازل والأكشاك، ظهرت أمامهم ساحة واسعة
توسطها شجرة عملاقة، جذورها تمتد كالأذرع في كل اتجاه، تلتف
حول الحجارة القديمة وتحتضن الأرض بعمق.

- إنها الشجرة المركزية.

قال جارو بنبرة احترام:

.. مركز القوة هنا، حيث تلتقي الطاقات المختلفة.

كانت الساحة مرزًا للطبوس والتجمعات، حيث يجتمع السكان في الليلي المقمرة لممارسة السحر والتواصل مع الأرواح. ليقول جارو محذرا جونايش:

- علينا أن نكون حذرين.

في تلك الأثناء، بدأت همهمات مترابطة مُنغمة كالموسيقى تملو من كل زاوية، متشابكة مع دقات الطبول العميقة، التي كانت تتردد في الأرجاء كأنها نبضات قلب الجزيرة نفسها. كانت الإيقاعات مُتناغمة بوجه مهيب، تحمل في طياتها نذرا باحتفال وشيك، يتماشى مع دقات الطبول الثقيلة كأنها تدعو الأرواح للمشاركة.

الساحة المركزية، التي كانت هادئة قبل لحظات، بدأت تعجّ بالحركة والحياة. السحرة والساحرات انسابوا من الأزقة والطرق الضيقة كتيار متدفق، يتجمعون حول الشجرة العملاقة، كل منهم يحمل قربانا في يده. مخلوقات صغيرة، طيور، وزواحف جمعت من مختلف أنحاء الجزيرة، كل واحد يحمل رمزًا خاصًا للطبوس التي ستقام.

كانت ملابسهم بسيطة ومتشابهة إلى حد كبير؛ كل فرد منهم ارتدى رداءً أسود طويلاً، يُضفي على المكان جواً من الرهبة والغموض. ورغم بساطة الزي، كانت كل عمامة على رأسهم تتألق بألوان مختلفة، تتباين بين

الأخضر العشي، الأزرق البحري، والبنّي الترابي، كأنها تعكس التنوع
الطبيعي للجزيرة نفسها.

أما حازم والنساء على حدّ سواء شاركوا في هذا المشهد، وكل خطوة
تسجل بحظونها كانت تبدو جزءاً من رقصة قديمة، تعكس اندماجهم
مع الأرض والسحر. كانت أعينهم مثبتة على الشجرة العملاقة،
كما ينتظرون إشارة ما، إشارة من الطقس الذي سيجمع بين العالمين.
عالم الأحياء وعالم الأرواح.

الهمهمات ازدادت حدة، والأصوات ارتفعت، ترددت في الهواء
مسامات لم تكن مفهومة لمن هم خارج الطقوس.

في تلك الأثناء، ومع تصاعد الإيقاعات الموسيقية التي تردّد صداها
في أنحاء الساحة، ظهرت خمس ساحرات من أعماق الظلال، متوجهات
بخطوات مهيبية نحو الشجرة العملاقة في وسط الساحة. لم يكن
ظهورهنّ عادياً؛ فقد بدا كأن الأرض نفسها تنحني لهنّ مع كل خطوة،
وكان الهواء من حولهنّ أصبح أكثر ثقلاً وسحراً.

كانت ملابسهنّ مميزة عن باقي السحرة، تزيّنها رموز وألوان تعكس
مخاتنهنّ العالية. كل واحدة منهنّ كانت ترتدي رداءً أسوداً مرصعاً
بنقوش ذهبية وفضية، والعمامات التي اعتلت رؤوسهنّ كانت تتلألأ
بلون ذهبي أو فضي.

في تلك اللحظة، بدأ السحرة المجتمعون حول الساحة بالانحناء احترامًا، رؤوسهم تنخفض بخضوع أمام الساحرات الخمس. لم يكن هذا الانحناء مجرد تقليد، بل كان اعترافًا ضمنيًا بالقوة والمعرفة التي تمتلكها هؤلاء النساء، اللاتي يُعتبرن ركيزة مجتمعهم.

- من هؤلاء؟

همست جوناين، عيناها متسعتان بالدهشة، وهي تراقب المشهد أمامها. ليُجيبها جارو:

- إنهن الساحرات الكبيرات، حارسات الجزيرة وحاميات كتوزها، وهن من يقررن إبقاء الساحر داخل العشيرة أو نبّده.

كانت نظرات جوناين تحمل مزيجًا من الدهشة والحذر، وكأنها تشاهد شيئًا يتجاوز قدرتها على الفهم.

تقدمت إحدى الساحرات الخمس بخطوة نحو الشجرة العملاقة، رفعت يدها في الهواء وكأنها تُلقي بتعويدة صامتة. فجأة، بدأت الأرض تهتز تحت أقدامهم بخفة، وتوهجت رموز غامضة على جذع الشجرة، تضيء الساحة بأضواء خافتة وكأنها تحيي السحر الكامن في الجزيرة. ثم نطقت:

- لشكروا الأسياد على ما قدموه لنا طوال العام، لنبدأ عامًا جديدًا

بسلام.

نهبطون جميع السحرة في ذات الوقت:

شكراً للأسياد، حراس المكان.

بما استمر السحرة في انحنائهم المهيب، كأنهم جزء لا يتجزأ من الأرض نفسها، استقر الصمت الثقيل على المكان، إلا أن جارو بدأ يشعر والصخر يتسلل إليه. الزمن بدا وكأنه يتباطأ، وكل ثانية تمر كانت تزداد فيها مشاعره بالانزعاج. بعد أن نفذ صبره تماماً، انفجر قائلاً بصوت عالٍ، يخترق جدار الصمت:

- لا أرغب في مقاطعة عزلتكم بصحبة شياطينكم، لكن هل يجرو أحدكم أن يجبرني أين أجد آرورا؟

صدى كلماته تردد في الساحة، لكن لم يتحرك أحد من السحرة أو الساحرات، وكأنهم لم يسمعوا شيئاً. رؤوسهم المنحنية بقيت ثابتة، وأعينهم مغمضة، في مشهد أشبه ما يكون بتمثال جماعي منحوت بدقة. كان واضحاً أن هذا الانحناء يمثل لهم شيئاً أكبر بكثير من مجرد تحية؛ كان رابطاً مقدساً بينهم وبين شياطينهم، رابطاً لم يكن مسموحاً لأي كان، وبخاصة غرباء مثله، أن يقطعها.

تقدم جارو بخطوة، ورفع يده ليشير نحوهم بتهكم:

- هل الجميع هنا أصم؟

ثم هزّ كتفيه مواصلاً:

- أو ربما هذه طريقتهم الخاصة في تجاهل من ليسوا على قدر كافٍ من الأهمية كالقراصنة!

لكن حتى مع محاولاته المستميتة لجذب الانتباه، لم يتحرك أي منهم، وكأنهم جدران صامتة..

مرّت الدقائق، كل دقيقة أثقل من سابقتها، وجارو يكاد يفقد صبره تماماً. سحب جوناين ذراعه نحوها بقوة.

- دعنا نرحل، هؤلاء قد فقدوا عقولهم منذ زمن طويل، وربما لا يرغبون في العثور عليها مرة أخرى!

قالتها بصوت ساخر، مُشيرة بعينها نحو المجموعة المنحنية كأنهم جزء من مشهد كوميدي غير متوقع.

بتلك اللحظة، ما إن عاد جميع السحرة إلى وضعهم الطبيعي، حتى توجّهت نحوهم بسرعة البرق امرأة سوداء من أولئك الساحرات الخمس ذي القيمة الأعلى في المكان. ثم قالت بصوت مليء بالغضب:

- كيف تجرؤون على قطع حبل تواصلنا مع أسياد المكان!

نظر جارو إلى جونائشن، ثم استدار نحو المرأة، مُحاولاً الحفاظ على رَاطة جأشِه:

لم نكن نعلم أن وجودنا هنا سيؤدي إلى هذا القدر من الإزعاج. نحن هنا نبحث عن آرورا، ولا نرغب في أي صراع.

لكن المرأة السوداء لم تُظهر أي تعاطف أو تراجع، بل زادت من شدتها:

- الوقت لم يكن مُناسباً لقدمكم! كل دقيقة تمر بدون احترام للطقوس هي إهانة لأسيادنا، ولقد اعتبرت وجودكم تديساً لهذا المكان المقدس!

كانت الساحرات هنا لا تُساو من على تقاليدهم وقوانينهم. في كل حركة، كان هناك تذكير بالقوة التي يمتلكونها، وتجاهلها يعتبر تعدياً لا يُغتفر.

- نحن نعتذر عما بدر منا.

قال جارو ببطء، مُحاولاً أن يُظهر الاحترام لأقصى حد:

- فقط أخبرينا أين يُمكننا العثور على آرورا، وسنرحل دون أي مزيد من الإزعاج.

في تلك اللحظة، كانت الساحة مليئة بالتيارات المربكة، وأصوات
هَمَسَات السحرة كانت تملأ الهواء بمن فيهم من يتشاركون معها ذات
القيمة. اقتربت امرأة أخرى منهم، وأمسكت بيد تلك المرأة الغاضبة، ثم
تبادلا النظرات لبعض الوقت حتى نطقت ذات المرأة الغاضبة نحو
جارو:

- وما الذي تُريدأنه من آرورا!

- نرغب في الاستفسار منها عن أمر اختفى دون أثر.

عم الصمت لثوانٍ قليلة، ثم رفعت نظرها وقالت بحزم:

- اتبعاني.

بدأت الساحرة تقودهما عبر طرقات الجزيرة الوعرة، حيث تخللت
الصخور الداكنة والمسارات الضيقة طريقهم، والرياح تلتف وجوههم
ببرودتها. استمروا في السير لوقت بدا كأنه لا نهاية له، حتى توقفت أمام
منزل صغير، كان غارقاً في الحشائش الكثيفة التي تلتف حوله كأنها تسعى
لايتلاعه.

كانت الرائحة الكريهة تزداد كلما اقتربوا من الباب، كأنها تنبعث من
أعماق المنزل ذاته. تبادل القرصان وجونايشن نظرات مترددة، قبل أن
يستسلما للفضول والخوف ويتبعها إلى الداخل.

كان المكان مظلمًا مُرعبًا، إلا من ضوء خافت ينبعث من شموع
مئة تآوت ببطء على طول الجدران الحجرية. كانت تلك الجدران
مغطاة بأفميشة مَهترئة وملبئة برموز قديمة محفورة بعناية.

الأرضية كانت مغطاة بسجادة رقيقة من الطحالب الداكنة، تلامس
نواحيها وتصدر أصواتًا خافتة مع كل خطوة يخطونها. في زوايا الغرفة،
تجمعت العناكب بنسجها الكثيف، وأعشاشها الممتدة بدت وكأنها
تراقب كل حركة بعيون غير مرئية.

على إحدى الطاولات الخشبية المتآكلة، تجمعت قوارير زجاجية
بأحجام وأشكال مختلفة، مليئة بسوائل غامضة تلتون بألوان غريبة حينما
ينعكس عليها الضوء الشاحب. كانت هناك أيضًا أوعية من العظام،
تحتوي على أعشاب وجذور مجففة، تتناثر حولها قطع من رماد الفحم.

في منتصف الغرفة، وقف مرآة كبيرة، أسود ومملوء بسائل يغلي،
تظفر على سطحه فقاعات كبيرة تُصدر أصواتًا خافتة ومستمرة. كانت
الرائحة المنبعثة منه مزيجًا غريبًا من العفن والتوابل الحارة، كأنها تحمل
معها ذكرى قديمة لطقوس مجهولة.

من السقف تدلت حبال طويلة، مربوطة في نهاياتها جماجم صغيرة
وأشياء غريبة لا يمكن التعرف عليها بسهولة. وعلى أحد الأرفف
المرتفعة، كانت هناك جماجم حيوانات وطيور، موضوعة بترتيب دقيق،
كأنها تشكل طقوسًا سحرية تحمي المنزل من الأعين المتطفلة.

بين كل هذه الأشياء، كانت هناك زوايا من الظلام تبدو أعمق من غيرها، كأنها تحجب أسرارًا لا يرغب أحد في اكتشافها. الجو كان ثقيلًا، مُشبَعًا بالغموض والخوف، وكأن المكان ذاته حيّ، يُراقب ويدرس كل من يدخل إليه.

ما إن عبروا عتبة المنزل، بهدوء متعمد، توجهت الساحرة نحو مقعد خشبي قديم، كان يقبع في زاوية مظلمة من الغرفة. جلست ببطء، ظهرها مستقيم وعيناها تحترقان الظلام من حولها، حتى بدا وكأن المكان بأكمله يخضع لإرادتها.

قالت بصوت هادئ لكنه مليء بالسلطة والجمود:

- اجلسا.

تبادلا نظرات سريعة، ثم جلسا أمامها، وقلوبها تدق بوتيرة مُتسارعة. ليتساءل بعدها جارو:

- هل ستأتي آرورا؟

ابتسمت الساحرة ببرود، وكأنها تستمتع بمفاجأتهم، وقالت بنبرة لا تحمل أي تردد:

- أنا آرورا.

ساد الصمت للحظة، لكن تلك اللحظة كانت كافية لجارو وجوناين ليُدركا مدى غموض المرأة التي أمامهما. تابعت آرورا:

- والآن أخبراني، ما الذي جلبكما إلى جزيرة غوريه؟

أخرج جارو بهدوء رسمة قديمة للخاتم، ثم ناوَلها إلى آرورا بحذر.

نظرت آرورا إلى الرسمة بعينين ضيّقتين، تدرس التفاصيل الدقيقة التي نُقِشت بعناية على الورقة. كان الخاتم مرصعاً بجوهره سوداء لامعة، محاطاً بنقوش الأفاعي بأعين من الحجر الأحمر.

كسر جارو الصمت بنبرة جادة، وهو يراقب رد فعلها:

- نرغب في العثور على هذا الخاتم. في المقابل، سنقدّم لجزيرة غوريه عُشر الكنز الذي سنكتشفه بواسطته.

- بل ريع الكنز.

قالتها بصوت حازم كأنها لا تريد النقاش..

ثم ما إن أوما برأسه مُوافقاً حتى رفعت آرورا نظرها ببطء من الرسمة، وعيناها تلمعان ببصيص من الفضول المكبوت. كانت تتفحص كل خط وكل تفصيل. ثم بعدها حوّلت نظرتها الحادة نحو جوناين، التي بدا عليها الارتباك، محاولات التظاهر بالهدوء باءت بالفشل تحت ضَغَط النظرات الثاقبة للساحرة.

ابتسمت آرورا ببطء، وكأنها توصلت إلى شيء عميق، وقالت بنبرة
مُفعمّة بالغموض:

- لماذا قطعت كل هذه المسافة، والإجابة تستطيع الحصول عليها
من التي بجانبك؟

أصابت كلماتها جارو كضربة غير متوقّعة. نظر بسرعة نحو جونايشن،
التي بدت ملامحها مليئة بالخوف والتردد. كانت تعلم شيئاً، لكنه لم يكن
على علم به. تساءل بصوت هادئ، لكنه مليء بالترية:

- ماذا تقصد، جونايشن؟

تجمّدت جونايشن للحظة، وكأنها كانت تقاتل بين الاعتراف والحفاظ
على سرّ دفين. وأخيراً، همست بصوتٍ مكسور:

- لم أرد أن أصدّق، عقلي كان يرفض قبول الفكرة... كنت أظن أنني
أتوهم، أنني أخلط الأمور. لم أعتقد للحظة أنك تبحث عن ذات الخاتم
الذي تمتلكه تلك المرأة.

لم يكن جارو قادراً على استيعاب ما قالت، وكان الشك يتسرّب إلى
أعماقه، لكنه قبل أن يتمكن من طرح أي سؤال آخر، تدخلت آرورا
بصوتٍ واثق:

- الخاتم الذي تبحث عنه... يوجد في يد ساحرة أدغستري. التي
هي، بالمناسبة، عمّة هذه الفتاة التي تجلس بجانبك الآن.

كانت كلمات آرورا كالصاعقة التي هبّت على جارو، وربما حتى
على جونائين أيضا.

كل ما فعله وقتها، هو النهوض رغبة بالرحيل، لتقول له:

- عليك الوفاء بوعدك، ربع كنتز باربام، وإلا ستُصيبكم جميعا لعنة
ساحرات غوريه.



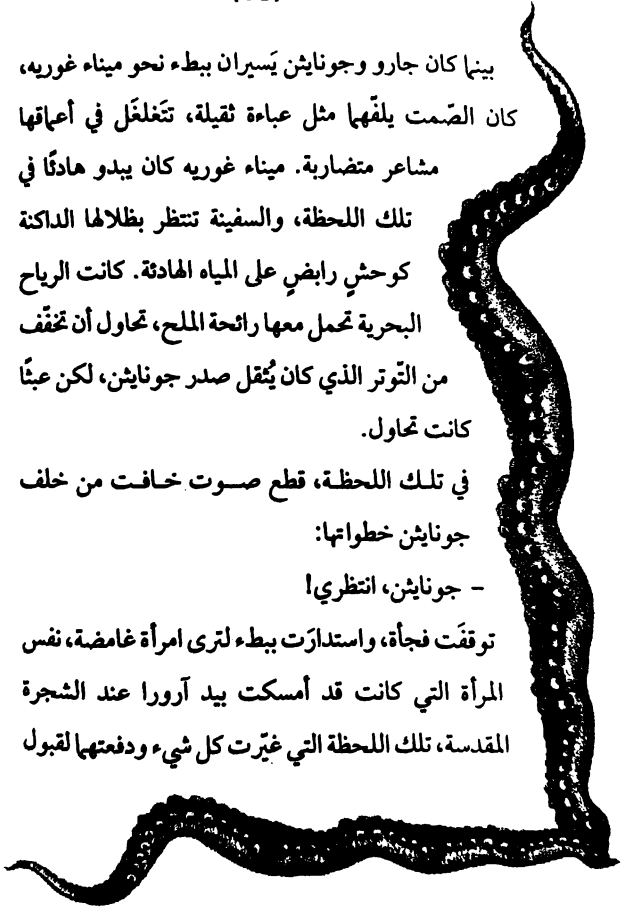
(15)

بينما كان جارو وجونايشن يسيران ببطء نحو ميناء غوريه،
كان الصمت يلفهما مثل عباءة ثقيلة، تتغلغل في أعماقها
مشاعر متضاربة. ميناء غوريه كان يبدو هادئاً في
تلك اللحظة، والسفينة تنتظر بظلالها الداكنة
كوحشٍ رابضٍ على المياه الهادئة. كانت الرياح
البحرية تحمل معها رائحة الملح، تحاول أن تخفف
من التوتر الذي كان يُثقل صدر جونايشن، لكن عبثاً
كانت تحاول.

في تلك اللحظة، قطع صوت خافت من خلف
جونايشن خطواتها:

- جونايشن، انتظري!

توقفت فجأة، واستدارت ببطء لترى امرأة غامضة، نفس
المرأة التي كانت قد أمسكت بيد آرورا عند الشجرة
المقدسة، تلك اللحظة التي غيرت كل شيء ودفعتهما لقبول



خدمتها. خطوات المرأة كانت هادئة وواثقة، وكأنها تحمل معها ألف سرّ في عينيها.

حين اقتربت منها، ابتسمت وقالت بلطف:

جونائش... ابنة كاساندر، أليس كذلك؟

تفاجأت جونائش، قلبها تسارع، كيف تعرف هذه المرأة والدها؟
فسألتها بحدّة ملؤها القلق:

- كيف تعرفين اسم والدي؟!

ابتسمت المرأة ببرود، ثم همست وهي ترفع حاجبيها بخفة:

- ساحرة، هل نسيت؟

صمتت للحظة قبل أن تكمل بصوت أكثر دفئاً:

- أنا رونا... التقيت بوالدك قبل سنوات. كان هو السبب في نجاتي من الموت.

جونائش ارتبكت، مشاعرها تضاربت بين الدهشة والألم، تذكّرت والدها ووالدتها اللذين فقدتهما منذ سنوات طويلة، فسألت بصوت سُخْتِيْق:

- والدي... مات بالطاعون. في تلك الجزيرة البعيدة، هو وأمي.

ملاحح رونا تغيرت، الحزن ارتسم على وجهها، وكأنها تسترجع
ذكرى مؤلمة. قالت بهدوء:

- أعلم ذلك... علمت بعد سنوات مما حدث، عبر أولئك الذين
أخدمهم.

رونا تقدّمت خطوة أخرى، وأمسكت بيدي جونايثن برفق، عيناها
كانت تحمّلان وعدًا غير منطوق. قالت بصوت يشوبه الحنان والصدق:

- سأكون دائمًا هنا لمساعدة أبناء كاساندر، مهما حدث، حتى لو كان
ما تسعين له يُعارض كل مبادئي... تذكّري هذا دائمًا.

قبل أن تتمكّن جونايثن من الرد أو حتى استيعاب تلك الكلمات
الغريبة، لاحظت حركة أشخاص قادمين من نهاية الزقاق. وقبل أن
تستطيع حتى أن تسأل أو تستفسر، رونا اختفت في الهواء، وكأنها لم تكن
سوى وهم. تركت جونايثن تقف هناك، مشدوهة وعاجزة عن الكلام،
كلمات المرأة الغامضة لا تزال تتردّد في أذنيها، وعيناها تبحثان عن تفسير
لما حدث.

عندما صعدا على متن السفينة، كان الجو مشحونًا بانتظار الإجابات.
أحد القراصنة، والذي كان يُدعى بوقا، تقدم نحوها بخطوات سريعة،
عيناه تلمعان بشوقٍ لمعرفة مصير المهمة. سألهما بلهفة، غير قادر على
إخفاء حماسه:

- ماهي الأخبار أيها القبطان؟

توقّف جارو للحظة، التفت ببطء نحو جونايشن، كما لو أنه يبحث
عن إجابة في وجهها المُرهِق. شعر بثقل الحقيقة التي عرفها مؤخرًا، أن
جونايشن، من عشقها منذ نُعمت أظافرها تُخفي خلف مظهرها البريء
سرًا تُخافه، مما جعلها ترضى بمواجهة ساحرات غوريه عوضا عنه.

نظرت جونايشن إليه بعينين مرتجفتين، تتساءل عما إذا كانت يجب أن
تتحدث، لكن الكلمات لم تجد طريقها إلى شفيتها. كان خوفها من
العواقب يجعلها تلتزم الصمت.

ودون أن ينطق جارو بكلمة، استدار فجأة وترك الجميع خلفه.
خطى بخطوات ثقيلة نحو قُمرته، كل خطوة كانت كأنها تحمل ثقل العالم
بأسره.

فتح باب قُمرته ودخل، مغلقًا الباب خلفه بهدوء، وكأنها يريد
الانعزال عن كل شيء وعن الجميع. كان يشعر بالحاجة إلى مواجهة
أفكاره وحده، بعيدًا عن أعين الطاقم الذي ظل يُراقبه في حيرة.

في الخارج، كانت الأمواج تضرب جوانب السفينة بلُطف، كأنها تُهددها. لكن داخل السفينة، كان الصمت مشحونًا بالأسئلة التي لم تجد إجابة. بوقا وأحد القراصنة الآخرين تبادلنا نظرات مترددة، وكأنهما كانا يحاولان فهم ما حدث للتو.

بوقا، الذي لم يستطع كَبِّح فضوله، سأل جونايشن بصوت منخفض:

- لماذا هو بهذا الحال؟ ماذا حدث على الجزيرة؟

نظرت جونايشن إلى الباب المغلق، ثم تحركت باتجاهه دون أن تُجيب بوقا بأي كلمة.

كان وجه جارو عابسًا، تنعكس ملامحه المتجهمة في زجاج النافذة، حيث يحدّق بهدوء نحو البحر الممتد أمامه. الأمواج كانت ترتطم بالسفينة بخفة، وكأنها تهمس له بأسرارها العميقة. أخذ جارو نفسًا عميقًا من غليونه، مفرغًا سحبًا من الدخان الكثيف، وهو يراقب الأفق الذي بدا بلا نهاية.

ما إن أغلقت جونايشن البوابة خلفها بحذر، حتى قالت بصوتٍ متردد، محاولة أن تُبدي اعتذارها:

- اعتذر عن عدم إخبارك، لكنني لم أكن متأكدة أنه ذات الخاتم.

ظلّ جارو يحدّق نحو البحر دون أن يلتفت إليها، سحب نفسًا آخر من غليونه، قبل أن يجيب بصوت هادئ، ولكنه محمّل بالعتاب:

- لم أغضب من هذا الأمر، رغم أن إفصاحك عنه مبكراً كان يمكن
أن يجمينا من لعنة السحرة، لو لم نقسم الكنز كما وناهم

توقف لبرهة، وكأنها يقيس كلماته بعناية قبل أن ينطق بها، ثم انصاف
بصوت أكثر عمقا، مشوباً بخيبة الأمل:

- ما أغضبني حقاً، جونايشن، هو الشعور الذي تملكني فجأة...

ثم واصل في حزن:

- الشعور بأنني لا أعرفك كما كنت أعتقد. وكأنك تخفين عني
الكثير.

كانت جونايشن تشعر بثقل كلماته وهي تسرب إلى قلبها. تقدمت
ببطء نحوه، محاولة أن تجد الكلمات المناسبة لتفسير ما كان يدور في
ذهنها. قالت بصوت خافت، يكاد يكون همساً:

- لم أكن أريد أن أخفي شيئاً عنك.

ثم واصلت في رهبة:

- كنت خائفة، خائفة من الحقيقة التي لم أكن أريد أن أصدقها،
خائفة من أن أفقد ثقتك بي.

أدار جوار رأسه ببطء، ليلتقي بنظرها. كانت عيناه مملوئتين مزيجاً من
الحزن والغضب، لكن في عمقها كان هناك شيء آخر... شيء أشبه
بالخذلان.

قال بصوت هادئ لكنه يحمل الكثير من المعاني:

- الثقة يا جونايشن ليست شيئاً يُعطى ثم يُسلب... إنها شيء يُبنى
ببطء، حجراً فوق حجر. لكن ما حدث اليوم هدم جزءاً من هذا البناء.
هل يمكنك إصلاحه؟

كانت كلمات جارو كخنجر يغمس في أعماق قلبها، ارتعشت شفاتها
قبل أن تقول:

- سأحاول، سأفعل كل ما بوسعي لإصلاح ما تضرر. لكنني أحتاج
أن تفهم... أن تفهم أنني لم أقصد إيذاءك.

عاد جارو لينظر إلى البحر مرة أخرى، حيث كان الصمت الذي
خلفه ثقيلًا، كتعبير عن رغبته في إغلاق الحديث. جونايشن وقفت خلفه،
شعرت ببرودة الصمت تتسلل إلى قلبها، ووجدت نفسها حائرة بين
الخروج والبقاء. كان عقلها مزدحمًا بالأفكار والندم، لكنها شعرت بأن
هناك شيئاً آخر يجب أن يُقال، شيئاً أعمق من مجرد اعتذار.

أخذت نفساً عميقاً، محاولة أن تجمع شتات شجاعتهما، ثم نظمت
بصوت يحمل بين طياته رهبة لم تستطع إخفاءها:

- أخاف العودة إلى أدغشترى.

ألك الكلمات، البسيطة في ظاهرها، لكنها مُشعبة بالخوف
وجعلت جارو يلتفت نحوها مرة أخرى. كانت عيناه
مترداتان بفضول غير مُتوقع، كأنها فُتحت أمامه نافذة صغيرة على
عالمها الداخلي الذي لم يكن يعرفه من قبل.

نظر إليها بتركيز عميق، محاولاً فهم ما وراء تلك الكلمات. فواصلت
حربائبن، وصوتها يحمل مزيجاً من الحُزن والخوف:

- أخاف عمتي... وأعلم أن عودتي إلى هناك لن تغير شيئاً. لقد
تَشَّنت إخوتي في أماكن متفرقة من هذا العالم، وكل ما كنت أعرفه... كل
شيء قد انتهى.

كان كلامها مليئاً باليأس، كأنها كانت تعترف بخسارتها الكبرى.
جارو لم يكن يتوقع هذه الكلمات منها، المرأة التي كانت دوماً قوية،
شجاعة، ولا تخشى شيئاً. تلك التي كانت تنظر إلى التَّحديات وكأنها مجرد
أمواج يجب مواجهتها.

تقدم خطوة نحوها، وعيناه تغوصان في عينيها باحثاً عن الحقيقة في
أسمائها. سألتها بهدوء، لكن بنبرة جدية:

- لماذا لم تخبريني من قبل؟ لماذا أخفيت هذا عني؟

أجابت جونائش بصوت مرتجف، وكأنها كانت تُواجه أشباح
ماضيها:

- لأنني لم أكن أريد أن أبدو ضعيفة أمامك، أمام الجميع. كنت
أحاول الهروب من هذا الخوف، من تلك الذاكرة التي تلاحقني. لم أكن
أريد أن أكون تلك الفتاة التي تخشى مواجهة ماضيها... ولكنني الآن، لا
أستطيع الهرب.

نظر إليها جارو لفترة طويلة، كانت عيناه تعكسان مزيجًا من
التعاطف والحيرة. كان يُدرك الآن أن ما كانت تخفيه لم يكن مجرد سر، بل
كان جزءًا من روحها التي كانت تحاول حمايتها بكل قوتها.

قال بصوت هادئ، مُحمل بالصدق:

- نحن جميعًا نخاف يا جونائش. لكن الهروب من الخوف لا يجعله
يزول. علينا مواجهته، مهما كان صعبًا. وإذا كانت العودة إلى أدغستري
هي ما تُثير خوفك، فسنواجه هذا الخوف معًا.

ابتسمت بخُفوت، ونظرت إليه بعيون مليئة بالامتنان، وقالت:

- شكرًا، جارو. لكن يجب أن تعرف... هذه المواجهة لن تكون
سهلة.

أو ما جازو برأسه ببطء متفهما، ثم قال، بلهجة مأوها العزم:

مهما كان، سنواجهه. لن أتركك تواجهين هنا وحداك، جيم يابن.

و، تلك اللحظة، شعر كلاهما برباط جديد يتكوّن بينهما، ليس فقط رباط القبطان وعضوة الطاقم، بل رباطاً يجعل في طياته التفاهم، الثقة، والعزم على مواجهة ما هو آتٍ معاً. خارج الغرفة، كان طاقم القرامنة يتظرون بملامح مليئة بالخيرة. ظنوا أن القبطان لا يرغب بإخبارهم ما عرفه من الساحرات، حيث قال ماران:

- أظنها يتناقشان الآن عن تلك الأسرار التي أخذوها من

الساحرات.. ولكن لماذا لا يناقشها القبطان معنا؟

لُجيب بارثولوميو بغل:

- جازو، يعلن خيانتَه لطاقمه، وأعتقد بأنه يفكر بهذه اللحظة بكيفية

الخلاص منا.

قال بافي مدافعا:

- لا يمكن أن يقوم جازو بهذا الأمر، فأنا أعرفه جيدا، لا بد أن

هنالك شيئا ما قد أثار غضبه.

لم يستمع له الجميع، بل كانت قلوبهم تزداد حقا.



عندما صعّد أندرياس دراقن على سطح السفينة، وقف طاقمه متجمّداً أمامه. كان الجو مُلبّداً بالغيوم، والرياح تعبث بأطراف الأشرطة الثقيلة. كانت نظراتهم مشوية بالقلق والتوتر، خاصة بعدما ألقى القرصان السكير الذي كان يحمله، على سطح السفينة بغير مُبالاة.

تقدّم أندرياس بخطوات ثابتة نحو مقدمة السفينة، وعينه تلمّعان بتصميم لا يتزعزع. عندما استدار لمواجهة طاقمه، رفع صوته بصوت جهوريّ وقاطع:

- سنبحر نحو الغرب، إلى منطقة بوما!

على الفور، ساد صمت ثقيل. تبادل الطاقم نظرات مملوءة بالرّهبة والشك. كانت منطقة بوما معروفة بأنها أرض الموتى؛ مكان أسطوري يُقال إنه ابتلع عشرات السفن وأطقمها في غيابه لا قرار لها. كانت الشائعات تدور حول وحوش بحرية وغابات ضبابية داخل البحر، ولكن أندرياس لم يظهر أي تردّد.

قال أحدهم بصوت متردّد، وهو يتجنّب نظرات القائد:

- يا قبطان... ماذا عن الأساطير؟ يقولون إنه لا أحد يعود من بوما!

أندرياس اقترب من البحار الذي تحدّث، ووضع يده الثقيلة على كتفه بنوع من القوة المُشجّعة، قبل أن يرد بصوت خافت مليء بالثقة:

- الأساطير للجُبّناء.

ثم رفع يديه كأنه يخطب بهم:

- نحن هنا لنصنع تاريخنا، لا لنعيش في خوف من خرافات البحارة. قد تكون يوما خطيرة، ولكننا نحتاج شيئا مهما منها.

رغم كلماته، بقي الخوف يَلُوحُ في أعين البعض. لم يكن من السهل تجاهل القصص التي سمعوها منذ صغرهم. لكن نظرات أندرياس كانت كافية لتُحرك الرغبة في التحدي داخلهم. لقد كانوا قراصنة، والخوف لم يكن في قاموسهم.

وبينما بدأت السفينة تتحرك ببطء نحو الغرب، كان صوت الرياح الباردة يمس بأسرار المنطقة المجهولة، وكأنها تحذّره من المجهول الذي ينتظرهم.

لم يكن أندرياس دراقن يُعير أي اهتمام لمشاعره في تلك اللحظة، كما تجاهل ببرود همسات القراصنة الخائفين التي تعالت حوله، رغم مُحاولتهم إظهار الشجاعة أمامه. كان يعلم جيدًا أن الخوف يتسلل إلى قلوبهم، لكن هذا لم يكن يعني شيئًا له. الساعات مرّت ببطء، ومع كل دقيقة ازدادت برودة الجوّ حتى باتت العظام ترتجف من البرد، والضباب انتشر كالكابوس ليغطي كل شيء، حتى لم يعد بإمكان البحارة رؤية بعضهم البعض.

فجأة، شقّ صوتٌ مُرتجف الصمت، جاء من فوق سلّة الغراب، حيث وقف المراقب محاولاً استبيان أي علامة وسط الظلام الكثيف:

- لا أستطيع رؤية شيء، الضباب كثيف للغاية، أيها القبطان! علينا أن نتوقف حتى يتلاشى!

صوت المراقب كان مشوبًا بالتوتر، لكنه لم يكن مستعدًا للرد الذي جاءه. انفجرَ دراقن بغضبٍ كاسح، وكلماته كانت مثل السهام تخترق هدوء الضباب:

- أيها الأحمق! هل فقدت عقلك؟

ثم واصل في حدة:

- ألم تسمع بما يُقال عن بوما؟ هذه ليست منطقة قد يتلاشى منها الضباب... الضباب هنا لا يزول أبدًا! استمر في مُراقبتك ولا تجرؤ على التفكير بالتوقف.

كلماته كانت مليئة بالتحدي، كأنه يتحدث إلى الطبيعة نفسها، مُتحديًا إياها. الطاقم شعر برهبة شديدة؛ فهموا أن دراقن لم يكن يتحدث عن مجرد ضباب عابر. هذا المكان كان أسطورة، وكانوا يتجهون مباشرة إلى قلبها. ومع ذلك، لم يكن أمامهم خيار سوى اتباع قائدهم، الذي يبدو أن جنون شجاعته يفوق أي خوف قد يشعرون به.

في تلك اللحظة الحرجة، عندما كانت السفينة تتوغل في أعماق منطقة بوما وفقًا للخريطة التي كان دراقن يتفحصها كل بضع دقائق، انبثق فجأة

صوت غنائي ناعم من قلب الضباب الكثيف. صوت انثوي، جميل
الذكور لا يصدق، كأنه لحن من عالم آخر. كانت أنغامه تسري في الهواء
مثل سيم دافى، تحمل في طياتها سحرًا لا يمكن مقاومته.

الغريب أن ذلك الخوف الذي كان متجذرًا في قلوب البحارة بدأ
بتلاشى تدريجيًا. بدلًا من الرهبة، حلّ الإعجاب والدهشة مكانه، وكان
الصوت قد ألقى تعويذة عليهم. واحدًا تلو الآخر، بدأ القراصنة
يتقدمون نحو حافة السفينة، مدفوعين برغبة ملحة لرؤية صاحبة هذا
الصوت الملائكي.

همس أحدهم، بصوت لا يتخلو من الدهشة، وكأنها يعبر عن أفكار
الجميع:

- لم أسمع في حياتي شيئًا كهذا...

ثم أردف في حنين:

- هذا الصوت... إنه عذب كالسما!

كانت عيونهم تبحث بياس عبر الضباب الكثيف، مُحاولين اختراقه
لرؤية صاحبة الصوت الساحر. حتى دراقن، الذي كان دائمًا متيقظًا
ومتحفظًا، وجد نفسه محاصرًا بين رغبة الاستماع وصوت تحذير داخلي
يحاول إخباره بأن هذا الجمال لا يُمكن أن يكون بريئًا.

لكن الصوت استمرّ في نَسْجِ سِحْرِهِ، مُتَسَلِّلاً إلى أعماق قلوبهم، وكان كل موجة تضرب السفينة تجلب معها المزيد من اللّحن الذي يجذبهم نحو المجهول. كانت لحظة توقف فيها الزمن، حيث وقع الجميع تحت تأثير سحر الصوت.

رغم الجهود المتكررة لإيقاظ السكير الملقى على سطح السفينة، باستخدام دلاء الماء الباردة التي كانوا يسكبونها على وجهه، لم يُبد أي استجابة. لكن ما لم تستطع المياه فعله، حقّقه ذلك الصوت الغنائي الساحر. استيقظ السكير فجأة، وكان هذا الصوت قد اخترق غياهب رأسه، ونهض مترنحاً من مكانه. عيناه، اللتان كانتا تغلفهما غشاوة الخمر، تحوّلتا فجأة إلى بؤرتين مضيئتين بالعشق.

انطلق نحو الحشود المتجمعة عند حافة السفينة، يدفعهم بيديه بقوة غير متوقعة وهو يصرّخ:

- أفسحوا لي الطريق، أريد الحصول عليها!

رغم ترنّحه، كان دافعه قويا، فنجح في إزاحة الجميع من طريقه، حتى وقف أخيراً عند الحافة، موجهاً نظراته نحو البحر بعيون مملأها الهوى. ارتسمت على وجهه ابتسامة حاملة، وكانها رأى في تلك اللحظة شيئاً يفوق الوصف. وبصوت مُغَيَّب عن الواقع، همس متعجباً:

- يا لهذا الجمال... هل تريدني مني القدوم إليك؟

قرن القول بالفعل وبدون تفكير رفع ساقه ليتسلق سور السفينة

قائلاً:

- حسناً، حسناً، أنا قادم.

كان على وشك القفز، عندما امتدت يد قوية، أسرعت في الإمساك
مردائه في اللحظة الأخيرة.

دراغن، الذي ظهر كأنه مُنقذ قاتم، سَحَبَهُ بكل قوة وأسقطه على
سطح السفينة بقسوة، عاقداً حاجبيه بغضب شديد. كان وجهه مشدوداً،
وعينه تلمعان بالتحذير، بينما صوت السكير الضعيف لا يزال يتردد في
أهواء، ثم عاد لنومه وكأنه لم يفعل شيئاً.

نظر دراغن إلى طاقمه بنظرة صارمة مليئة بالتحذير، وقال بصوت
جاف ومليء بالسلطة:

- لا تنجروا وراء ما تسمعون! هذا ليس جمالا، إنها لعنة
المتحوّلات. هذه الأصوات هي أفخاخ، تجذبكم إلى موتكم. لا تسمحوا
لها أن تسلب عقولكم!

قالها وهو يلطم الرجال بيديه ويدفع بعضهم الآخر حتى ذهب
السكره وجاءت الفكرة برؤوسهم فاستمت أحداقهم في ذهول، عاودت
مخاوفهم تطفو إلى السطح مجدداً وهم يعيشون جزءاً من تلك الأساطير
التي كانوا يسمعون عنها

في تلك اللحظة، عندما كانت أعين الجميع ما زالت مُحدّقة في السكّير
المستلقي على سطح السفينة بعد. تدخل دراقن، تحوّل الصوت الغنائي
الساحر فجأة إلى ضحكات شيطانية مشؤومة، ضحكات ارتجفت لها
أرجاء السفينة.

هنا بدأت السفينة، التي كانت تسبح في بحر الضباب، تترنح بشكل
مفاجئ، كأنها فريسة تحت هجوم شيء غير مرئي. تمايلت يميناً ويساراً
بقرة كادت تُطيح بالقراصنة من أماكنهم، والألواح الخشبية تحت
أقدامهم صرخت بصوت مخيف مع كل اهتزاز. العتمة ازدادت كثافة،
والضباب كأنها بات يتغلغل داخل نفوسهم ليعمي أبصارهم.

صوت هدير عميق، مثل تحطم الأمواج العاتية، ارتفع من أسفل
السفينة، تبعته ضربات هائلة تُشبه قبضات جبارة تمزّ الهيكَل من أسفل.
كان واضحاً أن هناك شيئاً، أو أشياء، تحاول قلب السفينة.

ارتفعت أصوات القراصنة المذعورة، بعضهم يصيح في خوف،
وآخرون يحاولون التمسك بما استطاعوا من الحبال والألواح، بينما
القبطان دراقن يقف وسط الفوضى، وجهه مشدود بعزم لا يتزعزع.

صرخ دراقن بصوت غاضب يُعانتق أصوات الفوضى المحيطة:

- اثبتوا في أماكنكم! لا تدعوا هذا الضباب اللعين يسلب عقولكم!

تجهزوا للدفاع عن السفينة، أي شيء يقترب من حوافها، اقتلوه بلا رحمة!

كانت كلماته قوية وقاسية، لكنها كانت ما يحيا به الطاقم الناجية.
... الكابوس.. فبدأ وكان غضب دراقن نفسه كان يخرج الناس إلى
شراصر في الضباب.

ومع كل ضحكة ساخرة قادمة من أعماق الظلام، كان الأمل يتراجع
حصرة إلى الخلف، ليحل محله الخوف من مواجهة ما لا يمكن إتيته،
رئكة يشعرهم بوجوده القاتل. السفينة بدت وكأنها تقاتل للبقاء على قيد
الحياة، تقاوم الانقلاب على نفسها وسط عاصفة من الرعب.

وسط عاصفة من الصراخ والأوامر، كانت السفينة تتمايل بعنف،
حتى أن الأمواج بدت وكأنها تحاول اقتلاعها من البحر نفسه. كل
فرسان أمسك سلاحه بإحكام في يد واحدة، بينما الأخرى تشبث بشدة
بحواف وأعمدة السفينة، كأن حياتهم معلقة على تلك اللحظات. كانوا
مثل أسود غاضبة، تستعد للقفز في أي لحظة، بينما القطرات المألحة من
المحيط تلسع وجوههم وتغرق ملابسهم.

في تلك الفوضى، كان الرجل السكرى ملقى على سطح السفينة،
يتأرجح مع كل اهتزاز كدُمية خرقاء، يصطدم رأسه بالحواف الخشبية،
بينما صوت ارتطامه يكاد يضيع وسط دوي الأمواج وهدير الرياح.
فجأة، فتح عينه ببطء، وكأنه استيقظ من حلم غريب. حاول أن
يسنوعب ما يجري حوله، بعينين نصف مفتوحتين. كل شيء كان يتحرك

بسرعة حوله، أشخاص يركضون، صرخات تتردد في الهواء، لكنه لم يتمكن من فهم شيء. حاول أن يصرخ على أحدهم، أن يفهمه ما يحدث، لكن ردهم كان صمتا قاسيا، أو تجاهلا. كان وجوده مجرد تفصيل غير مهم في ملحة عظيمة تدور أمامه.

وأخيرا، حاول الوقوف بترنح على قدميه، موجهها صوته المبحوح إلى أحد الرجال:

- ما الذي تفعلونه هنا؟! أين أنا بحق الجنحيم؟

لكن الرد كان نظرة عابرة، ثم عاد الرجل إلى ما كان يفعله، متجاهلا السؤال وكأنه لم يسمعه قط. لم يكن هناك وقت للكلام، فقط للنجاة من مصير بدا وكأنه يترتبص بهم جميعا.

خف الضباب، وبدأت العيون ترى ما أمامها ولو بشكل جزئي...

ثم فجأة، سكنت الاهتزازات وتوقفت الضربات على بدن السفينة تماما، كما لو أن الرياح قد اختفت من عالمهم. كان الصمت العميق يملأ المكان، مترافقا مع توقف الصوت الغنائي المميز الذي كان يملأ الأجواء قبل لحظات. وسط هذا السكون، لم يكن هناك سوى صرخات القرصان السكّير الذي كان يصرخ بأعلى صوته، مدويا في فضاء الهدوء.

- أخبروني جميعكم، ما الذي يحدث هنا؟ كل ما أتذكره هو أنني كنت في جزيرة كورسيكا بين الكثير من الحسناوات، فما الذي جلبني إلى هنا؟

كانت كلماته تتردد في الأفق، في ظل الارتباك الذي خيم على الطاقم. كان الجميع يراقبونه بصمت، يتخذون مواقع خلف حواف السفينة، كل منهم يحاول أن يجد ملاذًا من الهدوء الذي سرعان ما سيتحوّل إلى كارثة. دراقون، الذي كان يبدو عليه القلق، حاول إسكاته بإشارة صامتة، لكن دون جدوى. حينها رأى السكير تعبيرات دراقون الغاضبة، صرخ مُناديا:

- دراقون! كم مرة عليّ أن أخبرك بأنني أريد معرفة وجهتنا قبل القيام بها، لا بعدها!

لم يكد دراقون يفتح فمه ليخبر، حتى حدث شيء غير متوقع. خرج مجسّ غريب، من أعماق البحر، يتجه نحو سطح السفينة بسرعة مرعبة. الجميع شعروا بهالة من الرعب، بينما كان المجسّ يتقدم نحو السكير الذي لم يتوقف عن الثرثرة.

في لحظة مذهلة، اخترق المجسّ العملاق جسده بكل قوة، وأحدث تأثيرًا مروعا. تحت صدمة الجميع، بما فيهم هو نفسه، سالت الدماء من فم السكير، بينما نطق بصوت يائس:

- ساعدوني أرجوكم..

حاول الطاقم الوصول إليه، لكن قبل أن ينجحوا في إنقاذه، سحبته
المجسات بسرعة مُرعبة إلى أعماق البحر. بعدها عاد الهدوء إلى السفينة
من جديد، وكان شيئاً لم يكن، بينما كانت النظرات تتبادل بين الطاقم، في
صمت مُرعب يُرافقه تساؤلات لا إجابة لها.

في تلك اللحظة، اختفى الضباب الذي كان يكتنف السفينة تماماً،
كأنه تمزق بلمسة سحرية. فجأة، اتضحت الرؤية للجميع، وظهرت
الصورة الكاملة لما كان مختبئاً خلف الغموض. انتشر حول السفينة
مشهد مروّع ومُرعب: العديد من السفن المهجورة، تبدو وكأنها شهدت
مئات السنين من النسيان، تكدّست في هذه البقعة من البحر كأشباح
عتيقة.

كانت السفن، ذوات الهياكل الخشبية المتآكلة، والأشعة الممزقة
التي ترفرف مثل شبح الموت، مغطاة بطبقات من الطحالب البحرية
والعفن، وأجزاء منها تتناثر في الماء كالمخلفات الأثرية. جدرانها كانت
تتخللها شقوق عميقة.

الطاقم تفرقت نظراته بين السفن المهجورة بذهول، يتنقلون من
واحدة إلى أخرى، كأنهم يمرون عبر مقبرة بحرية. كانت السفن القديمة
تتعالى بأصوات خافتة، تعود إلى أذانهم كأنين بعيد، كان لكل منها قصة لم
تُرو.

ع: ما استوعب الطاقم ما يحيط بهم، دار حديث متوتر بينهم:

الأساطير صحيحة، لقد قذفنا دراقن نحو التهلكة مجددا...

قال آخر بلهجة مُشوَّشة:

- علينا الهرب من المكان قبل أن تكون نهايتنا كنهاية أصحاب هذه

السفن المنكوبة.

في خِصْمِ تلك الأحاديث، نظر دراقن إلى السفن، نظرة فاحصة.

همست واحدة من الطاقم تُدعى ليلي، حيث توجهت نحو دراقن

الذي كان مشغولا بتفحص المكان:

- دراقن، أعتقد أنه يجب عليك أن تنسى كل ما تسعى للحصول

عليه وأن تغادر هذا المكان. نحن في خطر حقيقي هنا، لا نعلم ماذا

ينتظرنا في هذه المقبرة البحرية.

نظر دراقن وابتسامة غامضة تتسلل إلى وجهه:

- لن أترك مهمتي غير مكتملة، ليلي. يجب أن نحصل على تلك

الدماء، مهما كلف الأمر من تضحيات.

كانت ليلي تطيع دراقن بشكل مطلق، لكنها هذه المرة قالت محتجة:

- هل جننت، دراقن؟

ثم أشاحت بيدها إلى ما حولها مواصلة:

- كيف يمكنك التفكير في الحصول على دماء من مخلوقات لا نعرف

عنها شيئاً؟

بدت الحيرة في وجه دراقن، لكن ابتسامته بقيت ثابتة:

- ليلي، أنتِ تعرفين أن هذه ليست بالمهمة العادية. إن الدماء التي

نبحث عنها تحمل قوة نادرة، تضعف الشياطين. لا يمكننا التراجع الآن.

لكن ليلي، التي لم تعد قادرة على كبح مشاعرها، صرخت بلهجة مليئة

بالدُّعر:

- وإذا كان الثمن هو حياتنا؟!؟

ثم عاودت تشير حولها:

- انظر حولك، كل ما نراه هنا هو دليل على أن هذه السفن تمثل نهاية

كل من حاول المضي قدماً في مثل هذه المهمة. هل تريد أن تكون أحدهم؟

تجمّد دراقن لبرهة، وكأن كلماتها لامست نفسه، لكن سرعان ما عاد

لموقفه الحازم، وقال بصوت هادئ رغم التوتر:

- الرحيل الآن ليس خياراً، لن أعود دون أن أحقق هدفنا.

، ذات نبرة ليلي تتغير، لتقول في برود:

إذا كنت مصممًا على المضي قدمًا، فكن مستعدًا لمواجهة كل ما

سبباني.

كان دراقن يحاول بكل جهد أن يهدئ ليلي، وهو يتحدث بنبرة

متوترة:

- ليلي، يجب أن تبقي هادئة. هذا النقاش لن يقودنا إلى أي مكان،

نحن بحاجة للتفكير بهدوء.

لكن صوت ليلي يعلو مع كل لحظة تمر:

- دراقن، لا أستطيع أن أظل هادئة، لا أستطيع أن أكون جزءًا من

هذا الجنون! نحن نواجه مخاطر لا يمكن تصوّرها، وكل ما تهتم به هو

تحقيق هدفك!

كان النقاش بينهما يتصاعد في الفضاء الصامت، بينما كان الطاقم

ينظرون إليهما بقلق. لكن المفاجأة كانت على وشك أن تضرب بقوة. في

تلك اللحظة، ظهرت المجسّات من جديد، لكن هذه المرة كان عددها

أكبر وأسرع. كانت تتحرك نحو السفينة وكأنها أشباح قادمة من جهنم.

لم يكن هناك وقت للتفكير. رأى دراقن المجسّات تتقدم نحوهم،

وعيناه تتسارعان في البحث عن سُبُل الإنقاذ. وعندما رأى المجسّات

تتجه مباشرة نحو ليلي...

بسرعة البرق، اندفع نحوها، وشدّها بقوة من مكانها، بينما كانت
المجسات على بعد لحظات من الوصول إليها. دفعها نحو أرض السفينة،
فأسقطها بقوة، بينما هو نفسه ألقى بجسده فوقها لحمايتها.

في اللحظة التي سقطت فيها ليلي على سطح السفينة، ضربت
المجسات المكان الذي كانت تقف عليه بقوة رهيبية. صرخ الجميع في
صدمة، وأصوات صرخاتهم تداخلت مع صوت ارتطام المجسات.

كانت المجسات تحترق السطح وتترك خلفها أثراً من الخشب المتناثر
والشظايا المتطايرة. وعندما رفع دراقن نظره، رأى المجسات تنسحب
بسرعة، وكأنها عادت إلى الظلام الذي أتت منه.

نظر إلى ليلي التي كانت تتنفس بصعوبة تحت جسده، وعيناه مليئتهما
القلق. قال بصوت خافت لكن حازم وقد وضع إصبعه على فمها:

- عليك أن تهديني، إيتاك والصراخ مجددا.. هل أنت جاهزة!

أومأت برأسها رغم الرعب الذي يتخلل كل جزء من ملامحها، ليُبعد
يده عنها.

بدا على ليلي أثر الصدمة، لكنها نظمت بصوت مبحوح:

- شكرا، دراقن.

نظر الطاقم بعضهم إلى بعض، والقلق يعمّ أوجهم..

كانت أنظار أندرياس دراقن تتعلّق بالسفينة القريبة، كانت مهجورة
منزل، غيرها، تعلوها آثار الزمن وتملأها الرياح الباردة التي تحمل عبق
بحر والصدأ. تلك اللحظة، كان العالم من حوله صامتاً، وكأنها البحر
حسب أنفاسه بانتظار قراره. فكرة جنونية لمعت في ذهنه، فكرة قد
تؤذي المرآين إذا ما نجحت، سيحافظ على سفينته وطاقمه، بل وربما
يخرج بمعينته التي قدّم لأجلها.

أدار أندرياس دراقن رأسه ببطء نحو ليل، مساعدته الوفيّة، التي
كانت تُراقبه بقلق، عيناها تتساءلان بصمت عن القرار الذي سيّخذه.
نظر إليها للحظة طويلة قبل أن يتحرك نحو الحبال المربوطة بالقارب
انصغير، جذبته بقوة فقطع الحبل، ليهوي القارب في الماء بضجّة صغيرة،
تحرك بعدها نحو الحافة قائلاً بلهجة قاطعة:

- سأترجّه لتلك السفينة بمفردي. استعدّوا للرحيل بالمجاديف
الكبيرة أقل السفينة بمجرد عودتي.

بدأ التوتري يتصاعد بين أفراد الطاقم، حتى انفجر أحدهم متلعثماً:

- وماذا إن لم تُعدّ؟!

توقف دراقن عند حافة السفينة، نظر إلى الطاقم بابتسامة صغيرة:

- ساعة واحدة. إن لم أعد، اهربوا من هذا المكان دون أن تلتفتوا

خلفكم.

لم يترك لهم مجالاً للتفكير أو الاعتراض. قفزَ إلى القارب الصغير
بمهارة، وما إن أمسك بالمجدافين استعداداً للتوجه إلى تلك السفينة...
حتى قفزت ليلي بجانبه إلى القارب، لتجلس قبالة وسط تعجبه. نظر
نحوها بدهشة، لكنها كانت قد عقدت العزم في عينيها وقالت بصوت
يملؤه الإصرار:

- لن أتركك وحدك، أبداً.

رأى دراقن في عينيها العزيمة ذاتها التي طالما احترمها، تلك العزيمة
التي تجعلها تُخاطر بروحها الخائفة لأجله. ابتسم مجدداً، لكن هذه المرة
بامتنان، وبدأ التجديف.

في عمق البحر، حيث لا صوت سوى همسات الأمواج وتحرك
القارب ببطء وسط الظلام، بدأ السكون يُثقله شعور غريب ومهيب.

فجأة، ارتفعت ضحكات غريبة، مكتومة ومخيفة، تنبعث من كل
اتجاه، كأنها تراقبهم من الأعماق الغامضة، تلفهم من اليمين واليسار.

كلما ازداد الظلام من حولهم، كلما توترت الحواس، وأصبح الهواء
أثقل، مملوءاً بشيء غير مرئي يترصد بهم. كان أندرياس يشد قبضته على
المجداف، يحاول التركيز على وجهتهم، لكن قلبه كان ينبض بسرعة.
شعر أن هناك عيوناً في الظلام، تراقبهم.

في تلك اللحظة، انحنّت ليلي نحوه، همست بصوت منخفض بالكاد

بسمعه:

- ذلك الكائن... ظننتُ أنه سيهجم علينا، لكن لا أثر له.

صوتها كان ممتزجًا بالخوف والتوتر، كأنها تخشى أن تحدث بصوت عالٍ فيستدعي ذلك الكائن من الأعماق. نظر أندرياس إليها بنظرة حازمة، ثم أخذ نفسًا عميقًا، قبل أن يهمس لها بصوت يشوبه الخذر:

- لا بد أن المتحوّلات يَمنعنه من الهجوم بهذه اللحظة، حافظي على هدوئك، واستدعي لأي شيء.

كانت تلك اللحظات التي تفصل بين الحياة والموت، بين الظلام والنور. أصوات الضحكات لم تتوقف، لكنها بدأت تتحوّل إلى صدى بعيد، كما لو أن تلك المخلوقات تتلاعب بهم، تختبر صبرهم، وتقرر مصيرهم.

ما إن اقترب القارب بما يكفي من السفينة حتى وقف أندرياس دراقن بحدّر، عضلاته مشدودة وكأنها تستعد لآخر خطوة في مغامرة شغوفة بالمخاطر. بيد مُتمرسّة، قبض على خطاف معدني مربوط بحبل طويل، ثم ألقي به بكل قوته نحو الأعلى. ارتطم الخطاف بالسفينة المهجورة بصوت معدني حاد قبل أن يثبت نفسه بإحكام على أحد حوائفها.

انتظر لحظة، عيناه لا تفارقان الحبل وهو يشده ليختبر قوته وثباته ثم أدار بصره حوله ليتأكد من أن صوت الإرتطام لم يجلب تلك المجسات اللعينة، عندما شعر بالاطمئنان أدار رأسه نحو ليلي التي كانت تراقبه قام بتثبيت الطرف الآخر من الحبل في قاربهم الخشبي الصغير، مؤمّناً موقعهم على الماء.

ثم نظر إليها بابتسامة جريئة مليئة بالإثارة والتحدي، وقال:

- هيا بنا.

كل ما فعلته هو النهوض من مكانها، والتأكد بأنها تحمل كافة أسلحتها التي قد تحميها من غدر المجهول، ثم تبعت دراقن بصمت، حيث عيناهما مشدودتان نحو الأعلى.

عندما وطّئت أقدام أندرياس دراقن وليلي سطح السفينة المهجورة، شعرا بشعور غريب يتسلّل داخل أعماقهما. حيث كانت السفينة تقبع في صمت مهيب، وكأنها معلقة بين الحياة والموت، تشهد بقاياها على قرون من الإهمال.

الخشب الداكن المتعفن، الذي كان يوماً ما صلباً وقوياً، أصبح الآن هشاً، مغطى بطبقات من الطحالب والصدأ، تكسوها خيوط العنكبوت التي تمتد كالشراك عبر كل ركن وزاوية. الألواح تحت أقدامهم أصدرت أنياباً كثيباً مع كل خطوة، وكأنها تشكو من ثقل الزمن الذي مر عليها.

الأضواء الساحبة، القادمة من الفتحات الصغيرة في سطح السفينة، ألقّت بظلال مخيفة على الجدران المتصدعة، بينما كان الهواء داخلها مشخن بالرطوبة الممزوجة برائحة البحر. الدرجات المؤدية إلى الأسفل كانت مغطّاة بطبقة سميكة من الأتربة والبقع الطينية، متشابكة مع بقايا حبال متآكلة، بينما عند دخولها إلى ما تبدو كأنها قُمرَة القبطان، وجدا بقايا طاولة كانت تستخدم لرسم الخرائط. الطاولة متآكلة جزئيًا، وتناثر فوقها أدوات مِلاحة قديمة، مثل البوصلات الصدئة والأدوات المكسورة، كما لو كانت قد تركت على عجل. على الجدران، لا تزال بقايا من ألواح خرائط متهالكة معلقة، بعضها ممزّق، والبعض الآخر أصبح مجرد ورق متآكل.

الكنوز والنهب الذي جمعه القراصنة السابقون لم يعد سوى ذكرى بعيدة. الصناديق المفتوحة كشفت عن فراغها، وكأن البحر ذاته قد ابتلع ما فيها. على الأرض، كانت تناثر بقايا هياكل عظمية بشرية، بعضها لا يزال يحمل آثارًا من القماش البالي، تشير إلى أن طاقم هذه السفينة لم يغادرها حيًا.

كل شيء في هذه السفينة كان يشير إلى حياة مضت، حياة مليئة بالمغامرات والأسرار، لكنها انتهت ببطء وصمت. كان الشعور السائد هو أن هذه السفينة ليست مجرد حطام مهجور، بل كانت قبرًا عائماً، يحتفظ بأسرار أولئك الذين لم يغادروا البحر أبدًا.

بينما كانت ليل تسير على سطح السفينة المهجورة، كانت عيناها تنتقلان بسرعة بين الزوايا المظلمة والظلال المتحركة، وكأنها تتوقع هجوماً في أي لحظة. أنفاسها كانت متسارعة، وبداها كانت مشدودة حول مقبض سيفها الذي أخرجه من غمده فور أن وطئت أقدامهم السفينة. همست بصوت منخفض لكنه مليء بالتوتر:

- أتشعر بها أشعر به يا دراقن؟

كان أندرياس دراقن يتفحص السفينة بعناية، كل حاسة في جسده كانت مشدودة ومترقبة، ولكن عينيه كانتا مركبتين على قطعة ورق متآكلة وجدها على طاولة القبطان. رفعها بحذر، وكأنه يخشى أن تنهار بين أصابعه، وعيناه تمعنان النظر في الحروف الباهتة التي كادت تختفي بتأثير الزمن.

سألها بحذر:

- ما الذي تشعرون به يا ليلي؟

نظرت ليلي حولها، كأنها تحاول تفسير الشعور الغريب الذي اجتاحتها منذ أن وطئت أقدامها هذه السفينة. قالت بصوت خافت:

- أشعر بأننا لسنا وحدنا هنا... كأن شيئاً ما يراقبنا من الظلال.

توقف دراقن للحظة، رفع بصره من الورقة ونظر حوله، ثم نطق:

- في الحقيقة، هذا ما أريده.

في تلك اللحظة التي كان فيها الصمت يسود المكان، تردّد سموت غريب ومزعج من أحد جوانب السفينة، كأنه ناتج عن احتكاك شيء غير طبيعي مع هيكلها الخشبي المتآكل. اتسعت العيون في فزع...

كانت أشبه بالمرأة، ولكنها أقرب إلى كوايبس الأطفال مما هي عليه من البشر. بشرتها شاحبة كما لو أنها لم تعرف ضوء الشمس يوماً، تكاد تكون شقافة بدرجة مُرية. ترتدي زياً أسود بالكامل، كأنه جزء من الظلام ذاته الذي يحيط بالمكان، يتمايل مع الرياح البحرية وكأن لها حياة خاصة بها. ولكن ما كان يُثير الرعب حقاً هو تلك المجسّات التي تتلوى أسفل جسدها بدلا من الأقدام. مجسّات سوداء ملتوية، أصغر حجماً من تلك التي هاجمت السفينة من قبل، لكنها لا تقل رعباً. تتحرك بسرعة، تلتف يميناً ويساراً مثل ثعابين جائعة تبحث عن فريسة.

عيونها الحمراء كانت كبيرة جداً، ممتدة بشكل غير طبيعي على وجهها الشاحب، كأنها مرآة لعمق جحيم لا نهاية له. عندما فتحت فمها، ظهرت ابتسامة عريضة مُشوّهة، كاشفة عن أسنان حادة كالسكاكين، تلمع في الضوء الخافت كأنها تنتظر الفرصة لتمزق أول من يقترب.

بتلك اللحظة التي كانت ليلى فيها ترتجف خوفاً، نطق أندرياس بصوت خافت، غير مصدق صحة تلك الأسطورة التي كان يقصّها عليه والده ويشاهدها بهذه اللحظة بعينيه الاثنتين:

- المتحوّلات، حقيقة إذا!

اقتربت ببطء، خطواتها كانت هادئة، وكأنها تستمتع بالنظر إلى ملاحظهما المليئة بالرعب والدهشة قبل وصولها إليهما، ثم نطقت:

- هل هذا هو الترحيب الذي تقدّمونه لأصحاب المكان؟

تحدّثت بصوت ناعم، يتشابه مع الصوت الغنائي الجميل، ويتناقض مع شكلها الخارجي تماماً.

توقفت للحظة، تراقب تأثير كلماتها على أندرياس وليلى المذعورين. كان وجهها يحمل تعبيراً غريباً، ابتسامة مُتعرّفة تمتد على شفّتيها المشققتين، بينما عيونها الحمراء تلمع بلون الدماء.

أندرياس شعر ببرودة تجتاح جسده، ولكن عقله لم يتوقف عن التفكير. كانت الأسطورة حقيقية، نعم، ولكن كيف سيتصرّف الآن؟ كيف يمكنه أن يواجه مخلوقاً كهذا، بشعاً في مظهره، ولكن بصوت ينساب كالموسيقى الناعمة التي تُخدّر العقول؟

أدار ذهنه سريعاً، مُحاولاً استحضار كل ما تعلمه من قصص والده.
ربما كانت هذه المعرفة القديمة هي المفتاح للتعامل مع هذا الكائن
المخيف. لكن الوقت يضيق، والمخلوق بات أقرب مما كان يتخيل، وهو
يعرف أن أي خطأ هنا قد يكون الأخير.

وقف أندرياس بثبات رغم الاضطراب الذي يعصف في داخله.
كانت الكلمات تتعثر على شفثيه، لكن عقله كان يعمل بسرعة متقدمة.
أدرك أن عليه أن يتحدث، أن يقول شيئاً قبل أن يتلعبها الخوف بالكامل.
- في الحقيقة...

بدأ يتحدث بصوت مليء بالجهد، وهو يحاول أن يُبقي نبرة صوته
ثابتة:

- نحن الزوّار هنا، أليست هذه المنطقة ملكاً لك...؟
كانت عيناه تُراقبان المخلوق أمامه بحذر، لكنه شعر بحركة غريبة
حولهُ، حركة لم تستشعرها ليل.
ابتلع ريقه بصعوبة، وعاد بنظره ليلتقي بعيون ذلك المخلوق،
وأضاف ببطء وهو يحاول أن يخفي قلقه:
- أفصد... لكم.

لكن قبل أن يتفوه بكلمة أخرى، بدأ صوت غريب يتردد في الأرجاء، همسات غامضة، أشبه بمزيج من الماء المتدفق وصوت رياح هادئة، لكنها تحمل نغمة شريفة تحت السطح. لم تمر لحظات حتى بدأت تلك الأصوات تتكاثر، تكبر مع كل ثانية، حتى أصبحت مثل جوقة من الأصوات المرعبة.

ومن الظلال المحيطة بالسفينة، بدأت المتحولات بالظهور واحدة تلو الأخرى. عشرات منهن خرجن من العتمة، كأنهن كنَّ يخبئن في جنبات الليل، بانتظار اللحظة المناسبة. كانت أشكالهن تشبه تلك التي ظهرت في البداية، ولكنهن كن أكثر عددًا، وجميعهن يتحركن بتناغم مُريب، كجسد واحد يتجه نحو الفريسة.

أحاطوا بالسفينة من جميع الجهات، كأشباح تُحيط بصيدها الثمين، عيونهم الحمراء تلمع في الظلام، ومجساتهن تتحرك ببطء لكن بثبات، وكأنهن يستمتعن بمراقبة الفزع الذي حلّ على وجهي الاثنين. لا مكان للهرب، لا مفر من المصير الذي يتظرهما.

أندرياس شعر بالعرق يتصبّب من جبينه، لكنه لم يسمح لنفسه بالاستسلام للرعب:

- إذن، أنتن لستن مجرد أسطورة...

قالها بصوت مُتَحَرِّج، وهو يحاول أن يتجاهل النظرات المتوحّشة التي تراقبه من كل زاوية. حين نطقت تلك التي ظهرت أولاً بصوتٍ بارد كنسيم الموت، كانت كلماتها تتسرّب إلى آذانها مثل سمٍ بطيء:

- ما سبّب قُدمكم إلى منطقة بوما؟

كانت كلماتها تتساقط كالصواعق، تشقّ سكون الليل وتغرّس في قلوب الاثنين خوفاً لا يُوصف.

ليلي، التي كانت ترتجف من شدة الرعب، لم تستطع سوى أن تمسك بيد أندرياس، عيونها مليئة باليأس وهي تهمس بصوتٍ مخنوق:

- أعتقد أنها النهاية...

لكن أندرياس، لم يُلقِ لكلماتها أي اهتمام. كان عقله يعمل بتسارع مجنون لبحث عن أي مخرج من هذا المأزق القاتل.

فجأة وبخطوات ثابتة، توجه نحو التي تحدّق به بعينيها الحمراوين المتوهجتين. كلما اقترب، كانت المجسّات حولها تتلوّى بحذر، تستعد للهجوم عليه في أي لحظة، كأنها تشعر بالخطر الذي يمثله هذا الرجل. لكن أندرياس لم يتوقف، كان يعلم أن التراجع يعني الموت، وأن الجُرأة قد تكون فرصته الوحيدة للنجاة.

عندما وصل إلى مسافة خطيرة منها، تقدمت ليليل بضع خطوات ويداها مُتَشَبِّهَتَانِ بسيفها استعداداً للدفاع عنه إن تحوّل أندرياس إلى فريسة تحت أنيابها في أي لحظة. لكنه، وبدون أن يرمش، قال بصوت ثابت مزوج بابتسامة مليئة باللامبالاة، متحدياً عيونها التي كانت مليئة بالحُبث:

- في الحقيقة، أتيت هنا لسبب واحد... أحتاج دماء المتحوّلات، دماءكنّ.

لمعت أعينها بغضب مفاجئ، والمجسّات بدأت تتحرّك بوجهٍ أسرع، وكأنها تتهيأ للانقضاض عليه. لكنه أكمل دون أن يرتجف:

- دماءكنّ هي المفتاح للتحكم بشيطان الخاتم... شيطان باريام، إن كنتِ قد سمعتِ عنه.

عندها، توقفت للحظة، وكأنها تحاول استيعاب ما قاله.

ثم، وبيطء، بدأت الابتسامة البشعة على وجه المتحوّلة تتسع، وكأنهم أدركت مدى جدية الموقف:

- شيطان باريام...

تردّدت كلماتها وكأنها تذوّق طعمها:

- لقد سمعنا عنه، لكن كيف تجرؤ على أن تطلب دماءنا؟

كانت نبرتها تحمل خليطاً من الدهشة والغضب، وكأنها لم تتوقع أبداً
أن يكون هذا الرجل متهوراً لهذه الدرجة.

بينما كانت المجسّمات تُحيط به من كل جانب، أدرك أندرياس أن كل
كلمة تخرج من فمه الآن قد تكون حاسمة، ليس فقط لحياته، بل لحياة كل
من على متن سفينته. كان الوقت قد حان ليلعب آخر أوراقه في هذا اللقاء
المرعب، حيث أخذ أندرياس نفساً عميقاً، وبعينين مليئتين بالثبات
والجرأة، واجه المخلوق المقرب. قال بصوت هادئ:

- لتفكر في الأمر... قطرات بسيطة من دمائكِ تملأ زجاجتي
الصغيرة، مقابل ما جلبته لكن.

لمعت عيون المخلوق بمزيج من الفضول والريبة، وهي تميل رأسها
بوجهٍ طفيف، وكأنها تحاول أن تستشِف ما وراء كلماته:

- وماذا جلبت لنا؟

كان صوتها يحتوي على نعمة من التحدي، مترتبة بأي خطأ يمكن
أن يرتكبه أندرياس.

أندرياس لم يتردد، أشار بيده نحو سفينته الراسية، حيث طاقمه يتظر
في صمت مرعب، دون أن يعلموا بأن قائدهم بهذه اللحظة يفاوض على
أرواحهم:

- عشرين فرداً...

قالها بصوت مسموع للجميع:

- واحد منهم قد أخذتموه قبل أوانه، قد يكون في بطونكم هذه اللحظة. مقابل بضع قطرات من دمائكم، أقدم لكم هؤلاء العشرين كهدية.

كانت كلماته تقطر بالثقة، أما المخلوقات، فقد توقفت لوهلة، مجساتهن تلتف بحذر حولهن، وكأنهن يدرسن العرض. لم يكن من السهل إقناع تلك الكائنات، ولكن أندرياس كان يلعب على وتر حساس: البقاء مقابل التضحية.

- واحد قد أخذناه، ولكننا ما زلنا نرغب بعرض العشرين، دون أن نحسب ذلك العجز معهم، فلحمه لم يكن جيداً، صدقني.

صرخت ليلي وقتها غير مصدقة ما يحدث أمام عينيها، حيث إن قائدها الذي لم يتق بغيره طوال حياتها على استعداد بهذه اللحظة بالتضحية بطاقمه لأجل نفسه فقط:

- أندرياس، ما الذي تفعله!

وقبل أن يجيبها، أمسكتها إحدى مجسات تلك المخلوقات ورفعتهما للأعلى، ثم أكملت الأخرى التي تفاوضه:

- ستكون هذه رقم عشرين، هل أنت موافق؟

في اللحظة التي قررت فيها ليل الهجوم، على المجس الذي يمسك
فأ، ميا، رفعت سيفها عاليًا.

ولكن، قبل أن يكمل السيف طريقه، تحرك مجس آخر بسرعة مفاجئة
كالأنمي، ولفّ حول معصمها. أحاط بها بإحكام، حتى شعرت بعظام
يدها تكاد تتحطم تحت قوته. ارتجفت يدها، وانزلق السيف من قبضتها،
ليسقط على الأرض برنين معدني أجوف، معلنًا عن خيبة أملها. انطلقت
صرخة من أعماقها، صرخة ممزوجة بالألم واليأس:

- اللعنة عليك، اللعنة عليك يا دراغن.

أندرياس، في تلك اللحظة، شعر بضغط اللحظة، لكنه لم يسمَح
لنفسه بأن يظهر أي ضعف. حيث ظلّ مبتسمًا أمام تلك المتحوّلة وكأنه
لا يُبالي إطلاقًا بما يحدث لمساعدته.

كان القمر معلقًا في سماء الليل، يغمر سطح البحر بضياء خافت، بينما
كانت الأمواج تصطدم بجوانب السفينة بهدوء غريب. على سطح سفينة
دراغن، كانت الأجواء متوتّرة كوتر مشدود، وكل نفس يتنفسه البحارة
كان يشغل كاهلهم بالخوف. رانم، أحد القراصنة المتمرسين، كان يُراقب
المشهد بعينين متسعيتين من خلال منظاره الخشبي، الذي عفى عليه
الزمن. ظلّت عيناه معلقة على البقعة ذاتها، حيث كانت ليل تتأرجح في

الهواء، متشابكة في قبضة تلك المجسات التي تنبض بالحياة كأنها جزء من كابوس.

لكن ما شاهده رانم في تلك اللحظة، كان يفوق أسوأ مخاوفه. فبدت المجسات وكأنها تمتد ببطء مُرعب، تلتف حول ليلي، وهي تسحبها نحو مصير مجهول. لم يتمالك رانم نفسه، وكان الصرخة انطلقت من أعماق روحه، ليكسر بها الصمت الثقيل:

- علينا الهرب من هنا، علينا الهرب!

كانت كلماته مشحونة بالرعب، متقطعة كأنفاسه المتسارعة.

التفت أحد القراصنة بجانبه، وهو رجل ذو وجه مُتغصن من القتال والمعارك، ليخطف المنظار من يد رانم المرتجفة بقوة، ثم يحدق من خلاله إلى ما يحدث. كان المشهد أمامه يتجلى بوضوح مُرعب؛ مخلوقات بشعة، متوحشة، تمتد مجساتها كأذرع شبحية تحتق الهواء نفسه. همس بصوت منخفض لكنه مليء بالرعب المكتوم:

- تلك المخلوقات... أصحاب المجسات قد هجموا عليها...

لكن سرعان ما تحوّل الهمس إلى صرخة حازمة، وهو يوجهها نحو رجل آخر كان يقف بالقرب من المجاديف، رالف، الذي كان مكلّفًا بتحريك السفينة عندما تتوقف الرياح عن مساعدتهم. كان رالف

ير تجف، عيناه مُعلقتين على السفينة، حيث يتلاشى القائد دراغن وابل في
كامبوس حي. كانت الرغبة في إنقاذ قائدهم تعصف بالجميع، كان
مشغولاً بالخوف.

- علينا التحرك حالاً من هنا يا رالف!

صاح عليه القرصان بأمر قاطع، وكان الكلمات تحمل ثقل حياتهم
جميعاً. لكن رالف لم يتحرك، بل نظر إلى ذلك المحارب ذي الوجه
المتغضن بعينيه الواسعتين وقال بصوت لا يكاد يُسمع، مُتلعثاً بفزع لا
يمكن احتواؤه:

- ولكن، كيف لنا أن نترك دراغن وابل ونرحل!

حينها، اقترب منه القرصان بقوة وغضبٍ مشوب بالخوف، ممسكاً
بذراعِهِ ليهزّه بعنف:

- هذه أوامر القائد، علينا النجاة بأنفسنا يا رالف!

كان في صوته نبرة لا تقبل الجدل، أمر واجب التنفيذ، لكنه كان أيضاً
مليئاً بالأس الذي يأتي فقط عندما تواجه اختياراً مستحيلاً. كانوا
يعرفون جيداً أن البقاء يعني الهلاك، وأن القائد نفسه لن يتوقع منهم
التضحية بكل شيء.

بينما كانت سفينة دراغن تستعد للانسحاب، تحول الجو على متيها إلى
خليط من التوتر والعزم. كانت المجاديف الضخمة تتلوى فوق سطح

السفينة، متّصلة بعجلة عملاقة في وسط السفينة، عجلة يتطلب تحريكها قوة هائلة لا يقدر عليها إلا القليلون. ومع ذلك، كان هناك رجل واحد فقط يمتلك القوة الكافية لمواجهة هذا التحدي.

رالف، الذي كانت عضلاته مُتفتحة من سنوات العمل الشاق والقتال، كان يقف أمام العجلة العملاقة، وكأنها خصمه الوحيد في تلك اللحظة. نظر إلى العجلة بعينين تحدّقان فيها بتصميم لا يتزعزع، ثم مدّ يديه لتطويق المقابض الحديدية الباردة. كانت أصابعه تتشابك مع المعدن وكأنها جزء منه، وصدّره يعلو وينخفض بسرعة.

صرخ القرصان الذي أمره من قبل:

- تحرك يا رالف! السفينة تعتمد عليك!

كان صوته يحمل مزيجًا من القلق والأمل، وكان كل ما يحدث يتوقف على هذا الرجل الواحد.

بدأ رالف في دفع العجلة بكل قوته، عضلاته تتوتر تحت الضغط الهائل، بينما كانت السفينة تبدأ في التحرك ببطء. كانت الأرضية تهتز تحت أقدامهم، وصوت الاحتكاك بين الخشب والمعدن كان يصدر صريرًا قويًا، ملأ الأجواء برائحة الحديد والعرق. كان الجميع يراقبون بقلوبهم التي تكاد تتوقف عن النبض، عيونهم معلقة على رالف الذي كان يبدو وكأنه يسحب وزن العالم بأكمله وراءه.

مع كل لفة من العجلة، كانت السفينة تزيد من سرعتها، ومع كل دفعة كان رالف يزيد في قوته، كانت الحياة تتدفق مجدداً في شرايين السفينة. كان يعلم أنه إن لم يتمكن من إبقاء العجلة تتحرك، فإنهم سيلقون حتفهم جميعاً. ولكن لم يكن الهروب سهلاً، حيث أن المجسات الطويلة، تلك التي أحاطت بلبلى ودراقن، كانت الآن تتحرك تحت سطح الماء وكأنها تراقبهم، تستعد للانقضاض في أية لحظة.

لم يكن أحد يتوقع أن الصمت المخيف الذي أعقب الهروب الأولي سيتحول إلى شيء أكثر رعباً. السفينة التي كانت قد بدأت تتحرك ببطء أخذت بالانسحاب من خطر الموت، توقفت فجأة كما لو أن يداً غير مرئية أمسكت بها. المجداف الضخمة التي كانت تدفع السفينة بثبات، بدت وكأنها عالقة في قبضة شيء أكبر وأكثر قوة مما يمكن تخيله.

رالف، الذي كان قبل لحظات فقط يجسد الشجاعة والتصميم، وجد نفسه الآن في مواجهة معركة غير مرئية. عضلاته كانت مشدودة، يده تلتف حول العجلة بقوة يائسة، بينما كانت السفينة تتوقف عن الحركة رغم محاولاته. كان العرق يتصبب من جبينه، و صدره يعلو ويهبط بسرعة مع كل نفس يحاول فيه أن يستجمع ما بقي له من قوة.

بصوت متقطع، متعب، بعد محاولات شاقة لتحريك العجلة مجدداً، نطق رالف أخيراً وهو يلهث، صوته مليء باليأس:

- لا أستطيع... هناك شيء، هناك شيء ما عالتى بالمجداف.

كان صدى كلماته يتردد في الهواء الثقيل المحيط بهم، وكل عين على متن السفينة كانت مليئة بالخوف الذي تزايد بسرعة. القلوب بدأت تُقرع كطبول الحرب، تتسارع في إيقاعها، ومع كل لحظة تمر، كان الخوف يتجلى في نظراتهم. لم يكن هذا الخوف مثل أي خوف آخر، بل كان أشبه بالكابوس الحي، الذي يأخذهم إلى حافة الجنون.

ثم، فجأة، عاد الصوت الغنائي. ذلك الصوت الذي كان في البداية ساحرًا وجميلًا، ممتزجًا بأحلام البحارة. لكن الآن، لم يكن الصوت سوى ناقوس الموت، قرعه يُسمع في كل زاوية من السفينة، يشقّ السكون مثل شفرة باردة.

كانت النغمات تتسلل إلى عقولهم كسُم زُعاف، تجعلهم يتخبطون في أفكارهم، يحاولون التمسك بأي شيء قد يمنعهم من الانهيار. لم يعد الصوت غنائيًا، بل كان كئيبيًا، مملوءًا بالوعد بالهلاك. كانت كل كلمة وكل نغمة ترتجف في الهواء، تطرق على أبواب قلوبهم المليئة بالخوف، تتسلل إلى أرواحهم وتزرع فيها رعبًا لا يوصف.

- إنهنّ قادمات...

همس أحدهم، بينما كانت عيناه تحدّقان في الظلام المحيط بالسفينة، وكان المخلوقات المرعبة قد بدأت تتحرك من جديد. كانوا يعلمون أنهم ليسوا وحدهم، أن هناك شيئًا في الأعماق، يتحرك بين الأمواج، يقترب ببطء... ببطء قاتل.

كلما اقترب الصوت الغنائي، كانت قلوبهم تغرق في ظلام أعمق. لم يكن هناك مفر، ولم يكن هناك مهرب. كانت المجاديف عالقة، السفينة محاصرة، والأصوات الشيطانية تغني أغنية الموت.

في اللحظة التي بدأت فيها المجسمات تتسلل على حواف السفينة، لم يكن هناك مجال للتفكير، فقط غريزة البقاء. عيون القراصنة اتسعت من الرعب، وقلوبهم بدأت تدق وكأنها ستنفجر من صدورهم. كان الخطر قريباً جداً، أقرب مما تخيلوا.

- المجسمات! إنها هنا!

صاح أحدهم بصوت مليء بالذعر، بينما كان يشير بيده المترجفة إلى زوايا السفينة من جميع جوانبها، حيث بدأت المجسمات بالظهور.

أمسك رالف بفأسه بقوة، عيناه تحدقان في تلك المجسمات التي كانت تزحف نحوهم بسرعة.

- لنقاتل حتى آخر رمق!

صرخ، وكانت تلك الكلمة كافية لتشعل شرارة القتال.

رانم، الذي كان بجانبه، حاول أن يخفي خوفه بتعبير مليء بالتحدي، وقال بصوت مُرتعش:

- لن نسمح لهم بأخذنا بدون قتال!

لكن صوته كان يعارض تلك القوة الظاهرة في كلماته.

- اهاجموا!

صرخ أحدهم بصوت جهوري، وكان الأمر كصاعقة أشعلت القتال. في لحظة، بدأ القراصنة يهاجمون بكل ما أوتوا من قوة. السيوف والفزوس بدأت ترتفع في الهواء ثم تهوي بسرعة نحو المجسات.

- اقطعوا هذه الأزرع اللعينة!

صاح رالف، بينما كان يضرب بشراسة. كان المجس الذي استهدفه قد انفصل عن جسده في ضربة واحدة، لكن سرعان ما ظهر مجس آخر ليحل محله.

رانم، الذي كان يقف على بعد خطوات قليلة، ضرب مجسًا آخر بسيفه، ولكن المجسّ التفّ حول ساقه بسرعة مذهلة، وبدأ يجذبه نحو الحافة.

- رالف! ساعدني!

صرخ رانم، بينما كان يقاتل بجنون لتحرير نفسه.

- لن أسمح له بأخذك!

هتف رالف، واندفع نحو رانم، مستخدمًا فأسه لقطع المجسّ قبل أن يسحب زميله إلى عمق البحر.

من الجانب الآخر، صرَّحَ قرصان آخر:

- هناك المزيد! إنها تتكاثر!

وكان صوته مملئًا بالرَّهبة. المجسات كانت بالفعل تتكاثر، وبأبى
تخرج من ظلام البحر بلا نهاية.

- إنها لا تنتهي!

قال راتم، وهو يتنفس بصعوبة، عيناه مليتان باليأس.

- سموت هنا، لقد انتهينا.

- ليس إذا قاتلنا!

صاح أحدهم، واندفع نحو مجموعة من المجسات التي كانت تزحف
على سطح السفينة.

- ابقوا في مجموعات! لا تدعوهم يفصلونكم!

كانت الأوامر تخرج منه بسرعة، وكان البحارة يحاولون تنفيذها،
لكن المجسات كانت تتحرك بسرعة لا يمكنهم مجاراتها.

في خضم الفوضى، ارتفعت أصوات المجسات، مُصدرةً صريرًا غبيهاً
كما لو أنها تتواصل فيما بينها. وكأنها كانت تتلذذ برؤية الرعب في عيون
البحارة.

- إنها تلتف حول الحبال!

صرخ بخار آخر، وهو يشير إلى المجسات التي بدأت تتسلق الحبال المتدلية من الصوّاري.

- اقطعوا الحبال!

أمر رالف، وعينه لا تزالان تتفحصان الظلام المحيط بهم، بحثًا عن أي علامة تدل على نهاية هذا الكابوس.

لكن المجسات كانت أسرع، أقوى، وأكثر عنفًا. كلما قطعوا مجسًا، كانت مجسات أخرى تظهر مكانه. وكأنهم في معركة خاسرة ضد عدو لا يعرف الرحمة ولا يشعر بالتعب.

- إنها تلعب بنا!

قال رانم بصوت يائس، بينما كان يحاول ضرب مجس آخر، لكن ضربته أخطأت، وسقط المجس على الأرض دون أن يتضرر.

في تلك اللحظة، عاد الصوت الغنائي مرة أخرى، هذه المرة كان أقرب، وأقوى. لم يكن هناك شك؛ المخلوقات كانت قريبة جدًا. الصوت ملاً الهواء، يخترق عقولهم ويدفعهم إلى حافة الجنون. كان صوتًا ناعمًا ومغريًا، ولكن في الوقت نفسه كان مليئًا بالتهديدات الخفية.

لكن رالف لم يستسلم.

- لا تزال هناك فرصة! قاتلوا! قاتلوا حتى النهاية!

كانت كلماته مليئة بالإصرار، لكنها كانت تَدُوب في الهواء مع تزايد قوة المجسّات.

ومع كل صرخة، كل ضربة، كانت السفينة تتحول إلى ساحة من اليأس والجنون. البحارة كانوا يقاتلون بشراسة، لكن المجسّات كانت أقوى، وأكثر تصميمًا على سحبهم إلى الأعماق. كان القتال مستمرًا، ولكن الوقت بدأ ينفد، والمجسّات كانت تلتف حولهم، تأخذهم واحدًا تلو الآخر.

في وسط الفوضى التي اجتاحت سفينة دراقن، حيث تعالت صرخات القراصنة وهم يُكافحون للنجاة بحياتهم، كان أندرياس يقف بثبات على متن السفينة المهجورة. بجانبه كانت المتحولة الأولى، تلك المرأة ذات المجسّات التي كانت تراقبه بهدوء بارد، وكأنها تقرأ أفكاره. عيناها الحمراء المتوهجة لم تفارقه لحظة، فيما بقي عدد قليل جدًا من المتحولات بالقرب منها، من ضمنهم تلك التي تمسك بلبيل، التي كانت لا تزال معلقة بين الحياة والموت.

بقية المتحولات كنّ قد تركن السفينة واتجهنّ نحو البحر، باتجاه سفينة دراقن. في اللحظة التي لامست فيها أجسادهن الماء، تحولت تلك المخلوقات في غمضة عين إلى أخطبوطات سوداء ضخمة، بشرتها ملساء

ولونها داكن كظلام البحر العميق. أذرعهنّ الطويلة المتعرجة بدأت تتحرك بحيوية، وكان البحر قد أحيا فيهنّ قوّة لم تكن موجودة على اليابسة.

عندما التفت أندرياس ليرى ما يحدث، كان مشهد التحوّل مروّعاً. أخطبوطات عملاقة توجه نفسها نحو سفينته. عيونهم الحمراء تلمّع في الظلام، وكأنهن مخلوقات جهنميّة جاءت من أعماق الجحيم لتجلب الدمار.

- لقد بدأ العرض، أليس كذلك؟

نطق أندرياس بصوت منخفض، مليء بالسخرية، وهو يراقب التحوّل الرهيب الذي يحدث أمامه. ولكن قلبه كان ينبض بقوة؛ كان يعلم أن الوقت يتفد.

المتحوّلة بجانبه نظرت إليه بابتسامة ملتوية، وقالت بصوت هادئ مليء بالثقة:

- ما يُعجبني فيك أنك تفعل أي شيء لأجل ما تريد، وإن كان مقابله أرواح من ساندوك طوال حياتك.

أندرياس لم يظهر أي خوف، بل اقترب منها ببطء، وعيناه مُتعلقتان بوجهها، ثم نطق ببرود:

لتكوني أرحم عليهم مني، وتُعطيني قطرات الدم التي أريدها
وسرّ حل جميعنا وترككم بسلام.

في تلك اللحظة، صرخت ليل المعلقة بين المجسات حيث جذبت
انتباهه:

- أندرياس أيها الحقيّر، سأقتلك.

ثم صرخت بعالي صوتها من شدة الألم، بينما كانت المجسات تضغط
عليها بقوة أكبر.

المتحوّلة لم تحرك ساكناً، فقط نظرت إليه بتحدٍ، ثم أشارت إلى البحر
حيث كانت الأخطبوطات مُتكدّسات بجانب سفينته:

- إذا كنت تظنّ أنك تستطيع السيطرة على شيطان الخاتم، فلنُثبت
لنا قوتك الآن، يا قرصان. إن نجوت من هذه الليلة، حينها فقط
ستسحقّ دماءنا..

صمتت لبعض الوقت ثم قالت بينما مجساتها تلمس وجهه بلُطف:

- ونسيت أن أخبرك، بأنك الضحية رقم 21، فلا أحد يخرج من
بها حياً.

بتلك اللحظة، بدأت المعركة الحقيقية. الأذرع المتلوية بدأت تلتف
حول سفينة دراقن، والقراصنة فوقها كانوا يقاتلون بجنون. السيوف

تقطع، والفؤوس تهوي، لكن المجسات كانت لا تُقهر، وكان البحر يمدّها بقوة لا تنضب. كان رالف ورفاقه يقاتلون بشراسة، ولكنهم كانوا يعلمون أن النجاة ليست مضمونة.

أندرياس، بعينين ثابتتين لم تُبارحا المتحوّلة للحظة، همس بصوتٍ بالكاد يُسمع، مليءً بتهديد قاتم:

- سأنجو، وسأقتلع رأسك ليُزين مقدمة سفيتي.

ما إن نطق بتلك الكلمات، حتى تغيّرت ملامح المتحوّلة تمامًا. تحوّل وجهها الهادئ إلى قناع من الغضب الصارخ، وبدأت عيناها الحمراء وان تتوهجان بحدّة. لم تتردد للحظة، إذ أطلقت مجساتها نحوه كالأفعى، محاولة اختراق جسده والانتقام.

لكن أندرياس، بخفّةٍ ومرونة، قفز من مكانه في اللحظة المناسبة، متفاديًا المجسات القاتلة التي كانت تستهدفه. في حركة سريعة وبارعة، أخرج سيفه اللامع، وبدون تردد، قطع جزءًا من تلك المجسات بقوة، مُحدثًا صريرًا حادًا عندما لامس الفولاذ جلدّها اللّزج.

صرخت المتحوّلة بصوتٍ مُرعب، مزيج من الألم والغضب، كان كفيلا بأن يجعل دماء أي إنسان تتجمّد في عروقه. كانت صرختها كنداء عميق ينبعث من أعماق الجحيم، وجعلت البحر من حولهم يغلي كأنه

يستجيب لأوامرها. عيونها المتوهجة صارت نيراناً مشتعلة، ملأتها رغبة قاتلة في التدمير.

- اقتلوه في الحال!

صاحت بأمر جهنميّ، موجهة كلامها للمتحوّلات اللاتي كنّ مُحِطَنَ بالسفينة من جميع الجهات.

في تلك اللحظة، بدأت المجسّات السوداء الكبيرة تتلوى وتلتف حول أندرياس وليلى، وكأنها أفخاخ محكمة، تحاول القضاء عليهما قبل أن يتمكنّا من الدفاع عن نفسيهما. كل حركة كانت تحمل في طياتها شراسة قاتلة، وكل مجسّ كان يمثل تهديدًا حقيقيًا لحياتهما.

أما على سطح سفينة دراقن، فقد اشتدّ الصراع. القراصنة كانوا يقاتلون بشجاعة، ولكنهم كانوا يدركون أن هذه المرة تختلف عن أي مواجهة أخرى. المجسّات كانت تحيط بهم من كل جانب، تلتفت حول الأسلحة، تسحب الرجال من أماكنهم، وتحاول خنق أي حياة على ظهر السفينة.

أندرياس، بقلبٍ ملئهُ التّصميم، لم يتراجع. كان يقاتل بكل ما يملك من قوة وبراعة، وكان حياته بأكملها تعتمد على هذه اللحظة. وبينما كانت المجسّات تتزايد حوله، كان يقطعها الواحدة تلو الأخرى.

لكن هزيمة المتحوّلة لم تكن سهلة. رغم الألم والغضب، كانت تقاتل
بشراسة تُوازي شراسة أندرياس. كل حركة منها كانت تهدف للقضاء
عليه، لإثبات أنها السيدة هنا، وأن البحر وكل ما فيه ملك لها.

وسط الصرخات، وضجيج المعركة، ورائحة الدم والماء المالح،
كانت هناك حقيقة واحدة تزداد وضوحًا: هذه الليلة لن تكون ليلة
عادية. إنها معركة من أجل البقاء، معركة لا مكان فيها للضعفاء،
وسيكون النصر للأقوى فقط، سواء كان قرصانًا أم مخلوقًا من أعماق
البحر.

صرخت ليلى عليه:

- أيها الأحمق، ناولني سيفي.

في خضمّ الفوضى العارمة، كانت المتحوّلة التي تكبّل ليلى بمجساتها
في حيرة من أمرها، عالقة بين رغبتها في تنفيذ الأوامر التي لم تكن واضحة
تمامًا بالهجوم على دراقن، ورغبة نفسها بالقضاء على ليلى المكبّلة
بواسطتها.

لكن الأمور تغيرت بوجهٍ مُفاجئٍ عندما قفز دراقن، منطلقًا بكل
قوته، مبتعدًا عن إحدى هجمات المخلوقات التي كانت تحاول تدميره.
بحركة سريعة، اقترب من سيف ليلى، الذي كان قد سقط على الأرض،

وامسرتّه بإحدى يديه القويتين. وبراعة فائقة، قذف بالسيف نحو ليلي، الذي طار في الهواء نحوها لئتمسك به.

ليلي، التي كانت تتعرض لضغوط شديدة، لم تتوانَ عن التحرك بسرعة. وبكل حدة، قطعت المجسات التي كانت ملتفة حولها، مما جعل قِطَع المجسات تتساقط على الأرض، مختلطةً بدماء سوداء كانت قد تسربت من جسد تلك المتحولة نتيجة ما فعلته بها. الدماء كانت تتناثر على وجهها، لكنها لم تُعِر اهتمامًا لذلك. كانت عازمة على استعادة قوتها ومواجهة المتحولات بكل شجاعة.

المتحولة التي كانت تكبّل ليلي أصبحت غاضبة بشدة من هذا الانقلاب المفاجئ في الموقف. عيونها تلمع بنار الغضب، وأصوات صرخات القتال أصبحت مزيجًا من الإحباط والجنون. تجاهلت أوامر قائدها التي كانت في خضم معركة مع أندرياس، وركّزت على ليلي التي بدأت تقلب موازين المعركة بوضوح.

أصبح الغضب واضحًا في كل حركة من حركات المتحولة، وسرعان ما أدركت أنها قد تكون الضحية في هذه المواجهة. عندما تمحوّل وجه ليلي من ملامح الخوف إلى قناع مليء بخبث المنتصر.

ابتسمت بمكبر لم يكن موجودًا في وجهها من قبل، وقد أزلت علامات الخوف التي كانت تملأ عينيها. نظرت إلى المتحولة الغاضبة

بسبب خسارتها لبعض مجساتها، وأصوات القتال المحيطة بها تصبح كأنها همسات بعيدة، وقالت بصوتٍ خافت لكنه مليء بالثقة:

- أيتها الغيبات، كل شيء.. كل شيء كان خطةً مدروسةً وأنتنَ الضحايا لا نحن.

كان صوتها كصدى قاتم يتردد في آذانها، مما جعلها تغضب أكثر وأكثر وتُحرك مجساتها بوجهٍ أكثر عدوانيةً، للنيل من ليلي.

بهدوء غير متوقع وسط الفوضى، أخرجت الأخيرة من جيبها مسحوقاً أبيض غامضاً، من جيب بنطالها. ثم سكبته على سيفها، أخذت نفساً عميقاً، وأخذت تدور في مكانها بخفةٍ وسرعةٍ غير عادية. كانت خطواتها تتسم بالثقة والتأهب، متفادية المجسات الحادة بمهارةٍ مذهلة.

مع كل حركةٍ سريعة، كان سيفها يتلألأ تحت ضوء القمر، متماشياً مع رشاقتها القتالية التي بدت كأنها تُحاكي رقصة الموت نفسها. كانت المتحولة، والتي أذهلت بتلك الحركة السريعة، غير قادرة على متابعة سرعتها ومهارتها.

في لمح البصر، قفزت ليلي نحو المتحولة، متجاوزة كل دفاعاتها. ثم غرست سيفها في قلب المتحولة، حيث كان السيف يتسلل عبر لحمها بسلاسةٍ مروعة. بدا الألم واضحاً على وجه المتحولة، ولكن كان قد فات الأوان.

لم تلبث سوى لحظات بسيطة، حتى بدأت المتحولة تنقلص وتنهار،
حسبها يركع على الأرض وسط الحطام الذي كان قد نزل حولها.
وسرعان ما تلاشت حياتها، وسقطت ميتة، تتأرجح على ظهرها، بينما
سارت العيون تُفتَح بدهشة وغضب واضح من باقي المتحولات.

كانت نظرات الغضب والدهشة التي ارتسمت على وجوه
متحولات كإشارة إلى خسارة غير متوقعة. الصدمة كانت واضحة في
كل حركة، كل الصرخات كانت تملأ الأجواء بتوتر. سقطت جثة
المتحولة الثقيلة على أرض السفينة.

وسط الصرخات المتكررة ومشاهد المعركة التي تعكس كل ألوان
الرعب، ارتفع صوت ليلى بوضوح، مليء بسعادة مدهشة. وجهها كان
مشرقاً وسط الظلام، وعيناها كانتا تلمعان كنجمتين في ليلٍ دامس.
نُكِّتْهَا لحظة انتصار غير متوقعة، قائلة بصوت حيوي عالٍ:

- دراقن، ما قلته كان صحيحًا تلك المخلوقات، تضرّر من ملح

التّيون!

كانت يدها تشير نحو سيفها المملّخ بالدماء، الذي كان قد حطّم
حاجز الخوف وحول ميزان المعركة. لم يكن هناك وقت لانتظار التفسير،
بل كان الوقت للتصرف بسرعة.

دراقرن، الذي كان يُواجه حصارًا قاتلاً من المجسات التي كانت تتناثر في كل مكان، شعر باندفاع جديد من القوة بعد سماعه كلمات ليلي. كانت صرخاتها بمثابة ضوء في نهاية النفق المظلم. بينما كانت المجسات تتسلق عليه من كل اتجاه، ارتفع تصميمه على الاستمرار. صاح بعالي صوته:

- جيّد، جيد جداً، لَسْتَقِيلُ إلى نهاية المعركة إذا، فقد مللت.

في تلك اللحظة الحاسمة، أدركت ليلي أن الوقت قد حان للخطوة التالية من الخطة، فأخرجت قطعة قمماش حمراء فاقعة بدا لونها متناقضاً مع الليل الذي خالطته نسمات الفجر الوليد، وضعت ليلي قطعة القماش على ذبابة سيفها ثم رفعتها عالياً

عندما شاهد القراصنة على متن سفينة دراقرن القماشة الحمراء، تغيرت ملامحهم فجأة من الخوف العميق إلى علامات التفاؤل والفرح. ثم بصوت واحد مليء بالعزم، صرخ القراصنة بأصوات قوية وكأنها تعبير عن جميع مشاعرهم المتجمعة:

- لَسْتَقِيلُ لخطتنا الأصلية حالاً، لقد انتهى العرض!

وسط الضجيج والفوضى التي كانت تُهيمن على المعركة، كان سطح
السفينة يعج بالقتال والدمار. القراصنة والمتحولات يتقاتلان بشراسة،
وكل حركة، كل ضربة كانت تحدد مصيرهم. في ذلك الوقت الحرج، كان
هناك شيء آخر يتصاعد فوق سطح السفينة.

رانم، الذي كان يتحرك بسرعة ويعزم لا يلسين، تسلق الأثر عنة
مصعوبة، مدفوعاً بشعور واضح بالمسؤولية.

عندما وصل إلى عرش الغراب الذي كان يعلو السفينة، كان يشاهد
الجوالين المربوطة بحبال، وقد امتلأت بملح النُترو. كانت الجوالين
معلقة، تتأرجح يمينا ويسارا. تجمعت عيون رانم على الهدف، وهو يعلم
أن هذه اللحظة يمكن أن تكون فاصلة في المعركة.

بمهارة فائقة، استخدم سيفه لقطع الحبال التي كانت تربط
الجوالين.. في تلك اللحظة الحاسمة، انقطع الحبل الأخير وسقطت
الجوالين دفعة واحدة.

أطلق السقوط المفاجئ للجوالين سلسلة من الأحداث المدهشة.
الملح تنثر في الهواء كعاصفة بيضاء، وكان الغبار الأبيض يملأ السماء.
سقطت الجوالين على سطح السفينة، متناثرة على كل من كان في الأسفل.
كان الملح يتناثر في كل مكان، يغمر القراصنة والمخلوقات المتحولة،
ليشكل سحابة بيضاء تنلأ لأتحت الضوء المشتعل.

صرخات المخلوقات المتحولة تعالت، مختلطة بصوت القراصنة الذين كان بعضهم يتفاعل بسرعة مع الوضع الجديد. كانت المتحوّلات تتقلب في ألم، تتلوّى وتصرخ، وكان ملح النترون كان يسبب لها معاناة حادة. بدت مشاهد الفوضى وكأنها عرض حيّ لأثر الملح المدقّر على تلك الكائنات الرهيبة.

في خضمّ ذلك، صرخ رانم عبر الأفق، صوته يملؤه النصر والفرح:

- الملح! الملح يفعل مفعوله!

كان صوته يحمل في طياته قوة النصر، وكان كافيا لرفع معنويات القراصنة إلى مستويات غير مسبوقه. كانوا يرون التأثير المباشر للملح على أعدائهم، مما جعلهم يندفعون أكثر في المعركة، عازمين على استغلال هذا الضعف الجديد لصالحهم.

بينما كانت المتحوّلات تتخبّط في الألم والفوضى، كان سطح السفينة يشتعل بوجه غير مسبوق. لم يكن هناك مكان للراحة أو التنفس، إذ كان المشهد يتحول إلى ساحة قتال من نوع جديد، مليئة بالإثارة والتوتر. الملح الذي انتشر في كل مكان كان يلعب دوره الحاسم في تغيير مجرى المعركة.

كلما سقطت متحولة على سطح السفينة، كان القراصنة يتسابقون على الانقضاض عليها، غرّز كل واحد منهم سيفه بكلّ حماسة وقوة في

ولب تلك المخلوقات الرهيبية. صرخات المتحولات المتألّمة كانت تتعالى
في الفضاء، وأجسادها تنكمش في ألمٍ قاتل قبل أن تسقط جثة هامة على
الأرض، تاركة خلفها أثراً من الفوضى.

بينما كان القتال مستمراً، تفرّغ رالف، صاحب الفأس، لعمله
الرهيّب. كأنه في عرض مسرحي من المهارات القتالية، كان يقطع
رؤوس المتحولات الواحدة تلو الأخرى بحركات سريعة وحاسمة. كل
ضربة من فأسه كانت تُجسد تنقلاته الرشيقّة ودقته العالية. عيون
القراصنة كانت تتابع باهتمام، حيث أصبحت رؤية رالف وهو يقضي على
أعدائه من دون رحمة، مصدرًا لزيادة مُتعتهم.

في خضمّ هذه الفوضى الدامية، صرخ أحد القراصنة، صوته يملأ
الأجواء بحماسة:

- المزيد! أخرجوا المزيد من جوالين الملح من أسفل السفينة!

كان القراصنة يعملون بسرعة وكأنهم في سباق مع الزمن. اندفعوا
إلى أسفل السفينة، يتدافعون ويجذبون جوالين الملح من أماكنها بكل قوة
ونشاط. كانت الأجواء مُفعمة بالحركة والإثارة، حيث كانت كل لحظة
تعني فرقاً بين النصر والهزيمة.

في تلك اللحظات، كانت المتحولات تتخبّط في مشاهد الفوضى
والعذاب. صرخات الألم واليأس تتعالى في أرجاء السفينة، تنتشر حتى
تصل إلى السفينة المهجورة حيث كان دراقن وليل.

كانت السفينة المهجورة، تشهد مشهداً غير عادي. كانوا جميعهم، بما في ذلك سيدتهن، يبدن في حالة من الرعب الشديد، وعيونهم تعكس الخوف الذي لم يسبق له مثيل. كل حركة وكل نظرة كانت تعكس الذعر الذي اجتاحتهم.

دراقرن، على الرغم من هدوئه الظاهر، كان ينفذ خطوة حاسمة. ببطء ودقة، أخذ يتعامل مع سيفه، وبدأ بوضع الملح عليه. بينما كانت المتحولات يُراقبن بتوجس. صمت رهيب خيم على المكان، وبدأت المتحولات تشعر بالرهبة من تأثير الملح الفتاك الذي سيَتغلغل داخل أجسادهم بعد لحظات قليلة.

ثم، في لحظة هادئة، بدأت إحدى المتحولات التي كانت تتفاخر قبل وقت قليل بمكانتها وسلطتها في المكان، تُرجوه بمرارة. صرخاتها التي كانت تتعالى من قبل، تحولت الآن إلى توسلات يائسة:

- لتصفح عنا، لتصفحوا جميعكم عنا!

كانت كلماتها تحمل بين طياتها الضعف والذعر، عكس الصورة التي كانت تظهرها سابقاً. في تلك اللحظة، عكس دراقرن ابتسامة مأكرة على وجهه، وبصوت مُفعم بالثقة قال:

- بعضاً من دماء العنق، منك أنتِ بالذات هو كل ما أريده،

وسنرحل.

في خضمّ الفجر الذي بدأ يلقي بأشعته الهادئة على البحر اللامع، كان
دراقرن وليلي يبهران ببطء في قاربها الصغير، عائدتين من معركة دموية.
وحانبهما رأس سيدة المتحولات، كما وعدّها بالضبط...

النشمس على وشك الشروق، وجعلت أشعتها الذهبية سطح البحر
يتلألأ وكأنه مغطى بشبكة من الألماس. ومع كل ضوء جديد كان
يكشف عن زجاجة الدماء السوداء التي تتلى من رقبة دراقرن، رمزاً
لانتصارهم في المعركة العنيفة.

حينما اقتريا من سفيتهم، كانت مشاهد الفوضى على سطح السفينة
لا توصف. الجثث المتناثرة لمخلوقات المتحولات، التي كانت من قبل
تعيش فساداً وتخريباً، ملأت المكان وكأنها دليل على ما عانوه من معركة
مرعبة. وأجساد القراصنة المهقمة، المحاطة بالكدمات والجروح، أكدت
على مدى الصراع الذي خاضوه.

لكن، ومع رؤية أن قائدهم ومساعدته قد نجوا دون أن يُصيها
ضرر كبير، علّت صرخات الفرحة بين القراصنة. كانت الإشارات
للمنجاح واضحة على وجوههم، وكأنهم انتزعوا حياة جديدة من بين
أنياب الموت. الجميع كانوا يحتفلون، يرفعون أيديهم، ويهتفون باسم
دراقرن، مغمورين بالسعادة.

لكن وسط هذا الاحتفال، حدث ما لم يكن مُتوقّعا. دراقن، الذي كان على وشك الانضمام إلى صيحات الفرح، شعر فجأة بضربة قوية على وجهه. ارتدّ خطوات قليلة إلى الوراء، مزيج من الألم والصدمة ارتسم على وجهه. نظر إلى مصدر الضربة ليجد ليلي، وجهها متجهّم وعابس، يعبر عن غضب شديد.

- لم يكن ما قلته بشأن وضعي كقربان مع هؤلاء الحمقى موجودًا بالخطّة يا دراقن!

صرخت ليلي بصوت مليء بالغضب. كلماتها كانت كالمطرقة التي تهزّ صمت اللحظة، محملة بالاستياء.

تجمّد دراقن في مكانه، لم يتوقّع هذا التصرف من ليلي. كانت صرخاتها كالصاعقة التي تقطع الفرح الذي كان يعم السفينة. بينما القراصنة من حولها كانوا يراقبون، ينتظرون ما ستؤول إليه الأمور.

في لحظة لم يكن يتوقّعها أحد، وبينما كانت الأنظار مركّزة على تلك المواجهة الصامتة بين دراقن وليلي، فعل دراقن ما لم يكن في الحسبان. دون سابق إنذار، أمسك بها بين ذراعيه بقوة، ضامًا إياها إلى صدره. كان هذا الفعل مفاجئًا ومليئًا بالمشاعر المكبوتة، فقد أحاطها بحب لم يكن يعترف به سوى قلبه. همس في أذنها بصوت خافت، بالكاد تسمّعه هي فقط:

- تعلمين أنني سأقوم بكل ما يلزم لحمايتك، وإن كلف الأمر موتي...

تلك الكلمات البسيطة، لكنها مشحونة بالعاطفة، اخترقت دفاعاتها.
ندحرت بتلك المشاعر التي كان يُخفيها دراقن خلف قناع القسوة، فلم تجد
تقوله. فقط، وجدت نفسها تغرق في صمت عميق. وجتتاها باأنا
زكسيان بَحْمرة الخجل، قلبها ينبض بشدة وكأنها تسمعه لأول مرة.
حرمت شجاعته وقالت بخُفوت:

- وهذا ما جعل الخوف يبتعد عني رغم تظاهري به في تلك اللحظة
يزقراقن.

كانت كلماتها تحمل في طياتها اعترافاً بأن وجوده كان مصدر قوتها
سخرية، حتى في أصعب اللحظات. ابتعد عنها قليلاً، نظرا إلى وجهها
تسبي غمره الخجل، ثم ارتسمت على شفّته ابتسامة لطيفة، ابتسامة لم
يرها أحد من الطاقم من قبل. كانت تلك اللحظة تعني الكثير، أكثر مما
يستطيعون فهمه.

لكن سرعان ما استعاد دراقن قسوته المعتادة، كقائد لا يسمح لأحد
برؤية ضعفه. استدار نحو الطاقم، رافعاً صوته بكل القوة والسلطة التي
عرفوها عنه، صارخاً:

- هيا إلى حيث يكون جارو، وجهتنا الأخيرة للحصول على ذلك
الخاتم اللعين.

تلك الكلمات كانت كالنار التي أشعلت الحماس في قلوب القراصنة،
جعلتهم ينسون كل ما مروا به من ألم وخوف. كانت أعينهم تلمع

بَتَّصِيمِ جَدِيدٍ، عَاقِدِينَ الْعِزْمَ عَلَى الْمَضِيِّ قُدُمًا فِي رِحْلَتِهِمْ نَحْوَ الْغَنِيمَةِ
الْأَخِيرَةِ.

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، بَدَأَتِ السَّفِينَةُ بِالتَّحَرُّكِ، كَأَنَّهَا تَشْعُرُ بِإِرَادَةِ قَائِدِهَا
وِطَاقِمِهَا. الرِّيحُ مَلَأَتِ الْأَشْرِعَةَ، وَقَلْبَتِ صَفْحَةَ جَدِيدَةً فِي مِغَامَرَتِهِمْ،
تَارِكِينَ وِرَاءَهُمْ كُلَّ مَا وَاجِهُوهُ مِنْ رَعْبٍ، وَمُتَّجِهِينَ نَحْوَ مَصِيرِهِمْ
الْمَجْهُولِ، حَيْثُ تَنْتَظِرُهُمُ التَّحْدِيَّاتُ الْأَكْبَرُ وَالْأَخْطَارُ الْأَعْظَمُ.



(16)

بعما. أن انتهى جيارو من سرد ما
جرى في جزيرة غوريه، كانت
السفينة تعيش لحظات من الهدوء
المشوب بالتوتر، الهدوء الذي يسبق
العاصفة. وضع رسائله لدى الرأس
المتشترين في البحر، تلك الشفرات التي
توضح وجهته بدقة، وأصدر أوامره



الحازمة، بصوته القوي الذي لا يعرف التراجع:

- إلى الجنوب! نحو جزيرة أدغشترى الغامضة!

على حافة السفينة، وقفت جونائش، وكأنها جزء من السفينة نفسها،
متشابكة مع خشبها البارد. كانت الأمواج تتلاطم أسفلها بعنف، وكأنها
تعكس اضطراب البحر داخلها. كل موجة تضرب السفينة كانت
تضرب قلبها أيضًا، يتردد صداها في صدرها كطبول حرب لا تهدأ.

جيارو، الذي كان يُمسك بدقة السفينة، قادها بثقة تامة، وكأنه يعزف
على آلة موسيقية يعرفها جيدًا. كانت السفينة تميل مع الرياح والأمواج،
لكن يديه لم ترتعشا، وكان السفينة كانت امتدادًا لجسده وروحه. كان

يشعر بها يدور في نفس جونائين، تلك الصراعات الداخلية التي كانت تخوضها، لكنه لم يتدخل.

- البحر لا يُعلم القراصنة فقط كيف يقاتلون، بل كيف يصمّدون أمام أنفسهم أولاً

همسَ لنفسه جارو، وهو يعلم أن التدخل في تلك اللحظات قد يجرّمها من اكتشاف قوتها الحقيقية. كان يدرك جيداً أن البحر لا يُخيف من لا يخاف، لكنه يمتحن من يُواجهه.

ما إن بدأت ملامح جزيرة أدغشترى بالظهور من خلال الضباب الكثيف، حتى صدح صوت جارو عبر السفينة، ملعلعاً:

- اقترينا! استعدّوا جميعاً!

ارتجت السفينة بتلك الصرخة، وكأنها تعي تماماً ما يتظرها. لم يحتج القراصنة سوى للحظات حتى تحوّلت السفينة إلى خلية نحل، فركض كل واحد منهم إلى مكانه المعتاد، يجهز سلاحه ويتحقّق من جاهزيته. كانت العيون تلتقي بعضها البعض، نظرات مليئة بالحُبث والتريص، تحمل وعوداً غير معلنة.

- هل تعتقد أن هذه الجزيرة تستحقّ كل هذا العناء؟

سأل لوفاً أحد رفاقه بينما كان يربط سيفه إلى جانبه.

ردّ الآخر بابتسامة خبيثة:

- جزيرة الساحرات لم تكن سوى البداية، إذا كان هناك شيء يمكن أن يُقلق جارو، فالأمر بالتأكيد ليس مجرد قوارب بالية.

وفي تلك اللحظة، رسّت السفينة أخيراً على ميناء أدغستري، والذي بدا وكأنه قد نُسي في خضمّ الزمن. كان الميناء متهاكاً، أخشاب الأرصفة مُتآكلة بفعل الأمواج والوقت، ولا أثر لحياة تُذكر. القوارب الصغيرة المنتشرة هنا وهناك كانت مغطاة بالأقمشة البالية، وكأنها بقايا عالم قد رحل منذ زمن طويل.

- هذا هو الميناء؟

همسّ بافي لنفسه، بينما كانت عيناه تمسح المكان برية. كان الصمت يلفّ المكان، صمت مشوب بقلق لا يُحطه قلب القرصان.

جارو، الذي كان أول من نزل من السفينة، نظر حوله بحذر.

- لا شيء هنا كما يبدو. قد تكون هذه الجزيرة قديمة ومهجورة، لكنها رغم ذلك مكان مثالي لذلك الشيطان.

- أنت محق، أيها القبطان.

قال بافي، الملاح العجوز، وهو يخطو بجانب جارو.

- علينا أن نكون مستعدين لكل شيء.

أوما جارو برأسه، ثم التفت إلى طاقمه:

- استعدوا، نحن هنا لأمر ليس بسيطاً. هذه الجزيرة قد تبدو خاوية،

لكنها قد تحمل في طياتها ما لا نتوقعه. لا تثقوا بمظهرها.

كانت الكلمات بمثابة شرارة أشعلت الحذر في قلوب القراصنة...

نظرت جوننايشن إلى الميناء المهجور، قبل أن تقرّر النزول من السفينة.

شعرت بارتعاش خفيف يسري في جسدها، فأغمضت عينيها للحظة،

محاولة طرد الذكريات التي اجتاحتها. كان الصراع الأخير مع الساحرة

لا يزال حاضرًا في ذهنها، لحظات مريرة انتهت ببيعها كجارية، وهو شيء

لم تستطع نسيانه أو التّعاش معه بسهولة.

بينما كانت غارقة في أفكارها، انتبه جارو لوقوفها المتردد على حافة

السفينة، لاحظ عينيها المغلقتين وتردها الواضح. فصرخ بصوت مלא

الأرجاء، ممزوجًا بالحزم الذي اعتاده الجميع منه:

- هيا جوننايشن! لا وقت للتراجع الآن!

فتحت جوننايشن عينيها بسرعة، وكان صوته قد أيقظها من كابوس،

وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن تخطو أخيرًا على الأرض الصلبة. كان في

صوت جارو شيء يبعث فيها القوة، قوة لم تكن تعلم أنها ما زالت تملكها.

بينما نزل الطاقم بالكامل من السفينة، قرر جارو أن يترك ذات الخمسة الرجال الذين كانوا يحرسون السفينة في الماضي لحراستها هذه المرة أيضًا. كان هؤلاء الرجال معروفين بين الطاقم بقدرتهم على حماية السفينة في أشد الأوقات خطورة، وكان قرار جارو بإبقائهم يُظهر ثقته الكبيرة بهم.

توجه الجميع نحو عمق الجزيرة، وسط صمت ثقيل كان يقطعه صوت النسور وهي تخلق في السماء، تتلاحم مع الغريان في حركات دائرية مخيفة. كان المنظر يوحي بنذير شؤم، وكأن الجزيرة نفسها تُعلن عن خطرٍ قادم.

- النسور والغريان معًا يتحركون في ذات المسار؟

أكمل بوقا بصوت خافت وهو ينظر إلى السماء:

- هذه ليست علامة جيدة.

أجابه بافي، الملاح العمجوز، وهو ينظر إلى الطيور بعينين حذرتين:

- إنه نذير شؤم، الجزيرة تملأها أرواح غاضبة، لن تكون هذه مغامرة سهلة.

أوما جارو برأسه، بينما كان يسير بثبات نحو عمق الجزيرة.

- الأماكن التي تبدو هادئة في الظاهر، قد تكون الأخطر. حافظوا على يقظتكم.

كانت كلمات جارو تشحنهم بحسّ من الحذر، يعلمون أن هذه الرحلة لن تكون كغيرها. كل خطوة على أرض آدغشتری كانت تحمل وزناً ثقيلاً، وكأنهم يخوضون في مكان مليء بالأسرار والمخاطر التي لم تكشف عن وجهها بعد.

بينما تبعد سفينة جارو من أمام أعينهم، كانت قرية آدغشتری، القريبة من الميناء، تتضح بوضوح كلما اقتربوا منها. البيوت التي تزيّن المناظر الطبيعية، والتي كانت تعكس جمال البساطة والهدوء، بدت وكأنها فقدت سحرها. الأبواب التي كانت تُغلق بأناقة أصبحت مفتوحة على مصراعها..

الأشجار التي كانت تزيّن القرية، والتي لطالما كانت جزءاً من المناظر الطبيعية الخلابة، بدأت تتسلّل إلى داخل المباني، وكأنها تعلن عن استسلامها لعناد الطبيعة. الأغصان تشابك مع الأسطح والأبواب، وتدخل عبر النوافذ المفتوحة، تتجول بحرية وكأنها تملك المكان، دون أدنى اهتمام لما كان عليه الحال من قبل.

كان المشهد يوحي بوجود شيء غير عادي. الفراغ الذي يملأ البيوت يضيف شعورًا بالوحدة لكل من ينظر إليه، وكأن القرية كانت قد نُبذت عن طيب خاطر، تاركة خلفها ذكريات الحياة الماضية..

فجأة، تكسر صمت القرية المزعج صرخة مفاجئة، حيث كان صوت ينساب عبر الهواء، أتى من أحد البيوت المهجورة.

انتبه طاقم السفينة إلى هذا الصوت، وتجمعوا نحو مصدر الصوت. القائد جارو، تقدم بخطى حذرة نحو إحدى البيوت التي بدت أكثر تضررًا من غيرها.

- يبدو أن هناك شيئًا غير عادي هنا.

قال جارو بصوت عميق، متأملاً المشهد.

- نحن بحاجة إلى التحقق من الوضع قبل أن نتخذ أي خطوة.

الهواء كان مملوءًا برائحة الرطوبة والأخشاب المتعفنة.

تزايدت الأصوات الغامضة داخل ذلك البيت، والذي كان منزل كاساندر وجونا من قبل. حيث دمعت عينا جونايثن رغم أن ذاكرتها لم تُسعفها بالكثير في تلك اللحظة. انتبه إليها بافي فقال لها:

- ما بك، لماذا تبكين؟

أرادت التهرب، ولكن عودة ذلك الصوت المخيف من داخل المنزل كان مساعدا لتشتيت نظره عنها. كانت الأبواب محطمة، وما إن دخلوا بهدوء للداخل شاهدوا الأثاث مبعثرًا في كل مكان.

بتلك اللحظة، ظهرت حركة سريعة جدا لطفل صغير في الثالثة من عمره تقريبا، كانت حركته مزوجة بضحكة ساخرة منه.

ما إن يحاول أحدهم الإمساك به حتى يختفي ويظهر في مكان آخر دون أن ينتبهوا لملاحه.

علموا بتلك اللحظة، أن هذه الجزيرة مسكونة بالشياطين المحررة، وما هذا الذي يتلاعب بهم إلا واحد منهم. عندها نطق جارو:

- اللعنة عليك يا دراقن.

ثم بتلك اللحظة ظهر صوت من خلفهم، أمام البوابة:

- من أنتم!

التفت الجميع في ذات الاتجاه، ليجدوا أمامهم فتاة في الخامسة عشرة من عمرها تقريبا، صغيرة في السن، ولكن ملامحها كانت مُفعمّة بالبؤس والقسوة التي تفوق عمرها. شعرها الطويل كان متشابكًا ومبعثرًا، وملابسها عبارة عن رداء قصير بالكاد يغطي جسدها النحيل. كانت تقف هناك، بعينين تحدّقان فيهم، يملؤها التحدي المزوج بالخوف.

توقف جارو في مكانه، ثم شعر بشيء غريب في وجودها. ظن للحظة أنها قد تكون الساحرة التي يبحث عنها، فأخرج سيفه من غمده ببطء، وبدأ بالاقتراب منها بحذر. عيناه كانتا تمسحان جسدها النحيل من جميع الزوايا، يبحث عن أي علامة تؤكد شكوكه. أما هي، فظلت واقفة، تراقبه بصمت قاتل، لا تتحرك، ولا تهتز، كأنها تمثال من جليد.

ما إن توقف جارو عن حركته المتفحصة، حتى نطقت الفتاة بصوت هادئ، لكنه كان يحمل في طياته تحذيرًا واضحًا:

- أنصحكم بالرحيل من هنا، قبل عودتها.

ثم دون أن تنتظر ردًا، صرخت باتجاه المنزل بصوت عالٍ، كأنها تستدعي شيئًا غامضًا:

- هيا يا ميثاروا

توسعت عينا جونايث في تلك اللحظة، ذلك الاسم لم يكن غريبًا عليها. قلبها خفق بشدة، شعرت وكأن ذاكرتها تلعب بها، تراقص أمامها صور قديمة متداخلة، ولكنها لا تستطيع أن تمسك بها. كان الاسم ينقر في رأسها كطائر صغير يبحث عن مكان للإقامة، كانت تعرف هذا الاسم، تعرف صاحبه، ولكن الذكريات كانت ضبابية، غير واضحة. كان ذلك الاسم يرتبط بشيء ما في تلك القرية قبل رحيلها، شيء كان مدفونًا في الماضي.

وفي تلك اللحظة، ظهر من الظلام نفس الطفل الذي كانوا قد رأوه من قبل، الذي كان يتحرك بسرعة مريبة، كأنه شبح يتلاعب بالظلال. ولكن الآن، ملامحه كانت واضحة أمامهم. لم يكن شبحًا أو شيطانًا كما ظنوا، بل كان مجرد طفل عادي، بشرته شاحبة وعيناه عميقتان، كما لو أنه رأى أشياء تفوق عمره بكثير. تقدم بهدوء نحو الفتاة، أمسك بيدها الصغيرة برقّة، وكأنها كانا يتشاركان سرًا عظيمًا.

جونائش كانت تقف كأنها تحاول استيعاب ما تراه أمامها، لكن قلبها كان ينبض بسرعة، غير قادرة على تصديق أن هذا الطفل قد يكون أخاها الذي تركته منذ اثنا عشر عامًا. كان الوقت قد مضى، وتغيرت هي، لكن وجه هذا الطفل، براءته، حتى تلك النظرة التي كان يلقيها عليها، كانت تمامًا كما تذكرها.

رغم كل هذا، هزّت جونائش رأسها بقوة، وكأنها تحاول أن تطرد هذه الفكرة المرعبة من عقلها، محاولتها اليائسة لإقناع نفسها بأن ما تراه ليس حقيقيا، قالت بصوت خافت، أقرب إلى الهمس:

- هل جُننتِ يا جونائش؟ لا يمكن أن يكون هو، لا بد أنه يشبهه فقط، مجرد تشابه، لا أكثر...

كان شعورًا غريبًا، بين الخوف والحنين، بين الشك واليقين، وكأنها في تلك اللحظة كانت تقف على حافة هاوية، غير متأكدة من السقوط أو الاستمرار.

بينما كانت جوننايشن غارقة في صدمتها، لم يلحظ الجميع حالتها، إذ كانت أنظارهم مركزة على الفتاة الغريبة التي أمسكت بالطفل غير مُبالية بوجودهم، وولّت راحلة به بعيدًا بخطوات ثابتة وسريعة.

جارو، الذي شعر بأن الأمور تفلت من يديه، لم يتحمل فكرة فقدان أي خيط يمكن أن يقودهم إلى الاقتراب من ساحرة أدغشترى. انطلق راكضًا نحو الفتاة، وصوت غضبه يتردد في الهواء كالرعد:

- توقف! أمرك بالتوقف حالاً!

لكن الفتاة لم تلتفت، لم تتوقف، بل استمرت في طريقها وكأنها لم تسمع شيئًا. هذا التجاهل زاد من غضب جارو، الذي كان يتحرك بغريزته القتالية. شعر بأن هذه الفتاة تخفي شيئًا خطيرًا، وربما تكون هي المفتاح لكل ما يحدث هنا. لكنه لم يكن يعلم أن وراء خطواتها السريعة، كانت هناك أمور أكبر من مجرد لغز.

تتابعت الأحداث في رأس جوننايشن، التي لم تكن قادرة على التحرك من مكانها. كان المشهد أمامها يبدو كأنه مشهد سينمائي بطيء، لكن داخلها كان في فوضى عارمة. الفتاة كانت تبتعد، الطفل كان يختفي معها، وجارو كان يركض بعزم. لكن جوننايشن، كانت واقفة مكانها، غير قادرة على ملاحظتهم، غير قادرة حتى على الصراخ.

في تلك اللحظة، شعرت بأن هناك شيئاً أكبر وأعمق يحدث أمامها، شيء لا يمكنها الهروب منه مهما حاولت. وكأنها كانت تعلم أن اللقاء القادم، سواء كان مع الحقيقة أو مع الماضي، سيكون حاسماً.

في تلك اللحظة المشحونة بالتوتر، أخرج جارو بندقيته بعنفه وأطلق رصاصة استقرت في الأرض على بعد خطوات من الطفلين. تراجع الطفلان قليلاً، لكنهما لم يظهرهما الخوف المتوقع؛ بل وقفا بهدوء غريب، يحدّقان فيه بنظرات ثابتة. تلك الفتاة الصغيرة، التي لم يتجاوز عمرها الرابعة عشرة فقط، نظرت إلى جارو بشيء من الملل، وقالت بصوت هادئ، وكأنها تتحدث إلى غريب مُزعج:

- ما الذي تريده الآن؟

توجه جارو ببطء نحوها، عيناه تضيقان وهو يقيس مدى جُرأتها. تجمع حوله عدد من القراصنة، يترقبون ما سيحدث، بينما كان باقي العجوز الحكيم، يلهث من التعب محاولاً اللحاق بهم. لم يكن الأمر سهلاً على رجل في عمره.

وقف جارو أمام الفتاة، جسمه الضخم يلقي بظلاله عليها، وقال بصوت جهوري مليء بالتهديد:

- لماذا هذه القرية خالية هكذا؟ ومن تكونان أنتما الاثنان؟

لم يظهر على الفتاة أي أثر للخوف من القراصنة الذين أحاطوا بها. رفعت رأسها بتحدٍ، وعيناها اللامعتين تعكسان ثقة لا تتناسب مع عمرها الصغير. نظرت إلى جارو مباشرة، وكأنها تتحداه بوجوده، وقالت بلا مبالاة:

- هرب بقية الناجين من هذه القرية منذ أشهر قليلة. وقد انتحز رئيسها بأمر من وسطاء الأرواح قبل بضعة أسابيع، وبعد رحيلهم، أصبحت هذه القرية لنا.

في تلك اللحظة، حولت الفتاة نظرتها نحو الطفل الصغير الذي يقف بجانبها، والذي كان يتفحص القراصنة بهدوء مريب. عيناه الثابتتان تمرّان على كل واحد منهم كأنه يزيّنهم ويقيم خطورتهم، لكنه لم يظهر أي ردة فعل تُذكر، فقط سكون غريب يكمن في أعماقه.

رفع جارو حاجبه قليلاً، متفاجئاً من قوة كلمات الفتاة، ثم اقترب منها أكثر، حتى أصبح يكاد يلمسها بظله الضخم. قال بصوت منخفض مملوء بالشك:

- وُسطاء الأرواح؟ وما الذي جرى هنا حقاً؟

ردت الفتاة بثبات، ورفعت ذقنها أكثر، ثم قالت بصوت خافت لكنه مُنعم باليقين:

- لقد جاء وسطاء الأرواح وحكموا على كل من يجرؤ على الحزن على فراق عائلته لأكثر من ثلاثة أيام بالموت. قالوا إن هذا الحزن المُقرط

هو الذي جلب البلاء والمرض لهذه القرية المنكوبة. في كل مرة يُقتل فيها شخص بسبب حزنه، يحزن المزيد عليه، وتستمر السلسلة الدموية بلا توقف. كان هذا الفيروس العاطفي يفتك بأرواح السكان حتى كاد يُفنيهم جميعًا.

صممت الفتاة للحظة، تاركة كلماتها تتغلغل في أذهان القراصنة الذين كانوا يستمعون بترقب. بدت نظرات جارو أكثر حدة، بينما تداخلت همسات بين القراصنة، يتبادلون النظرات المتوجسة والمشوبة بالخوف مما سمعوه.

أكملت الفتاة كلامها بنبرة أكثر برودًا:

- عندما أدرك البقية أن الموت سيلاحقهم ما داموا هنا، قرروا الرحيل. لكن لم يتبق في هذه القرية سوى وسطاء الأرواح ورئيسها، بُهتان. هؤلاء الوسطاء، بعدما نقلوا أوامر الأرواح إليه بضرورة أن يقتل نفسه وإلا سيعيش بقية حياته في خوف دائم، غادروا إلى القرى المجاورة. تركوه يعيش وحده، محاطًا بالأشباح التي خلقها خوفه وجنونه. عاش الرئيس بُهتان عدة أشهر في هذا الكابوس، يشاهد أشياء لا ينبغي لأي إنسان أن يراها. كنا نحن نراقبه من بعيد، نشهد انهياره قطعة تلو الأخرى، حتى جاء اليوم الذي لم يعد يتحمل فيه، فأنهى حياته بيديه.

تراجعت الفتاة خطوة للخلف، وعيناها تتسعان بسخرية:

- وهذا كل ما حدث.

تبادل القراصنة النظرات بينهم، ولم يخفَ عليهم القلق المتصاعد.

بينهم. همس أحدهم لجارو:

- هذه الفتاة، ما الذي تُخفيه؟ يبدو أنها تعرف أكثر مما تقول.

بافي، الذي كان يستمع بصمت حتى الآن، تقدم قليلا وقال بصوت

هادئ لكن عميق:

- قصتك قد تكون صحيحة، ولكن لا يمكننا الوثوق بكلامك،

هناك قطعة ناقصة، من أنتها!

رفعت الفتاة كتفها بلا مبالاة، وأجابت ببرود:

- أدعى سانجوني، وهذا الطفل هو أخي التوأم ميتارو.

كانت جونائين تراقبهم من بعيد، وما إن نطقت هذه الفتاة جملتها

حتى شعرت بشيء ما يتغلغل داخل صدرها، كيف يمكن هذا، بل كيف

لهذا الجنون أن يحدث.

في تلك اللحظة المخيفة، انشَقَّ هدوء الغابة بصوت غريب،

كصرخات امرأة مليئة بالغضب. البرود الذي كان يتلحّف ملامح الفتاة

تبدّل فجأة إلى خوف واضح. عيناها اتسعتا، ويدها ترتعش وهي تمسك بيد الطفل بحزمها. صرخ الطفل فجأة، ولكن مسوته لم يكن صوت طفل، بل كان صوتاً ضخماً، عميقاً، لا يتماشى مع جسده الصغير:

علينا الرحيل، سانجوني.. هناك عقاب ينتظرك.

لم يكن هناك وقت للتفكير. رفعت الفتاة الطفل بسرعة، وبدون أن تنطق بكلمة، بدأت تركض بعيداً داخل الغابة، تاركة وراءها القراصنة المتفاجئين. نادى جارو بصوت عالٍ، محاولاً إيقافها:

- توقفي!

لكن الفتاة لم تلتفت حتى. تبعها طاقم جارو بحماس، ولكنها كانت سريعة كأنها شبح، تركض بخفة وتختفي بين الأشجار الكثيفة.

وفي لحظة، وكأنها لم تكن موجودة، اختفت من أمام أنظارهم. توقف القراصنة، تسارع أنفاسهم وهم يتبادلون النظرات المذهولة، غير قادرين على تصديق ما حدث للتو. كيف يعقل ذلك؟ لقد كانت هناك قبل لحظات، قريبة بما يكفي ليلمسوها، والآن اختفت كأن الأرض ابتلعته.

كان باقي أول من كسر الصمت، وعيناها تلمعان بالرعب:

- من هؤلاء؟ لا أعتقد أنهم بشر من الأساس.

تجمّدت الكلمات في الهواء، بينما حفر الخوف عميقاً في نفوسهم. لم يجرؤ أحد على الإجابة، وكان الجميع كان ينتظر أن يكون ما حدث مجرد حلم مزعج. لكن جونائشن، التي كانت واقفة في مكانها، جساها مشبع بالخوف، ولكن عيناها تحملان شيئاً آخر، ربما الذكريات، ربما الألم، ردت بصوت خافت:

- بل هم بشر، أتباع الساحرة التي تبحثون عن الخاتم الموجود لديها، إخوتي التوأم، سانجوني وميتارو.

توجّهت كل العيون نحوها، مليئة بالدهشة وعدم التصديق. كيف يمكن لهذا الموقف أن يكون أكثر غرابة؟ كيف يمكن أن يكون هذان الطفلان، اللذان ظهرا واختفيا كالأرواح، هما إختوتها؟ شعرت جونائشن بشغل نظراتهم، ولكنها لم تهتز. بدلا من ذلك، استدارت نحو الظلام حيث اختفى التوأمين وقالت بصوت يشوبه الحزن:

- من المفترض أن يكون الاثنان بعمر سانجوني، تلك الفتاة ذات الرابعة عشرة، ولكن هناك شيء ما سيّء قد حدث لميتارو ليبقى في ذات العمر رغم مرور كل تلك السنوات.

في تلك اللحظة، وقبل أن يتلاشى صدى كلمات جونائشن في الهواء، قطع صوت آخر السكون، صوت قادم من خلفهم، عميق وجاف، ولحن يعمل في طياته نبرة من التهكم:

- هل تأخرت عليكم؟

استدار الجميع بتوتر، أعينهم ملتصقة بالمكان الذي جاء منه الصوت. ليُفاجأ جارو بروية أندرياس دراقن، يقف هناك، مبتسماً بتلك الابتسامة التي تحمل أكثر مما تُفصح عنه. في يده اليمنى كان يرفع زجاجة تتلألأ بدماء سوداء كثيفة، مأخوذة من المتحولات، بينما تنعكس أضواء انشقق الأخيرة على الزجاج، مانحةً إياها لمعاناً مخيفاً.

بجانبه، كانت ليلي ورفاقها واقفين، أعينهم الباردة تنفخ القراصنة بصمت، كما لو كانوا يحاكمونهم على لحظات الضعف التي ظهرت في وجوههم بهذه اللحظة.

بابتسامة عريضة رُسمت على وجهه الهادئ، استقبل جارو أندرياس دراقن وكأنه كان ينتظر قدومه منذ بداية دخولهم إلى هذه الجزيرة:

- أندرياس... خشيت أن أولئك الرسل لم يصلوا إليك، ولكني أراك هنا، جيد.

ليُجيبه:

- توجهت لجزيرة غوريه فعلمت من الرسل المنتشرين حولها بشأن رسالتك، لنحصل الآن على ذلك الخاتم ونرحل، فهذا المكان لا يُريحني.
كانت عيناه الداكنتان تخترقان جونايثن، وكأنها تبحثان في أعماقها عن شيء ضائع. كانت جونايثن تشعر بتوتر داخلي، خاصة بعدما رأته يراقبها بهذا الشكل، حيث تذكرت ما حدث بينها بتلك الجزيرة.

ما إن توجهوا نحو الجبل، الذي أشارت إليه جوننايشن، حيث كهف النار، قال لها جارو بينما يسرون وأعين الجميع تنفحص المكان هنا وهناك:

- جوننايشن... أتعلمين، قد لا يكون هؤلاء إخوتك كما تظنين. ربما تكون هذه مجرد لعبة خططت لها تلك الساحرة للتلاعب بمشاعرك... علينا أن نكون حذرين.

شعرت جوننايشن بانقباض في صدرها وهي تسمع كلمات جارو، لتجيبه بينما عيناها ظللتا مثبتتين على أندرياس، الذي كان يراقبها بصمت:

- قد يكون كلامك صحيحا، سيُضح الأمر قريبا.

كانت ليلي تسير بجوار أندرياس، والغضب يغلي في عروقها. لم تستطع إخفاء تلك النار المشتعلة داخلها، والتي كانت تظهر جلية في نظراتها الحادة التي كانت تنتقل بين أندرياس وجوننايشن. كل خطوة كانت تثقل عليها، وكأنها تخشى أن تُفقد جوننايشن مكانتها التي اكتسبتها بصعوبة في قلب أندرياس.

اقترب رالف من ليلي بخفة، وعيناها تلمعان بشيء من المرح والحُبث. كان يعرف تمامًا كيف يثير غضبها، ولم يستطع مقاومة فرصة اللعب على أوتار غيرتها. همس في أذنها بسخرية مرحة:

- يبدو أن لديك منافسًا جديدًا، ليلي... جوننايشن قد تتفوق عليك قريبًا وتمكن من قلب القائد.

كلماته كانت كالسهم، أصابت ليلي في مكان مؤلم لم يكن رالف يتوقعه. للحظة، توقف الزمن في نظرها، شعرت بحرارة الدم تصعد إلى وجهها وغضب لا يُحتمل يشتعل في داخلها. دون تردد، استدارت نحوه، وقبل أن يتمكن من قراءة الغضب في عينيها، سَدَدَتْ له ضربة قوية على بطنه بقبضة يدها، مستهدفة نقطة ضعف تعرفها جيدًا.

انحنى رالف إلى الأمام فجأة، وصدر منه صوت مكتوم أشبه بالأنين من شدة الألم. كان جسده القوي لا يعني شيئًا أمام دقة ليلي في توجيه الضربات. رغم قوته البدنية، إلا أن ليلي كانت تعرف جيدًا كيف تستهدف تلك الشغرات الصغيرة التي تغفل عنها العضلات القوية.

توقف الجميع فجأة عن السير، وصمت تام عمّ المكان، وتوجهت أنظارهم نحو رالف الذي كان يحاول جاهدًا التحكم في أنفاسه المتقطعة. أندرياس دراقن، الذي كان يسير في المقدمة، توقف ونظر نحو رالف بنظرة غير مفهومة، وكأنه يحاول تحليل ما يجري، ثم قال بصوت بارد، ولكن مشوب بالفضول:

- ما بك يا رالف؟

حاول رالف أن يستعيد رباطة جأشه، ورغم الألم الذي كان يعتصره، تمكن أخيرًا من الوقوف مستقيمًا ولو بشيء من الصعوبة. نظر

بني أندرياس بوجه مملوء بالتعب لكنه حافظ على ملامحه الهادئة، وقال
بصوت ساخر محاولاً تخفيف التوتر:

- لا شيء... مجرد ألم بسيط في البطن، حلّ عليّ فجأة. لا تقلق،
سأجتازُه سريعاً.

ابتسم أندرياس ابتسامة صغيرة، لكنه لم يبدُ مقتنعاً تماماً بتفسير
زائف. ليلي بدورها لم تُظهر أي ندم على فعلتها، بل على العكس، رفعت
رأسها بفخر، وكأنها تؤكد للجميع أنها ليست الشخص الذي يمكن
أنعبث معه بسهولة.

أما جونائين، التي كانت تراقب الموقف بصمت، لم تستطع منع
نفسها من الابتسام بخفة. رغم الجو المشحون، كانت تعرف أن هذه
الديناميكية بين أفراد الطاقم هي جزء من الحياة التي اختارتها. هذا العالم
كان مليئاً بالتحديات، سواء من الأعداء أو حتى من الأصدقاء.

لكن في لحظة، توقفت ليلي عن التفكير في غيرتها حينما لمحت شيئاً
يتحرك بسرعة خاطفة بين الأشجار القريبة منهم. كان هناك ظل غامض
يتسلل بين الأغصان، وكأنه يراقبهم عن كثب. حدثت ليلي في المكان،
شاحولة فهم ما رأت، ثم قالت بصوت حذر لكنه محمّل بالقلق:

- هناك شيء ما... يراقب تحركاتنا.

ورفعت رأسها من صم بطون إلى جوارها التي كانت هناك معزوم
لا يتحرك

رغم، هذا هو كهف النار. لقد كان من الجاهل أن تطلبه بله لا
اعتقد أنها قد تجد مكانًا آخر يشعرها بالأمان كما يفعل هذا الكهف. ربما
غيرت الظروف، ولكن هذا المكان هو جزء منها.

كانت تعرف أن نواريا، عمتها، لا تتخلّى عن ملاذها بسهولة. وإذا
كان هذا هو الكهف الذي اعتادت الاختباء فيه، فإنها ستكون في الداخل،
تتظر بفارغ الصبر من يجرو على اقتحام عزلتها.

وقف الجميع أمام الصخور المتراكمة التي تسد مدخل الكهف، كأنه
المنظر محبطًا، إذ بدا وكأن الطبيعة قد قررت أن تمنعهم من التقدم. حاولوا
النظر من حولهم بحثًا عن أي ثغرة أو عر قد يساعدهم على الدخول،
لكن الصخور كانت محكمة للغاية، ولا يبدو أن هناك أي طريقة سهلة
لتجاوزها.

جونايشن، بدأت تفكر بطريقة عملية أكثر. أخذت نفسًا عميقًا
وتقدمت نحو الجدار الصخري، محاولة فحصه بعناية أكبر. بدأت تمرد
يديها على سطح الصخور، تبحث عن أي علامات قد تدل على ضعف
في الهيكل.

بعد لحظات من الفحص، لاحظت جوناين أن إحدى الصخور
بذرت تختلف قليلا عن باقي الصخور المحيطة. كانت أكبر قليلا ومائلة
موجه غير طبيعي، وكأنها لم تكن جزءا من تركيبة الجدار الصخري.
أسرعت أن هذه الصخرة ربما كانت مفتاح الدخول.

نادت على جارو، الذي كان يتفحص بدوره بعض الأحجار القريبة
منها، وأشارت إلى الصخرة:

- انظر هنا، جارو. هذه الصخرة تبدو وكأنها أضيفت لاحقا. ربما
يُمكننا تحريكها.

اقرب جارو وبدأ يفحص الصخرة بنفسه. لم تكن مُثبتة جيدا،
وأدرك بسرعة أنها قد تكون قابلة للحركة إذا وُجدت الأداة المناسبة.
نادى على باقي أفراد المجموعة، وطلب منهم البحث عن شيء يمكنهم
استخدامه كرافعة.

لم يمض وقت طويل قبل أن يعود ماران ومعه قضيب معدني طويل
كان قد وُجد بين الحطام القديم في المنطقة. باستخدام القضيب، بدؤوا
في محاولة تحريك الصخرة بحذر. كانت العملية بطيئة ومليئة بالتوتر،
حيث كان الجميع يدركون أن أي خطأ قد يتسبب في انهيار المزيد من
الصخور.

لكن مع العمل الجماعي والجهود المتضافرة، بدأت الصخرة تتحرك ببطء. ومع كل حركة، كان هناك شعور بالإنارة يزداد داخل المجموعة. وأخيراً، بعد عدة دقائق من العمل المتواصل، تحركت الصخرة الكبيرة بما يكفي لكشف فتحة صغيرة.

كانت الفتحة ضيقة، ولكنها كافية لمرور شخص واحد. نظرت جونايثن إلى الداخل، فوجدت أن الممر يمتد بعمق داخل الكهف، مظلمًا لكنه سالك. ابتسمت وهي تشعر بالرضا عن عملهم الجماعي، وقالت:

- لقد فعلناها. هذا هو مدخلنا.

أندرياس أو ما برأسه موافقًا، ثم قال:

- جيد. لندخل بحذر. لا نعرف ما يتظرنا في الداخل.

ما إن خطوا جميعًا داخل الكهف، حتى أحاط بهم الظلام من كل جانب، مشاعلهم بالكاد تكشف الطريق أمامهم. كانت أصوات خطواتهم تتردد في الممر الضيق، وتتمازج مع أصوات أنفاسهم المتوترة. فجأة، ومن دون سابق إنذار، اهتزت الأرض من تحت أقدامهم لثوانٍ معدودة، وتردد صدى ارتطام ثقيل خلفهم. استدار الجميع بذهول، ليجدوا أن الحجر الذي كانوا قد زحزحوه قد عاد إلى مكانه وأغلق المدخل بإحكام، وكان قوة خفية قد أعادته إلى موضعه.

بدأ الهلع يتسلل إلى نفوسهم، خاصة ليلى، التي كانت الأكثر رعباً بتلك اللحظة. بملامح مشدودة، نظرت إلى رالف وعيناها مليتان بالفرع وقالت بصوت مضطرب:

- كيف حدث هذا؟ لقد أغلق الحجر علينا وكان له إرادة خاصة! رالف، الذي شعر بالتوتر يتسلل إليه هو الآخر، توجه بسرعة نحو الحجر وحاول زحزحته مرة أخرى، مستخدماً كل قوته. لكن كلما ضغط عليه وحاول تحريكه، بدا الحجر أكثر صلابة، كأنه أصبح جزءاً من الجدار، مدغماً بغرابة مع الأحجار الأخرى، كما لو أن الكهف نفسه قد قرر احتجازهم.

نظرات الإحباط والحيرة كانت واضحة على وجه رالف، الذي استدار نحو الباقيين وقال بصوت مثقل بالقلق:

- لقد أصبح جزءاً من الجدار، كأن شيئاً ما يُمسك به من الداخل. لا يمكننا الخروج من هنا.

جوناشن، التي كانت تراقب ما يجري بعناية، تقدمت نحو الحجر ولمست سطحه بأصابعها، محاولة أن تشعر بأي حركة أو رطوبة قد تكون دليلاً على شيء غير طبيعي. لكنها شعرت فقط ببرودة الحجر الصلب، وكان الحياة قد انسحبت منه. همست بصوت هادئ لكن قوي:

- شيطان الخاتم، ليس خائفاً منا، بل إنه يتلاعب بنا.

أندرياس، الذي كان يقف بجانب جونايشن ويراقبها بعينين حادتين، حاول أن يبقي الجميع هادئين، رغم أنه هو الآخر شعر بالقلق يتصاعد داخله. قال بصوت مليء بالحزم والتصميم:

- لا يهيم، سنهزم ذلك الشيطان وخادمته، ثم سنجد حلاً ما لهذه الأحجار المترابطة.

بكلمات أندرياس المطمئنة، استعاد الجميع بعضاً من شجاعتهم، وتقدموا في الظلام، متكاتفين ومتحدّين ضد ما قد يُجثته لهم الكهف. كان شعورهم بالغموض والخطر المحيط بهم يتزايد، لكنهم كانوا مصمّمين على الاستمرار، عيونهم تترقب أي حركة غير طبيعية، وأذانهم تستمع لأي صوت يخرق السكون الثقيل.

في تلك اللحظة، أدركوا جميعاً أنهم أصبحوا جزءاً من لعبة غامضة وقوية. حيث أن التحدي الحقيقي قد بدأ للتوّ، والظلام من حولهم لم يكن سوى بداية لما هو آتٍ.

فجأة، اخترق سكون المكان صوت غريب، كأنه صوت ضرب السوط يتردد داخل أعماق الكهف، متبوعاً بصرخات فتاة ممزوجة بالألم والخوف.

الشعور بالرهبة تملّك المجموعة، حيث لم يكن أحد يتوقع أن يسمع مثل هذا الصوت في قلب الظلام. كانت تلك الصرخات تخترق قلوبهم، وتجعل حتى الهواء من حولهم ثقيلًا.

أخرجت جونائش خنجرها وأمسكته بحزم، فعل الجميع مثلها، ثم تحركوا بحذر، خطواتهم كانت مثقلة بالترقب. ومع كل خطوة كانوا يقتربون فيها من مصدر الصوت، كان الظلام يزداد كثافة حولهم، والهواء يصبح أكثر برودة.

عندما وصلوا إلى قلب الكهف، المكان كان ينبض بضوء خافت يتسلل من الشقوق، لكنه لم يكن ذلك النوع من الضوء الذي يجلب الراحة. كانت الصخور الباردة تلامس وجوههم وكأنها تهمس لهم بأسرارها المظلمة. ومع تقدمهم، تسللت إلى مسامعهم أصوات تمزق الهدوء كالنصل؛ صوت السوط وهو يشق الهواء، وصوت أنين مكتوم ينبعث من سانجونى، تلك الفتاة التي علقت في أوج بؤسها.

هناك، في وسط ذلك الكهف المشؤوم، وقفت امرأة في منتصف الأربعينات، عيناها تلمعان بلمعة شريرة، وابتسامة مُشوّهة تملو وجهها. كان جسدها محاطًا بأفاعٍ تتدلى من حولها كستار خفيف، تزحف ببطء على جلدها وتلتف حولها بحميمية مرعبة، كما لو كانت جزءًا منها. في يدها اليمنى، كانت تمسك بسوط جلدي طويل، يتلوى في الهواء كأفعى

أخرى، قبل أن يهوي على جسد سانجوني المعلق فوق حفرة عميقة تعجّ بالأفاعي التي تتنّ جوعًا، بمحاولات عبثية منهم للوصول إليها.

ميتارو وقف هناك، بجانب المرأة المتسلطة، كشبح بلا روح. عيناه الباردتان تتبعان كل حركة تصدر عن سوطها، لكنه لم يظهر أي علامة على الانفعال أو القلق. كان وكأنه جزء من الظلام الذي يحيط بالمكان، صامتًا وثابتًا كالصخور التي تحيط بالكهف. على الرغم من صرخات أخته سانجوني التي تمزق الهواء من الألم، لم يظهر على ميتارو أي اهتمام، كان كل هذا العذاب لا يخصه.

بينما كانت الأفاعي تلتف حول المرأة التي تمسك بالسوط، رفعت رأسها لتحقق في ميتارو بنظرة مليئة بالزهو والانتصار.

هل ترى، ميتارو؟ هذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه من لا تطيع.
اليس كذلك؟

ميتارو لم يرد، عيناه ظلّتا عالقتين على أخته المتألّمة، دون أن يظهر في وجهه أي تعبير. صمّت قاتلُ ساد المكان، مشوب بهواء كثيف من الرهبة.

في تلك اللحظة المشحونة بالتوتر، كانت جونائش تقف على حافة الجنون. مشهد سانجوني المعذّبة أثار في قلبها شعورًا عميقًا بالغضب والحقد، مشاعر لم تكن قد شعرت بها منذ سنوات. تجمّدت أنفاسها،

واشتعلت نار الانتقام داخلها، ولم تعد ترى أمامها سوى ضرورة إنهاء تلك المرأة الشريرة بأي ثمن.

كان جارو يراقبها من زاوية الكهف بعينين حادتين، ورأى في نظراتها ما يعتزم القيام به. همس بحذر، محاولاً إيقافها قبل فوات الأوان:

- جوننايشن، لا تفعل ذلك. ليس الآن...

لكن جوننايشن لم تستمع. خطواتها كانت هادئة لكنها مليئة بالتصميم، قلبها ينبض بنار الغضب بينما كانت تقبض على سيفها بإحكام. كان السيف يلمع في يدها تحت ضوء الكهف الخافت، وكأنه مصمم على تنفيذ إرادتها. تقدمت ببطء نحو نواريا، التي كانت تواصل تعذيب سانجونو بوحشية، غير مدركة لاقتراب جوننايشن.

لكن قبل أن تتمكن جوننايشن من غرز السيف في جسد نواريا، بدأت الأفاعي تتوقف عن حركتها العادية. شعرت جوننايشن بتيار بارد يجتاح جسدها عندما لاحظت أن تلك الأفاعي الغريبة بدأت بالزحف نحوها ببطء مُرعب، تاركة جسد نواريا ومغادرة الحفرة التي كانت تملؤها.

وفي تلك اللحظة، انطلقت من فم نواريا ضحكة مدوية، ضحكة تحترق الظلام كالسيف. كانت تلك الضحكة مألوفة لجوننايشن، ضحكة رجولية وعميقة، ضحكة تعرفها جيداً منذ طفولتها. قلبها انقبض،

وجسدها تجمد للحظة، وهي تدرك من يكون صاحب تلك الضحكة
التي لطالما كانت هاجسًا مرعبًا في طفولتها.

نواريا التفتت ببطء، وعيناها تلمعان بلون أسود، أعين الشيطان
لتحدّق مباشرة في جونايشن.

أوه، جونايشن... ألم تشتاقي إليّ؟

قالت بصوت مشوب بالسخرية، بينما كانت الأفاعي تقترب أكثر
فأكثر من جونايشن، استعدادًا للهجوم.

جونايشن شعرت بعرق بارد يسيل على جبينها، لكن الغضب في
داخلها لم يتبدد. كانت تلك اللحظة هي اختبار حقيقي لشجاعتها
ولإرادتها. لم تكن تتوقع أن تجد نفسها في مواجهة ماضيها المرعب، ولكن
الآن، لم يعد هناك مجال للتراجع.

جارو تقدم خطوة أخرى، يراقب كل حركة، وهو يعلم أن الأمور
قد خرجت عن السيطرة.

جونايشن!

صاح محذرًا، لكن صوته ضاع في أصداء الكهف المظلمة.

بينما كانت الأفاعي تزحف نحوها، وعيون نواريا تراقبها بانتظار
الخطوة التالية، عرفت جونايشن أن مصيرها يتقرّر في هذه اللحظة.

وفي صمت رهيب، اتخذت جونايشن قرارها. توقفت للحظة، ثم رفعت سيفها مجددًا، وعيناها تشتعلان بتصميم لا يتزعزع:

- قد تكونين الشيطان الذي أفسد طفولتي، نواريا، لكنني لن أسمح لك بأن تفسدي حياتي مرة أخرى.

في تلك اللحظة، تسلق ميتارو فوق جسد أخته المعلقة، كانت عيناها متجمدتين، خاليتين من أي شعور. بمهارة وسرعة، بدأ بقطع الجبال التي كانت تقيّد سانجوني. بمجرد أن سقطت سانجوني على تلك الحفرة التي كانت قبل لحظات ممتلئة بالأفاعي، نهضت بهدوء وكأنها لم تتألم أبدًا، ثم وقفا معًا إلى جانب نواريا، عيونهما خاوية.

لكن ما حدث بعد ذلك كان أكثر رعبًا. بدأت عينا سانجوني تتحولان ببطء، إلى لون أبيض قاتم يغطيها بالكامل، كأن روحها مُحيت واستُبدلت بشيء آخر. كانت همسات غير مفهومة تخرج من بين شفثيها، كأنها طلاسمة قديمة تُستدعى من عوالم مظلمة بعيدة. هذه الهمسات لم تكن مجرد كلمات عابرة؛ كانت تعويذات تسحب القوة من الظلال المحيطة، وكأنها تستدعي قوة أكبر وأشد خطرًا من نواريا نفسها.

جونايشن، التي كانت تقف في وضع استعداد للهجوم بخنجرها، شعرت فجأة بشيء غريب. جسدها بدأ يثقل تدريجيًا، وكأن قوتها تتلاشى شيئًا فشيئًا. السيف الذي كانت تمسك به بإحكام، سقط فجأة

من يدها دون إرادة منها. نظرها انخفض ببطء نحو السيف الساقط على الأرض، وشعرت بالرعب عندما أدركت أن جسدها بالكامل قد سُلب، لم تعد تستطيع التحرك.

ماذا... يحدث...؟

تمتّت جونايثن بصعوبة، عيناها تتسعان برعب وهي تشعر بالشلل الذي أخذ يتسلل إلى أطرافها.

نواريا، التي كانت تراقب ما يجري بعينين تتلألأ لأن شرًا، ضحكت مرة أخرى:

- أوه، يا جونايثن... هل ظننتِ حقًا أنكِ قادرة على مواجهتي؟

قالت بصوت مشبع بالسخرية:

- لقد كنتِ دائمًا ضعيفة، منذ أن كنتِ طفلة. والآن، انظري إليكِ...

عاجزة.

حاولت جونايثن أن تقاوم، لكن كل جهد كان بلا جدوى. جسدها لم يستجب لها، وكان تعويذات سانجوني قد قيدتها تمامًا. الأفاعي التي كانت تحيط بهم بدأت تزحف نحو جونايثن ببطء، وكأنها تستعد للالتقياض.

سانجوني أرجوك، لا تفعل.

حاولت جوناشن الاستنجاد بأختها، محاولة الوصول إلى جزء منها
قد لا يزال في داخلها، لكنها كانت تعلم أن كلماتها ستكون بلا فائدة.
نواريا قد سيطرت عليها تمامًا، والأمر أصبح أكثر تعقيدًا مما كانت
تتوقعه.

بينما كانت المعركة تصل إلى ذروتها، ساد الكهف صمت غريب
للحظات. وفجأة، اخترق الصمت صوتٌ خطوات هادئة على الأرض
الرطبة. التفتت نواريا نحو مصدر الصوت، عيناها سليتان بالريية
والغضب. هناك، وسط الظلال المتراقصة بفعل الأضواء الخافتة، كان
يقف جارو، مبتسمًا بخبث واثق، يحمل بين يديه قنينة نبيذ مُغبرة، وعلى
وجهه تعابير لا تخلو من السخرية.

تقدم جارو ببطء نحو نواريا، بينما كانت الأفاعي تملؤى حولها بتوتر.
أخرج كأسًا زجاجيًا صغيرًا، وعيناه لم تفارقا عيني نواريا المليتين
بالدهشة والتوتر. بدأ يسكب النبيذ ببطء في الكأس، عيناه تراقبان السائل
الأحمر وهو يتدفق بثبات.

نواريا، التي كانت تتوقع هجومًا من نوع آخر، رمت بضحكة قصيرة
مليئة بالشك، وقالت بصوت يحمل في طياته مزيجًا من الاستهزاء
والانزعاج:

- ماذا تظن أنك تفعل، أيها الأحمق؟

لم يرد جوارو على الفور، بل رفع الكأس نحو فمه، يتذوق النبيذ ببطء وهدوء، ثم توقف لبرهة، متذوقاً الطعم كما لو كان في حفل فاخر. وعندما انتهى، أخذ نفساً عميقاً، وأخرج الكأس من فمه بوجه يعكس اشمزازه، قائلاً بصوتٍ منخفض لكنه حاد كالسكين:

- سيّء... يا للذوق الرخيص.

جدت نواریا في مكانها للحظة، وقد أذهلتها جُرأته التي تجاوزت حدود المعقول. كانت تعلم جيداً ما تعنيه كلماته. هذا النبيذ، كان مُفضّلاً، مشروبها الذي لا تستغني عنه. وكيف لجرأة ذلك القرصان أن تصل به للسخرية منها في هذه اللحظة الحاسمة؟ احتدّت ملامح وجهها وأخذت خطوة للأمام، عيناها تلمعان بالغضب.

لكن جوارو لم يراجع. بل رفع عينيه نحوها بابتسامة خبيثة وقال:

- حتى ساحرات غوريه يَمْتَلِكُن ذوقاً أفضل من هذا...

كانت تلك الجملة بمثابة الشرارة التي أشعلت غضب نواریا بوجوه لا يوصف. بدأت الأفاعي تتحرك بعنف أكبر، وكأنها تستجيب لأوامر خفية منها، لكن قبل أن تتاح لها الفرصة للانقضاض، أطلق جوارو صافرة قسيرة. كانت هذه الإشارة التي انتظرها القراصنة. بسبب ما حدث فقدت سانجوني تركيزها، مما أعاد لجونايشن قدرتها على الحراك، ثم اندفعت نحو نواریا بسرعة، بينما قفز بوقا من مكانه، مُطلقاً سهامه في

الهواء باتجاه الأفاعي، محاولاً إبقاءها مشغولة. جارو، من جهته، لم يكن مهتماً بالنيذ من الأساس، بل كان يعطل تركيز نواريا من خلال هذه المواجهة الباردة.

بتلك اللحظة، صرخت نواريا على سانجوني بغضب:

- قومي بدورك أيتها الطفلة الساذجة وإلا

بدأت سانجوني في تلاوة تعاويذ جديدة، لكن القراصنة كانوا أسرع. اندفعوا معاً كعاصفة هوجاء، كلٌّ منهم يعرف دوره في هذه المعركة الحاسمة. ليلي انقضت على سانجوني، محاولة تعطيلها قبل أن تكتمل تعاويذها، بينما تصدى جارو وجونايشن لنواريا جنباً إلى جنب، وأكمل بوقا هجومه بسلسلة من السهام المستهدفة.

في لحظات، تحولت المواجهة إلى ملحمة فوضوية، الأصوات تعالت، السيوف تلامست، والسحر تصادم مع شجاعة القراصنة. كانت المعركة مريرة، لكنها أظهرت شجاعة وإصرار القراصنة، الذين لم يتراجعوا رغم قوة العدو الذي يواجهونه.

ومع كل خطوة، كانت نواريا تفقد السيطرة أكثر فأكثر...

في النهاية، ومع انهيار نواريا وسقوطها أمام ضربات القراصنة، كانت جونايشن تقف فوقها، أنفاسها تتسارع، وهي تنظر إلى المرأة التي أربعتها في صفرها، لكن الآن... كانت تلك المرأة مجرد ذكرى في الماضي.

نظر جارو إلى الكأس الفارغ، ورمى النبيذ المتبقي على الأرض
بابتسامة ساخرة، ثم قال وهو يسحب نفسه من المعركة:

- ربما يكون مذاق النصر أفضل من أي نبيذ رخيص.

بينما كانت الأنفاس تتسارع مع اقتراب نهاية المعركة، اختلطت
مشاعر الانتصار بالقلق والترقب. وسط هذه الأجواء، تقدم دراقن
بخطوات واثقة نحو جثة نواريا، يدها تحملان قارورة صغيرة تحتوي على
دماء المتحولات، بينما كانت عيناه تركزان على هدف واحد: الخاتم
الملعون الذي من المفترض أن يكون بإصبعها.

ركع بجانب الجثة، وعيناه تنظران بحدة باحثين عن الخاتم. هذا
الخاتم الذي قضى عمره بأكمله باحثاً عنه في عمق البحر، كان يجب عليه
الحصول عليه بأي ثمن. يبطء، بدأ يقلب يد نواريا الباردة، باحثاً عنه
لكن... لم يكن هناك شيء.

تجمدت ملامح وجهه، وبدأ القلق يتسلل إلى قلبه. كيف يمكن أن
يختفي الخاتم؟ كان يجب أن يكون هنا. بينما كان يحدق في يدها الفارغة،
ارتفعت ضحكة مريية منها. نظروا جميعاً إلى وجهها، ليجدوا أنها رغم
جراحها وهزيمتها، تضحك بسخرية مشوبة بالانتقام.

هل تبحث عن شيء، أيها القرصان؟

قالت بصوت متقطع، لكن مليء بالسخرية والجنون.

شعر دراقن بالغضب يتصاعد داخله، فأمسك يده وصدهما بهدوء، لكنه لم يجد أي أثر للخاتم. بدأ القراصنة الآخرون بالتجمع حوله، وهم يمشون في استطوع إخفاء توترها وهي تنظر إلى يدي نواريا الفارغتين.

رالف، الذي كان قد تأهب في الخلف، تحرك بقلق نحو دراقن وقال:

- هل يمكن أن تكون قد أخفت الخاتم؟

ظهر صوت ليل من خلفهم، حيث كان بالكاد يخرج منها:

- ساعدوني، أرجوكم.

التفتوا جميعاً بقلق، ليجدوا سانجوني قد تحولت إلى شيء لم يعرفوه من قبل. كانت تقف هناك، ممسكة برقبة ليلي بيد واحدة، وكأنها تحمل دمية، بينما عيناها قد امتلأتا بسواد مُرعب لا حدود له.

الهمسات التي خرجت من فمها لم تكن صوت سانجوني البريء، بل صوت آخر، صوت رجولي عميق ومليء بالشر، كأنه صدى من أعماق الجحيم. قالت بصوت مُشعب بالسخرية والجنون:

- هل ظننتم أنني سأكتفي بتلك المعجوز؟ يا لكم من أغبياء.

الدهشة اجتاححت القراصنة، خادمة دراقن، الذي حاول التفكير بسرعة فيما يجري. كانت سانجوني في البداية تبدو كضحية أخرى لنواريا، لكن الآن... أصبحت هي ذاتها تهديداً أكبر. الخاتم الملعون، الذي بحثوا عنه بلا جدوى، لقد أصبح موجودا بيد سانجوني الأيمن. حيث أن الشيطان أصبح الآن يمتلك سانجوني.

نطق جارو، بدهشة من خُبت هذا الشيطان:

- هل يعقل، لقد كانوا منذ البداية يسخرون منا، كل ما حدث أمام أعيننا لم يكن سوى لعبة من لعب هذا الشيطان الخبيث.

بدأت ليلى تحتقيق، يداها تحاولان التمسك بالحياة وهي تتلوى بألم من قبضة سانجوني التي كانت تزداد قوة مع كل لحظة.

نهض دراقن بسرعة، وأخرج سيفه بحددة وهو يصرخ بغضب مكبوت:

- سأقتلك، أنت والوعاء الذي تسيطر عليه.. إن آذيت ليلى.

تقدم بخطوات واثقة نحو سانجوني، التي كانت تتحكم فيها قوة شيطان الخاتم، لكنه لم يكن الوحيد الذي تحرك. جونائش، وقفت بتلك اللحظة بينه وبين أختها، رفعت سيفها في وجهه بخزم، عيناها تشعان بتصميم لا يتزعزع. كانت تعلم أن سانجوني ليست نفسها في هذه اللحظة، لكنها لم تستطع التخلي عنها.

صرخ دراغن بغضب:

- ابتعدي، جونائش!

لكنها لم تتحرك، بل زادت من قبضتها على سيفها، وعيناها تلمعان.

في دراغن بتحد:

- لن أسمح لك بإيذاء أختي، دراغن. سأقتلك قبل أن تقترب منها.

أجواء الكهف كانت مشبعة بالتوتر، وصوت السيوف المتقاطعة كان يكاد يسمع حتى وإن لم يتحرك أحد بعد. جارو، الذي كان يقف جانباً، أدرك أن الأمور تخرج عن السيطرة. تقدم بخطوات سريعة، محاولاً التحدث بصوت هادئ لكنه مُفعم بالإلحاح:

- جونائش، ليلى على وشك الموت. علينا أن نفعل شيئاً لإنقاذها.

لكن كلمات جارو لم تجد لها طريقاً إلى قلب جونائش، كانت مشاعرها

تجاه أختها تعميها عن رؤية الواقع. أجابت بصوت مليء بالمرارة:

- لا تهمني ليلى، إن ماتت فهذا قدرها. لكن سانجونو... سانجونو

هي أختي، ولن أدع أحداً يمستها بسوء.

وقف الجميع في صمت مشدود، كانت هذه لحظة حاسمة، حيث

يجمع الحب والخوف والغضب في مزيج متفجر. جونائش لم تكن

مستعدة للتخلي عن أختها، حتى وإن كانت تعرف في أعماق قلبها أن

الشیطان قد اسنولى عليها. كانت مستعدة للقتال ضد دراقن، ضد أي أحد، إذا كان ذلك يعني حماية سانجونى.

لكن دراقن لم يكن ليتراجع، رغم أن عينيه كانتا مُخْفِيَانِ صراعًا داخليًا. لقد أراد إنقاذ ليلى، لكن في نفس الوقت كان يدرك أنه إذا قام بأي حركة خاطئة، فقد يفقد جونائش أيضا.

فجأة، اخترقت ضحكة رجولية شيطانية هذا الصمت المتوتر، كان صوت الشيطان الذي يستمتع برؤية القراصنة يتصارعون بين بعضهم البعض. قال بنبرة مليئة بالسخرية:

- جميل، جونائش. لقد أحببت هذه التضحية... تذكرني، دعيني أتذكر... آه، نعم، أخيك الأكبر، باراد.

ابتسم ابتسامة مريعة، وكان مجرد ذكر الاسم يجلب له لذة عميقة:

- ذلك الغبي، لقد ظن أن تضحيته ستفككم شرّي. ياله من أحمق.

كانت كلماته تسري في عقل جونائش كسُمّ زُعاف، تحفر في أعماق ذاكرتها وتعيد إليها اللحظة التي فقدت فيها باراد. قلبها كان ينبض بقوة، لكنها لم تسمح للدموع بالخروج، لم تسمح للضعف أن يتسلل إليها. رفعت رأسها، وواجهت الشيطان بنظرة تحدٍ مشوبة بالغضب.

باراد كان شجاعاً، ولم يكن أحق. لقد فعل ما كان يجب أن يفعله...
رما يجب عليّ أيضا فعله الآن.

بتلك اللحظة الحاسمة، سحبّت جونائش الزجاجة المليئة بدماء
المتحولات من رقبة دراقن، الذي ظلّ واقفاً في مكانه، وكان شيئاً ما قد
انكشف أمامه، شيء لم يُدرکه من قبل.

تقدمت جونائش نحو سانجوني، متجاهلة التوتر المتصاعد حولها.
كانت خطواتها ثابتة، ولكن قلبها ينبض بسرعة وهي تتذكر ذلك اليوم
في الغابة:

- أتذكر؟

قالت جونائش بصوتها الذي امتزج فيه الحنين مع الندم:

- ذلك اللقاء بيني وبينك في الغابة، عندما رحلت ريتا... لقد طلبت
مني شيئاً آنذاك، ولكن لشدة غبائي، رفضته. هل تذكره؟

ظهرت ابتسامة مليئة بالرعب على ملامح سانجوني، ثم ظهر
الصوت الرجولي العميق من خلال شفثيها، ممزوجاً بالسخرية والمرارة:

- صحيح، يا جونائش. لو أنكِ قبلتِ بي، لما حدث لكِ ولهُؤلاء
التوأم ما حدث... لعلما رغبت بك، جونائش، لعلما تميّنتك.

كانت كلماته كالخناجر تحترق روح جونائين، تجلب معها الذكريات
المؤلمة والندم. لكن رغم الألم، لم تتراجع.

ثم فجأة، تحولت ملامح سانجوني إلى الغضب العارم، وارتجفت
الأرض تحتها كأنها تستجيب لقوتها المتفجرة. صوته أصبح مملوءاً
بالغضب، أعمق وأكثر تهديداً، وهو يضغط بقوة على رقبة ليلى التي لا
تزال معلقة في الهواء، تعاني من ألم لا يطاق:

- لو أنكِ قبلتِ، لصنعتُ منك قوة لا تُقهر، لكنك فضلتِ الرحيل
كعبدة مملوكة على البقاء معي.

أظهرت الندم على ملاحظها التي شحب لونها، وبدأت تسير بخطى
وثيدة، تقترب منه شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت المسافة بينهما تكاد تتلاشى.
عندئذ، أَلَقَّت سيفها على الأرض، صوت المعدن وهو يرتطم بالحجارة
كان كصرخة مكتومة، تعبيراً واضحاً عن رغبتها في السلام.

وقفت أمامه، نظرت إليه بعينين تشعان بالحزن والأسى، قبل أن
تتحدّث بصوت خافت، مليء بالانكسار:

- لقد كانت لدي فرصة لتغيير كل شيء، وأضعتها... معك حق...

توقفت للمحظة، تراقب ملامح وجهه وهو يمتصّ كلماتها، وكأنها
تروي عطشاً طويل الأمد داخله. رآته يبتسم ابتسامة صغيرة، ربما لا
إرادية، فواصلت الحديث بنبرة أكثر عاطفية، وكأنها تكشف سرّاً دفيناً:

- بعدما كبرت، وفهمت مرارة الحياة، أدركتُ أنك كنت على حق طوال الوقت. الآن، أعرض عليك نفسي بكل صدق. أن أكون مُلكًا لك، كما كنت تتمنى منذ زمن.

كانت كلماتها كالسحر الذي يحرّر قلبًا مُكبَلًا، فاشتعلت عينا شيطان الخاتم ببريق غريب، بينما تملكه شعور بالنصر لم يعرفه من قبل. في لحظة نشوة، أمسك بليلي بقوة ورماها بعيدًا عنهم، وكأنها مجرد دمية بلا روح. سقطت ليلي على الأرض بقسوة، صدرها يهتز بعنف وهي تسعل بقوة، تضع يديها المرتجفتين حول رقبتها في محاولة يائسة لتخفيف الألم.

في تلك اللحظة، ركض دراقن نحوها بخطوات سريعة، انحنى بجانبها، أمسك بيدها برفق وهمس في أذنها بصوت يشوبه القلق:

- هل أنت بخير؟

بعيون متعبة ومعلقة على المشهد المرعب الذي يتكشف أمامها، بين شيطان الخاتم وجونايشن، لم تستطع سوى الإيحاء برأسها إيجابًا، وهي تتمنى أن تكون هذه الإجابة كافية. كان الصمت يلف المكان، باستثناء أنفاسها المتقطعة وصدى اللحظة العاطفية المشحونة بين جونايشن وشيطان الخاتم، وكان الزمن توقف ليبتظر ما سيحدث بعد ذلك.

تجاهل الجميع حوله، ركز عينيه على جونائين وكأنه يحاول قراءة أفكارها، ثم نطق بصوت خافت، لكنه كان مشحوناً بالعاطفة والتوتر:

- هل تقصدين بأنك... ستكونين لي؟

كانت اللحظة محملة بالثقل، وكان الهواء أصبح أكثر كثافة. أوامات برأسها إيجاباً، نظرتها ثابتة وصادقة، تعبر عن ندمها واستعدادها للتضحية. تقدمت خطوة أخيرة نحوه، وقالت بصوت يحمل مزيجاً من القوة والضعف، وكأنها تتحدى نفسها:

- لا حاجة لك بسانجوني وميتارو. سأعوضك عنهما، أنت تعلم أنني أستطيع ذلك.

كان في صوتها إصرار، إصرار امرأة نضجت بعد سنوات من الألم والخسارة. راقبها وهو يزن كلماتها، كل جملة كانت تنغرس في قلبه مثل سهام دقيقة، تفجر بداخله مشاعر متضاربة بين انتقام رفضها له سابقاً ورجبتها به الآن.

شيطان الخاتم نظر إليها بتمعن، وكأنه يزن حقيقة عرضها. الصمت الذي أعقب كلماتها كان أشبه بصوت صرخة مكتومة في رأسه. أغمض عينيه للحظة، يستجمع شتات أفكاره. ثم، بابتسامة لم تكن تخلو من السخرية والشك، همس:

- وأنتِ تعلمين ما يعنيه ذلك، أليس كذلك؟ أن تكوني لي، يعني أنني أملكك بكل ما فيك، بكل أسرارك، كل أملك، كل ذكرياتك... لأن يكون هناك رجوع.

اقتربت منه حتى لم يعد بينهما سوى أنفاس متقطعة، نظرت في عينيه نبات لم يهتز، وقالت بنبرة متّحدة مع ظلام قلبه:

- أعلم ذلك. وأنا مستعدة.. هل أستطيع سحب الخاتم لأضعه في إصبعي!

تلك الكلمات، بثقلها وتأكيدها، أسرت روحه. كانت مثل صفقة مع الشيطان، لكنها هذه المرة كانت صفقة مع شخص يفهم تمامًا ما هو على وشك الدخول فيه. أراد أن يختبر صدقها، أن يعرف إلى أي مدى يمكن أن تذهب من أجله. وأمام هذا العرض الذي لم يكن يحلم به حتى في أشدّ خطائته جوحًا، عرف أن الوقت قد حان لتغيير قواعد اللعبة.

لم يعد الأمر يتعلق بسانجوني أو ميتارو، بل بتلك المرأة التي تقف أمامه الآن، وتعرض نفسها بكل جرأة، مستعدة لتحمل العواقب، مهما كانت.

مدّ يد سانجوني المحملة بالخاتم نحوها، ثم قال وعيناه معلقتان على عينيها:

- ضعي إصبعك أمام إصبعها وسيتحرك الخاتم بمفرده باتجاهك، لا حاجة لك بانتزاعه.

بكل هدوء وثقة، نفّذت جونائشن ما طلبه منها. وضعت إصبعها أمام إصبع سانجوني، تراقب بتوتر مشوب بالترقب بينما بدأ الخاتم بالتحرك، كأنه يستجيب لنداء غامض يجذبه نحوها. ومع كل لحظة تمر، كانت تعلم أن هذا ليس سوى جزء من خطتها. في يدها الأخرى، كانت تمسك بزجاجة صغيرة، مليئة بدماء المتحولات.

بينما كان الخاتم يقترب من إصبعها، رفعت الزجاجة بحركة سريعة، عيناها تشتعلان بتصميم لا يتزعزع، كأنها تستعد لخطوة أخيرة حاسمة. وفي جزء من الثانية، بدت وكأن العالم كله قد تباطأ، ألقت بالدماء على الخاتم..

كانت الدماء تتدفق من الزجاجة بسرعة، وكأنها تعرف طريقها. ما إن لامست الدماء الخاتم، حتى بدأ الشيطان يتراجع بوجه غير متوقع، وملاّت صرخات ألم مروعة أرجاء المكان. كانت صرخاته كصرخة مخلوق يتعرّض لتعذيب أبدي، صرخات تصم الأذان وتثير الرعب في قلوب الجميع. ارتجفت الأرض تحت قدميه، وكان قوة مظلمة تحاول اقتلعه من مكانه. الجميع تجمّد في مكانه، يراقبون في ذهول ما يحدث، غير قادرين على الفهم أو التدخل.

أما جونائشن، التي كانت تحمل تصميمًا لا يتزعزع قبل لحظات، وجدت نفسها الآن تقف متجمدة، عيناها تتابعان المشهد بعجز. كانت

ترى سانجونى تتلوى من الألم، لكنها لم تكن تعرف ماهى الخطوة التالية.
كان الخاتم يشتعل ويتوهج بلون داكن، كأنه يقاوم تلك الدماء التى
حلّت عليه، ثم بدأ بالتصدّع تدريجيًا، وكأنه يفقد قوّته بالتدريج.

سانجونى، التى كان الخاتم يسيطر عليها، شعرت بشيء ينزلق بعيدًا
عنها.. لم يعد يستطيع السيطرة عليها بعد الآن، صرخاتها أصبحت أكثر
حدةً، وكأنها تصدر من أعماق روحها الممزقة. بدأت تتراجع بخطوات
غير متزنة، وكان قدميها لم تعودا تحملانها.

وفجأة، ومع صرخة أخيرة، سقط الخاتم من يدها، ارتطم بالأرض
وارتجفت تلك اليد التى كانت تمسك به بإصرار قبل لحظات. انطفأ بريقه
تمامًا، وكان الحياة قد غادرت هذا الخاتم. بدأت عينا سانجونى، التى
كانت تتوهج بالقوة، تعودان إلى طبيعتهما. مكتبة ضاد، مكتبة الزف الأول.
سقطت على ركبتيها، منهارة، كان الروح قد سُحبت منها. كانت
تنفس بصعوبة، وعيناها الشاحبتان مُحْمَلِقَانِ فى جونايشن.

بينما كان الجميع مشدودين نحو سانجونى، يرون الألم والاضطراب
الذى كانت تعانيه، سقط ميثارو فجأة على الأرض، بلا حراك. الصوت
الذى أصدره وهو يرتطم بالأرض كان كافيًا ليجذب الأنظار بعيدًا عن
سانجونى. كان سقوطه مدويًا، وكان الحياة غادرت جسده فجأة، تاركة
إياه جثة هامدة بلا روح.

في تلك اللحظة، تغير كل شيء. التعب الذي كان يمزق سانجوني منذ لحظات اختفى، وكأنه لم يكن. نهضت بسرعة، وقد عادت إليها قوتها، عيناها مشتتة بغضب لا يمكن إخماده. لم تنتظر لحظة واحدا، هربت نحو مينارو، قلبها يعتصر من الألم والخوف، وصرخة مُدوية خرجت من أعماقها:

- مينارو! كلا، لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً... لا تمت، أرجوك، لا تتركني وحدي... عليك اللعنة، جونايش! عليك اللعنة!

كانت صرخاتها تخترق صمت المكان، تمزق قلب كل من سمعها. انحنت فوق جثة مينارو، تمسك بكتفيه وتحاول بعنف يائس أن تهزمه وكأنها تستطيع إعادة الحياة إليه بالقوة. دموعها كانت تساقط بغزارة، تلالاً في ضوء المكان الباهت وكأنها تجسد الحزن العميق الذي اجتاح قلبها.

أما جونايش، فقد وقفت متجمدة في مكانها، الدموع بدأت تسلسل على خديها، وعيونها متسعة من الصدمة. كانت تشعر وكأن قلبها يُسحق تحت وطأة ما حدث. لم تكن تتوقع هذه النتيجة، لم تكن تفهم كيف حدث هذا. كل ما فعلته هو التخلص من سيطرة الخاتم، لكنها لم تكن تدرك أن هذه الخطوة قد تؤدي إلى فقدان حياة أخيها مينارو.

بصوت مُخْتَق ومُهْتَز، بالكاد يخرج من بين شفثيها الممْتَحَنين، قالت

- لكن... لم أقصد إيداءه... كل ما قُمت به هو انتزاع بسيط.

الخاتم...

كانت كلماتها تتناثر في الهواء، كأنها محاولة يائسة لتبرير ما حدث، لكنها لم تستطع تجاهل الحقيقة التي تراها أمامها. ميتارو كان قد فارق الحياة، وسانجونى، التي كانت تتعذب منذ لحظات، الآن هي من تغرق في ألم لا يمحتمل، وكان السبب في ذلك هو تدخلها.

وسط كل هذا الفوضى، وبينما كانت جونايشن غارقة في دموعها وسانجونى تحتضن جثة ميتارو بلا حول ولا قوة، ارتفع صوت غامض ومتهكّم، يملأ المكان ببرودة تقشعر لها الأبدان. كان صوت نواريا، الساحرة العجوز، يخترق السكون المشوب بالتوتر، كأنه سيف حاد يقطع الهواء:

- أغبياء، جميعكم أغبياء!

تردّدت كلماتها في أرجاء المكان، وهي تخطو إلى الأمام بخطوات واثقة. توقفت أمام الجثة التي كانت سانجونى تحتضنها بكل حبّ وحُزن، ووجهت نظرة صارمة نحو الجميع. ثم أكملت بصوت متهكّم وبارد:

- لقد كان ميتاً، ميتاً منذ اثنا عشرة عاماً.

تجمّدت الدماء في عروق الجميع عند سماع تلك الكلمات. صدمة جديدة، تضاف إلى الصدمات التي غمرت هذا اليوم المساوي. سانجوني رفعت رأسها ببطء، عيناها مليئتان بالدموع والحيرة، كانت تحاول فهم معنى كلمات نواريا. كيف يمكن أن يكون ميتارو ميتًا طوال هذه السنوات؟ كيف يمكن أن يكون كل هذا وهمًا؟

نواريا، بابتسامة مأكرة، تتسلل ضحكتها الخافتة كالسّم في عروق من يسمعها، اقتربت من سانجوني، نظرتها كانت قاسية كعينين تعكسان ليلاً لا ينتهي. أعينها اختزلتا آلاف الأسرار التي لا يستطيع أحد سواها فهمها، وتلك الأسرار بدأت تتكشف الآن. نظرت إلى سانجوني كما لو كانت تنظر إلى طفلة ضائعة، وبتلك النبرة التي تجمع بين السخرية والشفقة، نطقت بكلماتها القاتلة:

- قبل اثني عشر عامًا، وقع الاختيار على ميتارو من قبل الشيطان، ليكون جسده وعاءً للأرواح الملعونة... أو بالأحرى، للشياطين التي نستغلّها في أعمال السحر المظلم.

صوتها كان هادئًا، لكنه يحمل في طياته ثقل الحقيقة المرعبة. استمرت نواريا، عيناها لا تفارقان وجه سانجوني الذي بدأ يتلوّن بمزيج من الصدمة والرعب:

- قتلته بتعاويد السحر الأسود، وأصبح جسده منذ ذلك الحين ملاًداً لكل شيطان يتطلع لخدمتنا. لقد مات ميتارو حينها، في ذلك اليوم ذهبت روحه إلى بارئها.

سانجوني كانت تستمع كأنها في كابوس لا تستطيع الاستيقاظ منه. جسدها بدأ يرتعش، وكأن الحقيقة التي اكتشفتها الآن كانت أكبر من أن تحتملها. تراجعت خطوات للخلف، تحمل في قلبها ألماً لا يمكن وصفه. كانت كل لحظة قضتها مع ميتارو، كل ذكرى، كل كلمة، مجرد وهم، كذبة صنعتها نواريا، ذلك الشيطان وسحرهما الأسود.

لكن نواريا لم تتوقف، كانت تستمتع بتمزيق تلك الأوهام التي كانت تحيط بسانجوني. تابعت بلهجة تزداد قسوة:

- لقد وهبته لكل شيطان يتوق لخدمتنا، ولطالما ظننت أنك قادرة على إنقاذه... يا للسذاجة. كل ما كنت تريه فيه لم يكن إلا تلك الأرواح الملعونة التي استخدمتها كأداة لتنفيذ رغباتي. كان مجرد جسد، بلا روح، بلا حياة.

جونايشن، التي كانت تراقب هذا المشهد المروع، شعرت ببرودة تتجتاح قلبها. كانت تعرف أن نواريا خطيرة، لكنها لم تتخيل أبداً أن تكون بهذا القدر من الشر المطلق، ظنت أن الشيطان هو من يتحكم بها، لكنها تأكدت بهذه اللحظة أنها الاثنان مزيجاً متجانساً من الشر.

سانجوني، وسط انهيار دموعها بحرقه لا توصف، همست بصوت متقطع، يجمل في طياته مرارة السنين التي ضاعت:

- طوال تلك السنوات... كنتُ أفعل كل ما تأمريني به أنتِ وذلك الشيطان... كل شيء لأجل بقاء ميتارو... لأجل روحه التي لم تكن موجودة أصلاً!

كانت كلماتها تنساب كألم نازف، تعكس حجم الخيانة التي تعرّضت لها، خيانة لم تقتصر على جسد ميتارو، بل امتدت لتشمل كل لحظة عاشتها تحت وطأة هذا الوهم القاتل. لكن تلك الدموع، التي كانت تسيل بحرارة على خديها، لم تكن مجرد دموع ضعف. كانت بداية لغضب متفجّر، غضب كان يغلي في داخلها كبركان على وشك الانفجار.

بلمحة خاطفة، تحوّلت عيناها من الحزن إلى الغضب. نظرت نحو نواريا، تلك الساحرة التي سلّبت منها كل شيء، بنظرة حادة تعكس تصميمًا لا ينكسر. انطلقت نحو السيف الذي أوقعته جوننايشن على الأرض، التقطته بيدين مرتجفتين، لكنهما مُتلتتان بالقوة والرغبة في الانتقام. صرخت بصوت مليء بالحق:

- سأقتلك! كما قتلتِ أخي، سأقتلك نواريا!

اندفعت سانجوني نحو نواريا، عيناها متوهجتان بالغضب والعزيمة. كانت خطواتها ثقيلة، لكنها سريعة، تحمل في كل خطوة تلك

الرجبة المشتعلة في الانتقام. ولكن قبل أن تصل إلى هدفها، قبل أن تقترب من تلك الساحرة، أمسك جارو بها بحزم من الخلف. كانت قبضته قوية، تمسكها من التحرك نحو نواريا، لكنها لم تكن قاسية، بل كانت محملة بوعود لمستقبل لم يتضح بعد.

نواريا، من جانبها، لم تُظهر أي تراجع. بل كانت تحدق في سانجوني ببرود، كأنها تشاهد مشهداً مسرحياً قد كتبت هي نصّه بنفسها. كان واضحاً أنها كانت تتوقع مثل هذه اللحظة، وأنها كانت مستعدة لها منذ البداية.

في تلك الأثناء، كان دراقن يتصرف بهدوء، مُستغلاً الفوضى التي تجري أمامه. التقط الخاتم الذي سقط على الأرض، وضعه بعناية داخل علبة زجاجية مُحكمة الإغلاق، ثم أدخلها في جيبه بخذر. لم يكن يريد ترك أي فرصة لنواريا لاستعادة قوتها، كان يدرك تماماً خطورة هذا الخاتم.

أما جارو، فقد شدد قبضته على سانجوني، ثم همس لها بصوت هادئ لكنه يحمل في طياته سلطة لا تقبل الجدل:

-- ستأخذ جزءها، أعدك بذلك.

سانجوني، بين الحزن والغضب واليأس، لم تستطع احتواء مشاعرها أكثر. أطلقت صرخة تمزق السماء، صرخة لم تكن مجرد تعبير عن الألم، بل

كانت تعبيرًا عن خيانة عميقة، خيانة لأعز ما تملك، ولأعلى ما فقدت.
كانت تلك اللحظة التي أدركت فيها أن كل شيء قد ضاع، وأن ميتارو لم
يكن سوى ذكرى مزيفة، صنعتها يدا الساحرة الشريرة.



(17)



بعد مرور عدة أيام، عندما
علمت كتيبة الساحرات بما
حدث، كانت الأمور تتجه نحو
مواجهة لم يكن لأحد أن
يتوقعها..

حيث ما إن انتشر الخبر
لهم، ولأصحاب هذه القرية
الهاربون منها، ليعودوا

أدراجهم أخيرا.. عازمون على حمايتها من جديد وعدم تركها للسحرة
ووسطاء الأرواح، ومنهم الحكيم ناروا الذي هربهم بعد موت رفيقه
العزيز مومو.

كانت ألسنة اللهب الهادئة في قرية أدغشتری تعكس ظلال
الساحرات الخمسة على أتربتها، تُحيط بهن هالة من القوة والغموض. في
هذه اللحظة، قرعت طبول الحكم، لصالح سانجونو ضد نواريا.

إحدى الساحرات الأكبر سنًا، والتي كانت تُعرف بالحكمة
والصرامة، آرورا، نطقت بصوت مليء بالهيبة:

لقد انتهكت نواريا قانوننا المقدس. أن تكون منبوذًا، فذلك يعني أنك مرفوض من مجتمعنا، لكننا لا نتخلى عن حمايتك. أما أن تتعرض لساحر آخر بالعذاب، فهذا جُرم لا يُغتفر.

كانت نواريا واقفة في وسط الساحة الكبيرة، مكبلة بسلاسل ثقيلة من الحديد، تقيد كل حركة لها. عيون الساحرات كانت مركزة عليها، والساحة مليئة بسكان القرية العائدين، الذين وقفوا بصمت حولها، ملاحظهم متجهمة وعيونهم مليئة بالغضب والانتقام.

بعضهم همسوا بصوت منخفض، يحملون قصصا عن الرعب الذي جلبته نواريا إلى قريتهم. كانت همساتهم تتصاعد كدخان كثيف، يتخلل الهواء البارد. وبينما وقفت نواريا، محاطة بكل تلك الكراهية، لم تظهر على وجهها أي علامات للندم أو الخوف. بل كانت تحدق في الجمع بنظرات ساخرة، كأنها تتحدى الجميع.

تقدمت آرورا ومن معها بخطوات ثابتة. كان صوتها عميقًا وجافًا عندما نظرت:

نواريا، أنتِ متهمّة بقتل الأرواح البريئة، بخيانة إحدى أخواتك، وباستغلال السحر الأسود في أغراض شريرة. كيف تدافعين عن نفسك؟

ابتسمت نواريا ابتسامة باردة، عاكسة الضوء على أسنانها المليئة
بالألوان كقوس قزح. ثم ردت بصوت هادئ، لكنه كان مملوءاً
بالسخرية:

دفاع؟ هل تتوقعين مني أن أطلب المغفرة؟ آرورا، اللعنة عليك
وعليهن...

مهممات الاستياء ارتفعت بين سكان القرية، وبدأت تتعالى بينهم
كلمات الانتقام. أحد الرجال، الذي فقد عائلته بسبب أعمال نواريا
والكهنة، لم يستطع التحكم في نفسه وصاح:

إنها تستحق الموت، لقد دمرت حياتنا جميعاً!

لكن الساحرة الأكبر رفعت يدها، مشيرة للجميع بأن يصمتوا. ثم
وقفت في الساحة، وقد لُفَّ وجهها بتعبيرات باردة لا تعرف الرحمة،
موجهة كلامها إلى نواريا التي كانت مكبلة بالسلاسل الثقيلة. بصوت
عميق وملء بالحزم، قالت:

لقد تجاهلنا لسنوات كل الأعمال التي ارتكبتها، كل ما قمنا به لعائلة
أخيك الوحيد، ولأهل هذه القرية المنكوبة. لم نتدخل، رغم أنك جلبت
المعاناة والخراب على الكثيرين، لأننا نحن السحرة لا نخون بعضنا، لا
نعاقب بعضنا من أجل أناس عاديين، فهم بالنسبة لنا ليسوا سوى ييادق
في لعينتنا.

توقفت الساحرة هُنيئةً، لتسمح لكللماتها بأن تنساب في الهواء وتخترق الصّمت المخيم على الساحة. ثم تابعت، وصوتها يزداد حدّة، كأنه نصل يقطع الهواء:

- لكن الآن، الآن يا نواريا، وبعد ما فعلته مع سانجونى، تلك الساحرة التي لطالما كانت تحت جناحك، وسخرت حياتها لأوامرك... لقد تجاوزت كل الحدود. لقد أذيت ساحرة مثلها مثلك، وخرقت أقدم قوانيننا.

نواريا، التي كانت قد حافظت على هدوئها طوال الوقت، رفعت رأسها بتحدٍ، رغم السلاسل التي كانت تقيدها. في عينيها لم يكن هناك أثر للندم أو الخوف، بل نظرة ساخرة، كأنها لا تزال ترى نفسها فوق الجميع.

إحدى الساحرات، ماري، اقتربت منها، وعيناها مليتان بالغلّ، بصوت منخفض لكنه كان كالرعد في أذن نواريا:

- لقد انتهى زمن الحماية، انتهى زمن التسامح مع أمثالك. من يعبث بالسحر الأسود بهذا الشكل، ويستخدمه لتدمير أخواته، ليس له مكان بيننا. ستلقين العقاب الذي تستحقينه، عقابًا يليق بخائنة.

نظرت نواريا حولها، إلى وجوه الساحرات الأخريات، اللواتي كنّ واقفات في دائرة حولها. كل واحدة منهن كانت تحمل في عينيها نفس

النظرة القاسية، نفس الحكم الذي صدر بالفعل. شعرت للحظة ببرودة تسري في جسدها، لكن غرورها أبقى أن يظهر أي علامة على الضعف.

الساحرات بدأن بترديد تعاويذ قديمة، كلماتهن كانت كالأحجار التي تُلقى في بئر عميق، تُحدث دوامات في الهواء حول نواريا. الضوء بدأ يلتف حولها، والأرض تحت قدميها اهتزت قليلاً، كأنها تستعد لابتلاعها. ومع كل كلمة تُلقى، كانت نواريا تشعر بأن قوتها تُسحب منها شيئاً فشيئاً، حتى لم يتبق منها سوى جسد مكبل بالضعف.

ثم بعدها، حيث فقدت نواريا ذاكرتها تماماً فيما يخص التعاويذ التي تعرفها لحمايتها، اقتربت آرورا ببطء من حيث كان يقف الحكيم ناروا، الرجل العجوز الذي نُسب إليه لقب "حكيم القرية" كان ناروا يراقب كل ما يحدث بصمت، عيناه تلمعان ببريق غامض تحت حاجبيه الكثيفين.

نظرت آرورا إليه، وهي تعلم أن الكلمة الأخيرة تعود إليه. صوته كان يُسمع في آدغشتری كما يُسمع صوت الرياح بين الأشجار؛ هادئاً لكنه يحمل قوة لا يُستهان بها. قالت بصوت مهيب:

- تستطيعون الآن محاكمتها كبشرية عادية، لقد فقدت ذاكرتها تماماً فيما يخص التعاويذ التي تعرفها. لم تعد سوى امرأة بلا حول ولا قوة.

لم يتحدث الحكيم ناروا، فقط أو ما برأسه بهدوء، تلك الإيحاء التي كانت تعني الكثير في عُرف القرية. فقد كان هذا التأكيد من ناروا، بمثابة الختم الأخير على مصير نواريا.

بإشارة منه، سُحِبَت نواريا، التي أصبحت الآن مجرد امرأة بلا قوة أو سحر، نحو المشنقة القديمة الموجودة في طرف آدغشترى. كان المسار طويلاً ومليئاً بالعيون المترقبة، عيون تحمل في طياتها الحقد والانتقام، وأخرى تنظر برهبة إلى ما آلت إليه ساحرة كانت يوماً ما تُثير الخوف في القلوب.

نواريا، التي كانت تترنح بفعل فقدان ذاكرتها وقوتها، لم تكن تدرك تمامًا ما يحدث حولها. عيناها الضائعتان تجولان في الأرجاء، وكأنها تبحث عن خيط أمل أو معنى، لكن لم تجد سوى الجموع التي كانت تترقب النهاية.

حين وصلت إلى المشنقة، توقفت للحظة، وكأنها تحاول أن تتذكر شيئاً، أن تتشبث بأخر خيوط الكبرياء التي كانت تُميّزها. لكن لم يكن هناك أي بصيص من الذكرى.

وبحركة واحدة، ضغط أحدهم على فتحات تلك المشنقة. تهاوت نواريا إلى الأسفل، وبدأت تصارع من أجل البقاء، لكن تلك اللحظات كانت قصيرة. اختفت حركاتها البائسة تدريجياً، حتى توقفت تمامًا. لم يتبقّ منها سوى جسد بلا حياة، يتلوى في الهواء أمام أنظار الجميع.

الجميع ظل ينظر إليها بصمت، وكأنهم غير مصدقين أن هذه النهاية قد آتت بالفعل. لم يكن هناك انتصار أو فرح، بل شعور غريب بالغ، أع، ولكنهم كانوا يعلمون أن هذا كان ضرورياً؛ كانت هذه النهاية التي تستحقها نواريا، المرأة التي كانت يوماً ما سيدة الغلام في أدغشنة.

ناروا أدار ظهره للجميع، وبدأ يسير بعيداً عن المشنقة، خطونه كانت ثقيلة لكنها ثابتة. كانت هذه النهاية التي أرادها، لكنها لم تكن النهاية التي سيحتفل بها. بدلا من ذلك، كانت هذه لحظة للتفكير، للتأمل في الثمن الذي يدفعه كل من يسعى خلف القوة دون حساب للعواقب.

آرورا نظرت للحكيم وهو يغادر، ثم أغمضت عينيها للحظة، وكأنها تودّع روح نواريا التي خرجت لتوها. ثم استدارت لتفقد بقية السحرة بعيداً عن المكان، تاركة خلفها جسد نواريا الذي يتأرجح بهدوء في الريح، كبقايا لظلٍ لم يعد له وجود.

في مكان آخر من القرية، حيث الرياح تهب بهدوء، كانت سانجونو وجونايشن تجلسان بجانب رماد جسد ميتارو بعد حرقه، ذلك الطفل الذي سُلبت روحه قبل أوانها، وأصبح جسده وعاءاً لشيء لم يكن ليختاره في الحياة. تُفنّ الرماد في مكان قريب من الشاطئ، محاطاً بأزهار برية صغيرة، أزهار تنبت رغم كل الألم والظلام، وكأنها تصرّ على إضفاء لمسة من الحياة في هذا المكان المليء بالحزن.

جونائش كانت تضع يديها على كتفيها، نحاس بصمت، وعينها
مُغمضتين، وكأنها تحاول حجب الدموع التي لم تعد قادرة على السيطرة
عليها بجانبها، كانت سانجوني تحلق في القبر، عيناها مليتين بالدموع
التي لم تتوقف عن الانهار منذ اللحظة التي أدركت فيها الحقيقة القاسية.
هل بعد خطوات، كان بافي وليلي يقفان، يراقبان المشهد بصمت
حتى القراصنة الأقرباء، الذين اعتادوا على مواجهة الموت والخطر كل
يوم، لم يستطيعوا مقاومة هذا الحزن الذي غمرهم. أعينهم تدمع وهم
يشهدون هذه اللحظة المؤثرة، حيث الأخوات يجتمعن في وداع أخيه
الذي قُتل قبل أوانه.

أخذت سانجوني نفسًا عميقًا، وكأنها تحاول أن تجمع شجاعته
لتقول شيئًا. بصوت مكسور ومملوء بالندم، تحدثت:

- لطالما كنت أنفَذ أوامرهما، أوامرهما الاثنين، لأجل الحفاظ على
حياة شخص قد مات منذ زمن يا جونائش... كم كنت غيبية، كم كنت
عمياء.

جونائش، التي كانت تحاول بشدة ألا تنكسر أمام أختها، أمسكت
بـ سانجوني، وضغطت عليها بحتان. نظرت إليها بعينين مليتين
بالتفهم والحب، رغم كل ما حدث. همست جونائش، وكأنها تريد أن
تطمئن أختها رغم الألم:

- أتظنين أن ما فعلته قد ذهب أدراج الرياح؟ لا، سانجوني، أنا واثقة من أنه يعلم بكل شيء قمت به لأجله. كل تضحية، كل لحظة من الألم الذي تحملته، لم يكن هباءً. إنه الآن في السماء، سعيد للغاية، حيث والدينا، وهم الآن ينظرون إلينا بفخر.

كانت كلمات جونايثن تحمل وزن الحقيقة، ووزن الحب الذي لا يعرف الحدود. شعرت سانجوني بأن تلك الكلمات تغمر قلبها بالحزن والراحة في آن واحد. الدموع استمرت بالانسياب، لكنها لم تكن دموع ندم فقط، بل دموع تفرغ لكل الأوجاع التي حملتها طوال تلك السنوات.

في تلك اللحظة، كان هناك شعور غريب من السلام يحيط بالمكان. وكأن الأرواح التي فقدت قد وجدت أخيرًا الراحة التي تستحقها.

الرياح استمرت بالهبوب بهدوء، وكأنها تحاول أن تحمل معها كل ما تبنى من الحزن إلى مكان بعيد. وظل الجميع هناك، في ذلك المكان الذي كان يختلط فيه الحزن بالسلام، يتأملون في رحلة الحياة والموت، وفي الثمن الذي يدفعه البعض من أجل الحب والولاء.

بتلك اللحظة، وسط السكون الذي كان يغلف المكان، ظهر الحكيم ناراوا بهدوء، وكان حضوره جلب معه نسمة من السلام والطمأنينة. تقدم بخطوات هادئة نحو القبر، ثم جلس بجانب سانجوني وجونايثن.

كان وجهه متعبًا، يحمل علامات الزمن الذي قضاه في العذاب، لكنه كان مفعمًا بالحكمة والتفاؤل.

نظر ناروا إلى القبر، ثم إلى الأختين، وقال بصوت هادئ ومفعم بالثقة:

- لقد كانت أيامًا قاسية للغاية، مليئة بالألم والخسارة، لكنني متأكد أن القادم سيكون أفضل لكما. الأرواح الطاهرة، التي شاهدت معاناتكم، ستكافئكم على صبركم وقوتكم.

كانت كلمات ناروا تحمل معها نوعًا من الراحة التي لم تكن قد شعرت بها الأختان منذ فترة طويلة. شعرت جونائش بدفء غريب يملأ قلبها، ربما كان ذلك نتيجة حضور الحكيم الذي دائمًا ما كان يمثل لها الأمان، رغم أنها لم تكن تذكر الكثير عنه في طفولتها. لكنها سرعان ما تذكرت ذلك الموقف الذي كانا يتضحكان فيه عليه عندما كان يتعارك مع الحكيم الآخر مومو. تلك الذكرى الصغيرة، التي كانت تبدو في وقتها غير ذات أهمية، عادت الآن لتجلب لها بعض السعادة في وسط هذا الحزن العميق.

ابتسمت جونائش بحنان، وقالت وهي تنظر إلى ناروا بعينين ممتلئتين بالتقدير:

- سعيدة برويتك بخير، أيها الحكيم.

ناروا أو ما برأسه بتواضع، وعينه تشعان بحب عميق للفتاتين اللتين
نشأتا أمامه وكأنهما جزء من عائلته الخاصة. قال بصوت مليء بالحكمة:
الحياة تعلمنا دائماً أن نكون أقوياء، لكنها أيضاً تعلمنا أن نكون
متواضعين. إن ما مررتما به كان درساً قاسياً، لكنكما تجاوزتماه، وهذا هو
الأهم.

سانجونى وجوناين شعرتا بارتياح كبير لسماح تلك الكلمات. كانت
تلك اللحظة بمثابة تأكيد لهما بأن الحياة، رغم كل الألم والخسارة، ما زالت
تحمل في طياتها أملاً جديداً ومستقبلاً أفضل. وسط هذا اللقاء الهادئ،
كانت الأرواح التي لم ترى السلام منذ وقت طويل تراقب، وربما
ابتسمت بدورها لهذا المشهد الذي حمل في طياته الغفران، الأمل، والحب
الذي لم ينطفى رغم كل شيء.

في تلك اللحظة، تقدم جارو نحو جوناين بخطوات واثقة. كانت
عيناه جادتين، يميلان في طياتها معرفة بخطورة ما قد يحدث إن لم
يتحركوا بسرعة. بصوت هادئ لكنه مليء بالعزم، قال:

- أعتذر عن المقاطعة، جوناين، لكن علينا الرحيل الآن. السلطة
لا شك أنها في الطريق، ويجب أن نكون بعيدين عن هنا قبل وصولها.

نظرت جوناين نحو أختها، سانجونى، وهي تشعر بتلك اللحظة
بثقل القرار الذي كان عليها اتخاذه. كانت تفكر في كل ما مرّت به

سانجوني، كل ما تحملته من ألم وخسارة. بنبرة تجمع بين القلق والتصميم، سألتها:

- ستذهين معي، أليس كذلك؟

سانجوني، التي كانت قد جلست على الأرض بجانب قبر أخيها، نهضت ببطء، وكأنها تستجمع شتات نفسها بعد كل ما حدث. نفخت التراب عن ثوبها ونظرت إلى أختها بعينين تحمّلان في طياتها قوة جديدة قد اكتسبتها من خلال تجربتها القاسية. بابتسامة خفيفة، لكن مليئة بالإصرار، أجابت:

- في الحقيقة، هناك عرض جاء لي أراه مثيراً للاهتمام... أفضل كثيراً من التنقل في أرجاء البحر والهرب من السلطة.

ثم أشارت بيدها نحو الساحرات الخمس اللاتي كن يُراقبنهن من بعيد، لتكمل حديثها بنبرة تجمع بين الطمّوح والتحدّي:

- سأتعلم المزيد عن السحر في جزيرة غوريه. سأكون الأفضل، وأنا واثقة من ذلك.

كانت كلمات سانجوني كصاعقة لجوناين. أرادت أن تعترض، أن تقول لأختها أن تبقى معها، أن تظل بجانبها، لكن قبل أن تستطيع التفوه بأي كلمة، أمسك جارو بيدها بلطف. نظرت إليه بعينين مليئتين بالغضب والحزن، لكنه همس لها بصوت هادئ وعيناه مليئتان بالفهم:

- دعيها تفعل ما تريده، جونائين. لقد عانت بما فيه الكفاية،
وتستحق أن تختار طريقها بنفسها.

كانت تلك الكلمات بمثابة قيد حرّر جونائين من رغبتها في
الاعتراض. أدركت أن سانجوني تستحق الفرصة لتعيد بناء حياتها،
لتبحث عن ذاتها وتكتشف ما تريده حقًا. رغم الألم الذي كان يعترض
قلبها، أومات برأسها، موافقة بصمت، ثم التفتت نحو أختها وقالت
بابتسامة حزينة:

- إذن، كوني الأفضل يا سانجوني. سأفتقدك.

سانجوني، التي شعرت بثقل اللحظة، تقدمت نحو جونائين
وعانقتها بحب عميق. همست في أذنها:

- وأنا كذلك، جونائين. لكن هذه رحلتي الآن. ربما سنلتقي في يوم
من الأيام...

انفصلتا بعد لحظة، وكل منهما تحمل في قلبها مزيجًا من الفخر
والحزن. ثم، بينما كان جارو وجونائين يتراجعان، انضمت سانجوني إلى
الساحرات، وهي تحمل في قلبها تصميمًا قويًا لتصبح الأفضل في فنون
السحر...

في تلك اللحظة، وبحركة مدروسة وسلسة، توجه جارو نحو آرورا،
زعيمة الساحرات، محاولا التملق بإظهار ابتسامة واثقة تملو شفقيته. ثم
بلهجة مليئة بالمكر، قال:

- لقد أنقذنا ساحرتك هذه، وآمل أن تكافئنا على هذا العمل النبيل. ربما إزالة هذه اللعنة والتنازل عن نصيكم من كنز باربام سيكونان مكافأة مناسبة، أليس كذلك؟

آرورا، التي كانت تشع بهالة من البرودة والقوة، لم تحرك ساكنًا أمام محاولته للمساومة. نظرت إليه بعينيها السوداء المخيفة. ثم ردت بصوت هادئ لكنه حاد كحدّ السيف:

- جارو، أنت تعلم جيدًا أنني لا أتأثر بمثل هذه الأساليب. إن كنت تريد المساومة، فاحذر... فبدلاً من تقليل النسبة، قد أجد نفسي مضطرة لزيادتها إلى 50٪ بسبب مساعدتك لذلك الملعون دراغن.

كانت كلماتها كالصّفعة على وجه جارو. حاول الحفاظ على هدوئه، لكنه أدرك أن هذه المرأة ليست بالمقاوضة العادية. اكتفى جارو بابتسامة خفيفة، مُتقبلاً الواقع.

بينما كان دراغن يتسلّل بعيداً عن المجموعة، محاولاً الهروب من مصير كان يعرف أنه لا مفر منه، كان قلبه يضرب كطبول الحرب. كان يدرك تمامًا أن آثامه وغدره بهم لن تمرّ دون عقاب، لكنه لم يكن يتوقع أن تُترك له فسحة من الوقت.

في تلك اللحظة، قطعت آرورا صمت المكان بكلماتها التي انطلقت كالسهم نحو دراغن، وقالت بصوتها البارد والحازم:

- احرص على إعادة ما سلبته منا ما إن تحصل على نصيبك من كنز باريام يا دراغن، وإلا ستنهي اللعنة التالية بقتلك.

توقفت خطواته عند سماع تلك الكلمات، وكأنها جذت الأرض تحت قدميه. لم يكن هناك حاجة للالتفات ليرى وجه آرورا، فقد كان يعلم أن نظرتها الثاقبة تخترقه من الخلف. شعور بالخوف تسَلَّل إلى قلبه، حيث أدرك أنه لا مفر من هذه اللعنة التي علقت به.

كل ما فعله وقتها هو الالتفات نحوها والإيذاء برأسه موافقا، بتلك اللحظة تقدم أحد قراصنة جارو بارثولوميو حيث تقف جوننايشن، ثم بحركة مفاجئة منه، وضع سلاحه على رقبتها ثم صاح للجميع:

- مفتاح كنز باريام، ناولوه لي وإلا قتلتها.

كانت كلمات القرصان كجرس إنذار دوى في الأفق، قلبت الموازين وجعلت الجميع يتوقف لحظة، متأملين في هذا التطور غير المتوقع. رغم خطورة ما قيل، لم تحرك الساحرات ساكنًا، فقد كنّ يدركن أن هذا النزاع لا يخصهن بشكل مباشر.

كانت آرورا تقف في الخلف، نظرتها ثابتة وباردة كجليد الشتاء، تعكس مزيجًا من اللامبالاة والحكمة. لم تكن تهتمها صراعات القراصنة ولا من سيستولي في النهاية على كنز باريام. ما يهمها حقًا هو أن نصيبهن

من هذا الكنز سيكون مضمونًا، وأن الاتفاق سيبقى قائمًا مهما تغيرت التحالفات.

وبينما كانت العيون تراقب التوتر المتصاعد بين القراصنة، كان الجميع يدرك أن الساحرات لن يتدخلن إلا إذا تعلق الأمر بتصبيهن. كان ذلك التوازن الهش الذي يجمع الأطراف المتصارعة معلقًا بخيط رفيع، والساحرات كنّ بمثابة تلك القوة الصامتة التي تحكمت بالخيوط من الظل.

عندما نظر جارو حيث جونايثن، كانت الدهشة تغمر عينيّه. كان يتوقع ردود أفعال مختلفة من طاقمه، لكنه لم يتخيّل أبدًا أن يقف جميعهم، باستثناء باقي الذي ظل بجانبه، خلف القرصان الذي كان يستهدفه. كانت المواقف متباينة بشكل غير متوقع، وكأنها تجمعت مجموعة من التآمرات الصامتة في صمتهم.

وقف جارو، محاطًا بنظرات من طاقمه، كل واحد منهم يعبر عن قناعته من خلال ثبات موقفه. تعكس عيونهم قسوة غير متوقعة وولاء غير مُبرّر، كما لو كانوا قد اتفقوا سرّيًا منذ وقت طويل، يتضمّن استبعاد جارو، أو ربما حتى التخلص منه.

ماذا يحدث هنا؟

قال جارو بصوت حاد، يحاول إخفاء انزعاجه، وأردف:

- هل أصبحتم جميعاً ضدّي الآن؟

أجاب ماران:

لم يكن لدينا خيار آخر، جارو. لقد أظهرت لنا وجهك الحقيقي،
بتمييزك لهذه المرأة عنا، كان لا بد لنا أن نغدر بك قبل أن تغدر بنا.

كانت كلماته كالسيف الذي يخترق صمت اللحظة، كاشفة عن
تناقضات ولأءاتهم. أخرج سيفه، بتلك اللحظة، استعداداً لقتالهم جميعاً
إن تطلّب الأمر لتنجو جونايشن، كاد دراقن أن يتحرك للقيام بذات الأمر،
ولكن ليل منَعته حيث قالت:

- لن يكون الأمر في صالح جونايشن إن هجمتمُ الآن، التفاوض هو
الحل.

في تلك اللحظة الحرجة، انطلقت سانجوني نحو القراصنة بهدوء يشير
الريبة. كان صوتها هادئاً، لكن كل كلمة نطقها كانت تحمل قوة غير
متوقعة. تقدمت خطوة خطوة نحوهم، موجهة نظراتها نحو جارو وبقية
الطاقم المتوترين.

لا بأس يا جارو، سأحلّ الأمر.

قالت سانجوني، وهي ترفع رأسها بثقة نحو أولئك القراصنة:

- هل تُريدون الخاتم والبوصلة للوصول إلى كنز باربام؟

كان الاضطراب واضحًا على وجوه القراصنة. قال بارثولوميو، وعيناه تتسارعان في حركة قَلِقة.

لا تقربي، أيتها الساحرة، حربنا ليست معكم.

ابتسمت سانجوني ابتسامة هادئة مليئة بالغموض، ثم قالت بصوت منخفض:

- ولكن ما تقوم به، حيث وضعت سيفك على عنقها، تكون أختي!
ألا يجب أن أفأوض لأجلها؟

بدأت كتيبة الساحرات تتأهب، كنَّ يَسْتَعِدِّين للقتال في حال تضرّرت سانجوني من هؤلاء القراصنة. تركزت أنظار الجميع على مشهد المفاوضات المثيرة بين الأطراف المتصارعة.

تراجعت يد بارثولوميو التي كانت ترتجف، وحاول أن يبرّر موقفه بعبارات مُتلعثمة:

- لا نود قتلها، كل ما أردنا فعله هو... الحصول على كنز باربام لا أكثر.

أخرجت سانجوني من جيبيها بوصلة وخاتماً أسود، وأشارت إليهم
بوضوح:

- لا بأس، في الحقيقة نحن لا نهتم بنزاع القراصنة، فهذه الانقلابات
تحدث في كافة الأحوال.

وقفت بجانب بارثولوميو، ثم تقدمت خطوة أخرى حتى أصبحت
أمامه تمامًا. بحركة سريعة ومهارة، أمسكت يده الأخرى وأدخلت
الخاتم والبوصلة في راحتها. همست في أذنه بلطف خفي:

- ولكن تذكر أن تجلب نصيب جزيرة غوريه ما إن تحصل على
مبتغاك، وقد زادت النسبة إلى 80٪، ماران.

تجمد للحظة، ثم أبعده سيفه عن جوننايشن وأوما برأسه بفهم، متجهًا
بسرعة إلى سفينة جارو مع من يُخالفه من الطاقم، بينما كانت النظرات
تبادل بين الجميع.

شعرَ دراقن بالهلع يتسرّب إلى قلبه، فتسارع للبحث في جيبه، على
أمل ألا يكون قد فقد الخاتم والبوصلة. وبعينه الواسعتين والقلقة، بدأ
بالتفتيش بسرعة، ولكن على الرغم من كل ذلك، وجد الخاتم والبوصلة
في مكانها.

تجمّدت لحظة الصمت عندما نطقَ دراقن بلهجة يائسة:

- لا يمكن أن تكون هناك نُسختان من البوصلة والخاتم، يستحيل

ذلك!

أجابت سانجوني بابتسامة مليئة بالثقة، وكأنها كانت تتوقع هذا

السؤال:

- لا تخف، ستكون وجهتهم مختلفة تمامًا عن وجهتكم، أيها

القراصنة.

اقتربَ دراقن من جارو، وقد بدا واضحًا على وجهه الفضول:

- بما أن سفيتك قد رحلت نحو مصيرها، ماذا تقترح الآن؟

جارو، الذي كان يعاني من التوتر والإرهاق، أعاد ترتيب أفكاره قبل

أن يجيب:

- ما إن نحصل أنا ومن تبقى معي (بافي وجونايشن) على نصيبنا من

الكتز، سأشتري سفينة جديدة، مليئة بطاقم موالٍ. لا يمكن أن نبقى

هكذا.

نظر دراقن إلى جونايشن، ثم قال بابتسامة:

- حتى ذلك الحين، سنكون قائلدين في سفينة واحدة. أمر مُشوّق

رغم غرابته.

رفع جارو حاجبيه، وكأنه يتفاجأ بهذا الاقتراح غير المتوقع:

- قائلدين في سفينة واحدة؟

قال، متفكرًا:

- يبدو أن هذا سيكون تحديًا، لكنه قد يكون فرصة لتغيير بعض

الأمور.

ابتسم دراقن، معبرًا عن سعادته بالقرار.

أعتقد أننا سنجد طريقة لجعلها تعمل. نحن نتحدث عن رحلة نحو
كنز، وتحت الضغط، قد نكتشف أشياء جديدة عن أنفسنا.

ابتسم جارو بتلك اللحظة، وأجاب:

- حسناً إذا، أنا موافق..

بعد وداع جونائين لسانجوني وكل من سكان آدغشتری، ارتفعت السفينة ببطء عن سطح المياه، تاركَةً وراءها الجزيرة التي كانت مسرحًا لمشاهد كثيرة من الصراع والمعاناة. صوت الموج المتلاطم على جانبي السفينة كان يُسمع بوضوح، بينما اختفى مشهد الساحرات الخمسة بسرعة، متجهات إلى جزيرة غوريه، ومعهن سانجوني، تاركات خلفهن سكونًا هادئًا.

ناراوا، الذي وقف وسط الحشود، رفع صوته ليملاً الأفق بالتفاؤل. نظر إلى الوجوه المترقبة وقال، بصوتٍ ملؤه الحماسة:

- الآن، حان الوقت لأن نعيد الحياة إلى هذه القرية البائسة. لقد مررنا بأوقاتٍ عصيبة، ولكننا نستطيع استعادة ما فقدناه.

كان هناك صمت مهيب قبل أن يبدأ سكان القرية بالتفاعل مع كلام ناراوا. تداخلت الأصوات، وتدفقت المشاعر، واختلطت دموع الفرح بالأمل. من بين الحشود، بدأت الأصوات تتهلّل، وتعلو الهتافات بحماس.

قال أحد السكان، وقد بدت علامات الإصرار على وجهه:

- لقد عادت أرواح أجدادنا، والآن نحن مستعدون لبناء حياة جديدة هنا.

أجابه آخر بصوت مليء بالأمل:

- سنعيد بناء كل شيء، وسنجعل من هذه الجزيرة مكانًا يعكس قوتنا وصدودنا.

بدأ السكان في توزيع المهام، والعمالة، والإصلاحات التي كانوا في أمس الحاجة إليها. الرجال والنساء، كبار وصغار، اشتركوا في العمل، وكأنهم يستعيدون أملاً ضائعاً ويشيدون مستقبلاً مشرقاً.

ناروا، وهو يراقب هذا التحول، شعر بالفخر والرضا. كان يرى في أعين هؤلاء الناس إرادة قوية تعبر عن تصميمهم على تحقيق الأفضل:

- لن تكون المهمة سهلة، لكننا سننجز معاً.

همس لنفسه وهو يشهد بداية فصل جديد في حياة القرية.

مع مرور الوقت، بدأت القرية تنتعش تدريجياً. الأشجار بدأت تنمو من جديد، والبيوت تُرمم، والضوء بدأ يعود إلى أفق الجزيرة الذي طالما كان مظلمًا. كان هناك شعور عام بالارتياح، وكان الفصول بدأت تتبدل من الشتاء القاسي إلى الربيع الوارف.

وهكذا، بينما كان الجميع يعملون بجهد، أطلقوا صرخاتهم بالأمل والفرح، وكلهم ثقة في أن المستقبل سيكون أفضل بكثير مما كان عليه في السابق.

في عمق المحيط الأطلسي، كان القرصان بارثولوميو يتفحص
البوصلة التي وضع داخلها الخاتم، وعيناه مشدودتان إلى المؤشر الذي
توقف فجأة. كان البحر من حولهم هادئًا وغامضًا، ويبدو وكأنه يمتد إلى
الأفق دون نهاية.

بارثولوميو، الذي كان ينظر إلى البوصلة بتوتر، قال بصوت
منخفض:

- هذه البوصلة توقفت هنا. يجب أن يكون هذا هو الموقع، ولكن لا
أرى أي علامة لجزيرة.

اقرب بوقا منه، وكان وجهه يعبر عن القلق والإحباط:

- أين نحن الآن؟ ألا ترى أن البحر يحيط بنا من كل جانب وكأنه لا
يوجد شيء؟

تجمد جين بارثولوميو وهو يحاول فهم ما يجري. همس، متحدثًا
لنفسه أكثر من أي شخص آخر:

- لا بد أن هناك خطأ ما.

ماران، الذي كان يملؤه الغضب، صرخ بصوت عالٍ:

- لقد قضينا أشهرًا كثيرة ونحن نتبع هذه البوصلة، وعندما نصل
أخيرًا إلى هنا، نجد أنفسنا في وسط المحيط بلا أي دليل على وجود
الجزيرة!

كان الصمت الثقيل يتردد في الأجواء، والأمواج تعكس الضوء الضعيف الذي يختلط مع ضباب الأفق. حاول بارثولوميو استعادة هدوئه، وهو يفكر في الخطوات التالية. بعد لحظات من التأمل، قال:

ربما تكون البوصلة معطّلة، أو ربما تحتاج إلى نوع من التفعيل السحري. هناك شيء ما مفقود.

بينما كان القلق يتسلّل إلى قلوب الطاقم، اندلّع صوت غنائي عذب ومؤثّر، ملأ الأجواء بنغمة ساحرة. بدأ الصوت وكأنه يتغلغل في أعماق عقولهم، يغمّهم في حالة من السحر والذهول. حاول أحد القراصنة، وهو يمرّر يديه على أذنه محاولاً طرد الصوت، أن يصرخ في رعب:

- لا تستمعوا إلى الصوت! تذكروا ما حدث لقراصنة دراغن!

بينما كان القلق يزداد، توجه بارثولوميو نحو حافة السفينة، عيناه تبحثان بقلق عن مصدر الصوت في عمق البحر. همس لنفسه، مغمغماً بالدهشة:

- لكن هذه ليست منطقة بوما... كيف يمكن أن يكونوا هنا... في

عمق المحيط؟

فجأة، شعرت يدا بارثولوميو ببرودة شديدة، ورأى البوصلة والخاتم بداخلهما يتحولان إلى حجر صلب، ثم يتفتتان بسرعة إلى قطع صغيرة

تتناثر في الهواء. سرعان ما اختفى ما كان يظنه مفتاحًا إلى الكنز، مما زاد من شعوره بالإحباط والخوف.

الصوت الغنائي زاد قربًا، وكان يبدو الآن وكأنه ينساب من أعماق البحر. ارتفعت الأصوات المستيرية من الطاقم، الذين بدؤوا بقذف ملح الطعام حولهم بياس، معتقدين أن هذه هي الطريقة الوحيدة للحماية أنفسهم من المتحولات اللآتي كانوا يتوقعونهم.

مع تصاعد الصوت الغنائي الساحر، بدأت الأمور تأخذ منحى غير متوقع، إذ ظهرت فجأة أمام أعين الطاقم مخلوقات بحرية غريبة، أشبه بالبشر من الأعلى بينما كانت أنصافهم السفلى تشبه الأسماك.

هذه الكائنات، التي أطلق عليها الطاقم بذهول "حوريات البحر"، كانت تتجول حول السفينة بمرونة غريبة، تتمايل وتدور في الماء وكأنها ترقص على أنغام الصوت الساحر. ضحكاتهم كانت خفيفة ولعوبة، تتردد في أرجاء البحر كأصداء تتناثر في الرياح. كان من الواضح أنهم يعتبرون السفينة فريسة سهلة، قد أقبلت عليهم طواعية، مستسلمة لأساليبهم الماكرة.

تجمّد الجميع في أماكنهم، عيونهم تتسع بذهول، بينما كان ماران يحاول جاهدا السيطرة على أعصابه. صرخ أحد القراصنة بصوت مليء بالهلم:

٤
- لا يمكن أن تكون، لا يمكن أن تكون هذه هي منطقة

بوسيدونيا!!

قبل أن يتمكن طاقم السفينة من اتخاذ أي خطوة، كانت الأمور تتسارع بوجهٍ مخيف. بدأت السفينة في الاهتزاز بقوة، يميناً ويساراً. اهتزت الألواح الحديدية وصدر عواء خفيف من الهيكل المعدني، بينما كانت الأمواج تتصاعد حولها في دوامة متوهجة.

كانت الصرخات من جميع الطاقم تتعالى في كل الاتجاهات، لكن سرعان ما اختفت في وسط الصرخات المدوية والاهتزازات العنيفة التي جعلت السفينة تتقلب رأساً على عقب.

ثم سرعان ما تحوّلت تلك البقعة إلى لون أحمر قاني نتيجة دماء القراصنة الذين أصبحوا في هذه اللحظة، وليمة جيّدة لحوريات البحر.

الجزء الثاني

كنز باربارم و غضب الأسياد

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.



الأسياذ والقراصنة
ساحرة آدعشتري

أحرار بلا اجنحة
كطيور وقع
عليها الموت



DAR PAGES
10



9 786038 475126

دار صفحات كتاب للنشر والتوزيع

ضياء
t.me/twinkling4